الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت-
University of Tiaret, Algeria
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التوطين: مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

اللسانيات التلفظية
- دراسة في آليات الاستدلال الحجاجي-

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدُكتوراه الطَّور الثالث LMD

في إطار تخصص: التداولية وتحليل الخطاب

إعداد الطالبة:
❖ غالية عـرابي

إشراف الأستاذ الدكتور:
❖ ميلود عزوز

أعضاء لجنة المناقشة

محمد جواد مكيكة	أ.ت. العالي	رئيسا	جامعة تيـــارت
ميلـــود عـــــزوز	أ.ت. العالي	مشرفا ومقررا	جامعة تيـــارت
فضيلة قـــوتـــال	أ.ت. العالي	مناقشا	جامعة تيـــارت
مسعـود صحـراوي	أ.ت. العالي	مناقشا	جامعة الأغواط
محمـد دبيـــــح	أ. محاضر "أ"	مناقشا	جامعة تيـــارت
صلاح الدين منقور	أ. محاضر "أ"	مناقشا	جامعة تيـــارت

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/2019-2020م

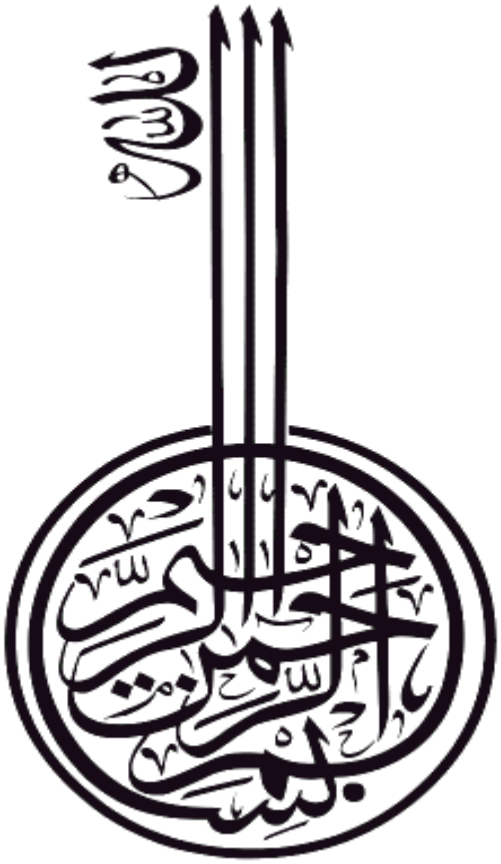

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

سورة المجادلة الآية 11

شكر وعرفان

إلى أستاذي المشرف على هذه المذكرة
الأستاذ الدكتور: " ميلود عزوز "
إلى أساتذتي في كلية الآداب واللغات
وخاصة قسم اللغة العربية وآدابها
ابن خلدون - تيارت -
وأعظم امتناني إلى الأستاذتين:
" دنيا باقل " و " فضيلة قوتال " .

غالية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

اهتم الإنسان منذ القديم باللغة فهي الأداة التي يحقق بها التواصل مع أقرانه في صور تعبيرية من إنشائه اصطلح عليها مع نفس جماعته اللغوية. وفي ظل الحديث عن تواصلية اللغة اهتمت اللسانيات بدراسة اللغة دراسة علمية موضوعية من خلال البحث في خصائصها وتراكيبها وسماتها، ونشير إلى أن اللغة باعتبارها أداة تواصلية تتمظهر على مستويين: مستوى خطي يهتم باللغة المكتوبة الجامدة، وآخر تلفظي يهتم باللغة المنطوقة المستعملة وهو ما اهتمت به التداوليات اللسانية.

تعدّ التداولية أحدث تيار تولّد عن اللسانيات فإذا كانت اللسانيات تعتبر الوظيفة الأساس للغة هي تحقيق التواصل، فإن التوجه التداولي يرى أن وظيفة اللغة هي الحجاج والإقناع إضافة إلى كونها أداة تواصل وإبلاغ، إذ تعنى التداولية بدراسة اللغة المستعملة أي اللغة في سياقها التواصلي أثناء الفعل الإنجازي الذي غالبا ما يعتمد على العملية التلفظية التي كانت محط اهتمام العديد من الدارسين بعد دي سوسير، فاللسانيات التلفظية انبثقت عن أهم ثنائية لغوية: لغة/كلام وإن كان الاهتمام في البداية مقتصرا على البحث في اللغة باعتبارها تنظيما من العلامات والرموز، فإن هنالك استدراكا في الأخذ بالجانب الثاني من الثنائية وهو الكلام الذي كان المصدر الأصل والأساس الذي تمخضت عنه اللسانيات التلفظية التي تعنى بدراسة كل ما هو ملفوظ، أي كل ما تلفظ أو نطق أو توجه به متحدث معيّن إلى مخاطبٍ معين أيضا.

استنادا إلى ما سبق ذكره يسعى المُخاطِب إلى التعبير عن قصديته في الكلام لإقناع غيره بأطروحته من خلال توظيفه تراكيب منتقاة بعناية، والتي تخدم آراءه وتتماشى مع مستويات مخاطبيه. تسمى هذه العملية التخاطبية بالحجاج الذي هو تقديم وعرض لمجموعة من الأدلة والبراهين من طرف المتكلم إلى مخاطب معيّن لممارسة سلطة معينة عليه، من خلال استمالته إلى قضيته والاستحواذ على تفكيره بمختلف الأساليب والطرق، بغضّ النظر عن نوعية القضية المحاجج عليها، اعتمادا على مجموعة من الاستراتيجيات التخاطبية التي يستخدمها المتلفِّظ في التحاجج مع المتلقي، فهي بمثابة

أساليب وآليات يوظفها المخاطِب في إقناع المخاطَب كالاستراتيجية التلميحية، الإقناعية، التضامينة، الإشهارية، ويعبّر عنها بأفعال كلامية تتجسد في مجموع الأقوال التي يقصد فيها المخاطِب المخاطَب للتعبير عن فكرة محددة، فهي أفعال إنجازية تأثيرية في جوهرها يسعى المتحدّث من خلالها إلى تحقيق قوة إنجازية يعبّر بها عن مدى نجاحه في تبليغ قصده للآخر.

استنادا إلى كل ما سبق ذكره جاءت فكرة بحثنا الموسوم بـ: **"اللسانيات التلفظية دراسة في آليات الاستدلال الحجاجي"**.

يقصد باللسانيات التلفظية المجال الذي يهتم بدراسة اللغة المتلفظ بها، أي اللغة المنطوقة الحاملة لمعلومات وآراء ووجهات نظر على المستوى اللفظي لمتحدث ما، أما الاستدلال الحجاجي فهو مجموع الآليات من أدوات وعوامل وكذا أساليب وُظفّت في أحد أنواع الخطابات (سياسية، دينية، إشهارية) توظيفا يتماشى وقصدية المتكلم من خطابه، والتي غالبا ما تكون إقناعية حجاجية يروم المخاطِب من خلال الاستدلال بهذه الآليات استمالة المتلقي إلى مصافه والإيمان بقضيته.

من خلال بحثنا المتواضع في هذا الموضوع "**اللسانيات التلفظية دراسة في آليات الإستدلال الحجاجي**" لم نجد مرجعا تناول هذه الدراسة بالمصطلح والتسمية نفسها، غير أنّ هنالك مراجع مهمة تناولت أحد جوانبها نذكر من ذلك على سبيل المثال:

- طروس محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية.
- أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري.
- الراضي رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى اللسانيات الحجاجية.
- الرقبي رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله.
- كلاتمة خديجة، آليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.
- بنو هاشم الحسين، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية.

ما من باحث خاض في موضوع ما إلا وكانت له دوافع جعلته يبحث فيه، ومن بين الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع ونبحث في ثناياه ما يلي:

- حب العلم والمعرفة وكذا رغبة منا في إثراء وخدمة البحث العلمي الأكاديمي الذي يرقى إلى المستوى المطلوب.
- ميولنا إلى الدراسات اللغوية اللسانية منذ مرحلتي الليسانس والماستر، ورغبة منا في مواصلة الدرب نفسه إلى غاية مرحلة الدكتوراه.
- الاهتمام بالمجال التداولي المولود الجديد للدرس اللساني الحديث وطبيعة ما تناولته الدراسات التداولية من مواضيع حيوية وعلى رأسها الحجاج.
- قلة الدراسات التي تناولت آليات الاستدلال الحجاجي من منظور اللسانيات التلفظية.

ومن جملة التساؤلات والإشكالات التي أثارت اهتمامنا ما يلي:

- كيف تم الانتقال من مجال الاهتمام باللغة إلى مجال الاهتمام بالتلفظ ؟ ولماذا؟
- ما مدى مساهمة اللسانيات الحديثة خاصة ما تعلق بثنائية اللغة والكلام في ظهور اللسانيات التلفظية التي تهتم بدراسة الخطابات المتلفظ بها ؟
- إذا كان مجال اهتمام التداولية هو دراسة اللغة المستعملة فما هي أهم الآليات التداولية الحجاجية الموظفة في الخطابات الدينية والسياسية والإشهارية؟ وهل تختلف هذه الآليات باختلاف نوع الخطاب؟
- فيم تجلت آليات الاستدلال الحجاجي المنطقية منها والبلاغية واللسانية على مستوى كل من الخطاب الديني، السياسي، الإشهاري؟

وقد جرى بناء خطة بحث هذا الموضوع كما يلي: مقدمة، مدخل وثلاثة فصول، خاتمة، وفهرس.

جاء المدخل بعنوان: "من لسانيات اللغة إلى لسانيات الخطاب" وقد قُسّم إلى ثلاثة مباحث: ثنائية اللغة والكلام لدى علماء اللسانيات الغربية، ثنائية الملفوظ والتلفظ، تحليل الخطاب حسب نظرية التلفظ.

تلا المدخل الفصل الأول بعنوان: "آليات التحليل التداولي للخطاب" وضمّ أربعة مباحث: القصدية، السلطة، الاستراتيجيات التخاطبية، القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام، ثم الفصل الثاني بعنوان: "من حجاجية اللغة إلى حجاجية اللفظ" وضمّ أربعة مباحث: نظرية الحجاج رؤية في المبادئ والمنطلقات، الحجاج في الخطاب، الحجاج في اللغة، الحجاج والتلفظ.

وأخيرا الفصل الثالث بعنوان: "آليات الاستدلال الحجاجي" وقُسّم إلى ثلاثة مباحث: الحجاج والاستدلال المنطقي، الحجاج والاستدلال البلاغي، البنية اللسانية والاستدلال الحجاجي.

وقد كانت نصوص الجانب التطبيقي مأخوذة من خطابات متنوعة (سياسية، دينية، إشهارية) ففيما يخص الخطاب الديني كانت سورة الغاشية هي الحقل التطبيقي لدراستنا، أما ما تعلق بالخطاب السياسي فقد كانت خطابات الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة هي محط أنظارنا، أما فيما يخص الخطاب الإشهاري فقد أخذنا دعاية إشهارية تلفزيونية أحدها لمنتج شوكولاطة "أوبتيلا" وثانيها لمنتج "ديتول".

وحسبنا أن نشير هنا إلى أن هذا التنوع في الخطابات التي تناولتها دراستنا إنما هو محاولة منا للتطرق إلى أشهر أنواع الخطابات على غرار أنواع أخرى هذا من جهة، ومن جهة أخرى وهو الجانب المتعلق بالقارئ المتلقي الذي سيأخذه بحثنا في جولة قصيرة طويلة في الآن نفسه، طويلة من حيث تناولنا لآليات الاستدلال الحجاجي على مستوى الخطاب عامة، وقصيرة من حيث توقفنا على كل نوع من أنواع الخطاب (الخطاب السياسي مع خطابا ورسائل بوتفليقة، الخطاب الديني سورة الغاشية، الخطاب الإشهاري إشهار أوبتيلا وإشهار ديتول) وقفة قصيرة.

بعد الفصول جاءت خاتمة البحث التي هي عرض لأهم النتائج التي توصل إليها بحثنا.

وتتجلى أهمية دراستنا في الكشف عن أهم الأدوات والعوامل الحجاجية في الخطاب، وكذا آليات الاستدلال الحجاجي المنطقية والبلاغية واللسانية على مستوى اللغة والخطاب واللفظ.

تسعى هذه الدراسة إلى:

- تبيان اسهامات اللسانيات الحديثة في بناء الدرس التداولي الجديد.
- الكشف عن صلة آليات التحليل التداولي بالمبحث الحجاجي.
- معرفة الآليات المنطقية والبلاغية واللسانية وتحديد موضعها في الخطاب الحجاجي.
- استثمار بعض المباحث التداولية التي أسهمت في بناء الخطاب الحجاجي (كالقصدية، السلطة، نظرية أفعال الكلام، الاستراتيجيات التخاطبية).

تعددت واختلفت المناهج التي اتبعناها في البحث نذكر في مقدمتها المنهج الوصفي القائم على تحليل الظواهر المدروسة ونقصد بذلك التفصيل أثناء عرض مباحث دراستنا وأقسامها من خلال تجميع المعلومات المتعلقة بالموضوع والحرص على توفيرها للمتلقي بأسلوب وصفي واقعي يدرس الظاهرة كما هي. إضافة إلى المنهج الاستقرائي إذ أنّ الجانب التطبيقي من الأطروحة غالبا ما يتراوح بين الوصف للظواهر واستقرائها.

وكذا المنهج التداولي للكشف عن البنى الحجاجية المضمرة في مختلف الخطابات التي قاربناها وفق مقولات المقاربة الحجاجية، فنجد هذا الأخير في تطبيقاتنا على خطابات الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة وكذا سورة الغاشية والإعلانيين الإشهاريين لمنتجي أوبتيلا وديتول، وهي بمثابة أجزاء يعبّر بها عن الكل المتمثل في الخطابات السياسية، الخطابات الدينية، الخطابات الإشهارية.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى المنهج التاريخي من خلال تبيان الانتقال من الاهتمام بلسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام والتلفظ، وكذا رصدنا لأهم المحطات التاريخية لنظرية الحجاج.

يكاد لا يخلو أي عمل من صعوبات واجهته، كذلك هو بحثنا وفي مقدمتها إشكالية المصطلح وتداخله بين المجالين اللساني والتداولي خاصة فيما تعلق بالمفاهيم المرتبطة باللغة والخطاب واللفظ.

يضاف إلى ذلك كثرة المراجع المتعلقة بالحجاج كنظرية عامة لها مفاهيمها وأسسها ومباحثها، في مقابل ذلك قلة وُرود مصطلح الاستدلال الحجاجي من المنظور اللساني التلفظي، ممّا جعلنا نستنبط بعض المعلومات الخاصة من معلومات عامة وتحليلها وجعلها في المصاف الذي نودها أن تكون فيه.

وقد استعننا في بحثنا هذا بجملة من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- آن روبول-جاك موشلار، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي.
- باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري حمادي صمود.
- بيرلمان و تتيكا، مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة.
- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى اللسانيات الحجاجية.
- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود.
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير.

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور «**عزوز ميلود**» الذي لقنني من علمه وحلمه ما أمكنه ذلك، فقد كان عوني بعد الله عزّ وجل وشدّ أزري بالثقة التي وضعها فينا فجزاه الله عني كل خير وأحسن جزاء، كما لا يفوتنا أن نشكر الأستاذة المتخصصة د. قوتال فضيلة التي سدت بعض ثغرات هذا البحث جزاها الله عنا خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل وخالص التقدير إلى كل أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذا العمل، وأساتذتي الكرام الذين ساعدوني في إخراج بحثي بالصورة التي هو عليها ولو بأبسط الأشياء كلمة.

فإن وفقت فمن الله وإن كان غير ذلك فمن نفسي وحسبي أني اجتهدت عليه توكلت وإليه أنيب فهو وراء الجهد والقصد وإليه المبتغى.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه

غـــــــــالية عرابي

تيارت في: 19 صفر 1442هـ

الموافق لـ: 2020/10/06م

مدخل:

من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام

توطئة:

معلوم لدى الباحثين اللغويين أن الدرس اللساني الحديث قد قام انطلاقا من دراسات دي سوسير اللسانية خاصة منها ثنائية اللغة والكلام، إذ تعدّ اللغة في نظره نظاما من العلامات والرموز، في حين أن الكلام هو كل ما يتلفظ به أفراد مجتمع معيّن، أي ما اصطلحوا عليه من مفردات وتراكيب أثناء الاستعمال.

ساهمت هذه الثنائية في ظهور ثنائيات أخرى جديدة منها ثنائية الملفوظ والتلفظ التي نشأت إثر الاهتمام بالكلام للابتعاد عن التمثيل الصوري للغات الذي كان سائدا آنذاك، وقد اشتهرت هذه الثنائية اللغوية –الملفوظ والتلفظ– مع أعمال بنفنست الذي يعتبر التلفظ هو فعل النطق (أو الإنجاز اللغوي) أما الملفوظ فهو كل ما ننطق به أثناء تخاطباتنا اليومية.

وبالتالي فإن أيّ تحليل للخطاب هو تحليل لهذه الملفوظات في الأساس، كون الخطاب هو الاستعمال الفعلي للغة في الواقع، وقبل فعل التلفظ لا تكون اللغة سوى تراكيب جامدة تكاد تخلو من التفاعل بين طرفي الخطاب (متكلم ومستمع مثاليين).

وبناءا على ما سبق ذكره فقد ارتأينا أن نتناول في هذا الفصل المباحث الآتية:

- ثنائية اللغة والكلام لدى علماء اللسانيات الغربية.
- ثنائية الملفوظ والتلفظ.
- تحليل الخطاب حسب نظرية التلفظ.

المبحث الأول: ثنائية اللغة والكلام: (Langue et langage)

كثيرا ما ترتبط ثنائية اللغة والكلام بالعالم اللغوي الفذّ **دي سوسير*** الذي يعدّ بحق المؤسّس الأوّل لهذا العلم –اللسانيات أقصد– "فهو الأستاذ الأوّل الذي ذاعت أفكاره اللغوية وشاعت حتى عمّت العالم وأخذ الدارسون هنا وهناك يتلقفونها، متبعين طريقه أو محاولين تعديل منهجه، أو واقفين منه موقف المخالفة، وبهذا كانت أفكاره بمثابة خيوط الضوء إلى علم واسع عريض المجال متنوع الإتجاهات"[1]، وما تمييزه بين اللغة والكلام إلاّ واحدا من هاته الخيوط التي أزال فيها اللبس الكثير عن التشابه الذي كان قائما آنذاك بين هاتين الثنائيتين وغيرها من الثنائيات التي تبعتها.

لعلّ فكرة **دي سوسير** الجوهرية حول مفهوم اللغة والتي تمثلت في كونها ظاهرة اجتماعية تخضع لدراسة علمية موضوعية من خلال الأنظمة الخاصة بكل مجموعة يجرّنا إلى فكرة أخرى كانت السبب وراء تسمية مدرسته ومن تبعه بـ: «المدرسة البنيوية» أو الاتجاه البنيوي، هي أن هذه اللغة بنية في الأساس تخضع لنظام معين تتحدد وفقه قيمة ووظيفة كل عنصر بالنظر إلى علاقته بالعناصر الأخرى السابقة واللاحقة له داخل نفس البنية والنظام طبعا.

هذه القضايا وغيرها التي أثارها **دي سوسير** هي ما جعلت أبحاثه تتسم بالتنوّع والجدّة في مجال البحث في اللغة عمّا سبقها من دراسات، غير أننا سنقتصر في هذا المبحث الحديث عن واحدة من أهم هذه القضايا كون **دي سوسير** كان السبّاق والرائد إليها وهي ثنائية اللغة والكلام التي ما فتئ يكشف لنا فيها عن أهم الفروق الجوهرية بينهما، وكل ما تبع دراسته في هذا المضمار التمييز بين ما سمّاه اللغة (Langage) والكلام (Parole) إنما كان بفضله.

---

* **دي سوسير F. De saussure (1857–1913)**: لساني سويسري، يعد أبا للسانيات البنوية الحديثة، ورائدا للسيميولوجيا الفرنسية، يرى أن اللغة جزء من السيميولوجيا، ينسب إليه كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي جمعه ونشره تلاميذته عام 1916 بعد وفاته. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص169.

[1]– كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، د ط، 2005، ص83.

1. اللغة والكلام (Langue et Language) عند دي سوسير:

يقول **دي سوسير**: "حين حددت موضع العلم الذي يدرس اللغة ضمن الدراسة العامة للسان حاولت أن أضع الخطوط العريضة لعلم اللغة بأجمعه، فجميع العناصر الأخرى للسان –كتلك التي يتألّف منها الكلام–تخضع خضوعا كاملا للعلم الأوّل، وبفضل ذلك يأخذ جميع أجزاء علم اللغة مكانته الطبيعية"[1]. وكلام **دي سوسير** هذا يدلّ على تمييزه بين العناصر اللسانية المختلفة وفي مقدمتها ثنائية اللغة والكلام، ما يعني أنّ هناك فروقا جوهرية ومعالم واضحة لكل منهما، كونه وصفهما بالعلمين «علم اللغة وعلم الكلام»، وسنحاول استنباط الفروق الجوهرية بين هاتين الثنائيتين من خلال ما قدمه لنا **دي سوسير** في مؤلفه المشهور «Cours de linguistique générale»، ولكن قبل ذلك لابد لنا أن نشير إلى أن **دي سوسير** قد فرّق بين ثلاث اصطلاحات شكّل كل واحد منها عنصرا من عناصر الدرس اللساني الحديث وهي:[2]

أ. **اللغة** (بالمعنى الأعم أي بمعنى الظاهرة الاجتماعية) Le langage

ب. **اللغة المُعينة** (وهي التي تتخذ موضوعا للدراسة كالعربية) La langue

ج. **الكلام** (وهو النشاط العضلي الصوتي للفرد) Le parole

إن تقسيم **دي سوسير** هذا وإن خلق خلطاً وفوضى لدى فهم الباحث أو القارئ المبتدئ، فإنّه قد أسهم إلى حدّ كبير في توضيح معالم كل عنصر من عناصر الدّرس اللساني لدى اللسانيين المتخصصّين.

وسنوجز موضوع التفريق بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام في نقاط موضحة على الشكل الآتي:[3]

- يتطلّب الكلام عملية النطق بالأصوات، بينما تقع أعضاء النطق خارج اللغة (أي لا صلة لها باللغة) كون الكلام أكثر دلالة على الاستعمال من اللغة.

---

[1]– فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، دط، 1985، ص37.

[2]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتب النسر، دط، 1989، ص31.

[3]– فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص37–38 بتصرف.

- الكلام أداء فردي، أما اللغة فهي نظام من العلامات والرموز والتراكيب التي اتفقت عليها الجماعة، والدّليل على ذلك أننا نحاول التحدث باللغة الفصحى لأننا نعتبرها النموذج المثالي الذي ينبغي الإرتقاء إليه.
- موضوع اللسانيات الأساسي هو اللغة كونها ظاهرة اجتماعية مضبوطة في قواعد عامّة مستقلة عن الفرد، وهي الجانب السيكولوجي من اللسان، أما الكلام فهو الجزء الفرعي من الدراسة اللسانية كونه من إنجاز الفرد (على اختلاف ثقافات الأفراد)، وهو الجانب السيكوفيزيائي لأنّه يعتمد على عنصر التصويت.
- اللغة ضرورة إذا أريد للكلام أن يكون مفهومه يحقق الغاية المتوخاة منه، ثم إنّ الكلام ضرورة تثبيت أركان اللغة.
- الكلام أوّلاً من الناحية التاريخية إذ كيف يمكن للمتكلم أن يربط فكرة ما بصورة لكلمة ما لم ينجز لغته في فعل كلامي.
- نتعلم لغتنا بالإصغاء إلى غيرنا، ذلك أنّ اللغة لا تستقر في الدماغ إلا بعد عدد لا يحصى من الخبرات التي تكتسب من الأداء الكلامي، وبذلك يكون الكلام هو السبب في تطور اللغة مقابل اعتبار اللغة أداة الكلام وحصيلته.

وقد لخّص **تمام حسان** ما جاء به **دي سوسير** في مجال التفريق بين اللغة والكلام بقوله: "...الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يُحس بالسمع نطقا والبصر كتابة، واللغة تُفهم بالتأمّل في الكلام، فالذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسبه أو نكتب بحسبه اللغة، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها، والكلام قد يحدث أن يكون عملا فرديّا ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعيةً"[1].وحريٌّ بنا أن نتوقف هنا عند معنى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية في وصف **دي سوسير** لها ذلك بأنّها من

[1]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994، ص32.

تواضع واتفاق الجماعة اللغوية، "فهي على هيئة ذخيرة من الانطباعات المخزونة في دماغ كل فرد من أفراد مجتمع معين، ويكاد ذلك يشبه المعجم الذي توزّع منه نسخ على كل فرد في المجتمع، فاللغة لا وجود لها في كل فرد ومع ذلك فهي موجودة عند المجموع وهي لا تتأثّر برغبة الأفراد الذين تخزّن عندهم، ويمكن التعبير عن أسلوب وجودها بالشكل التالي: 1+1+1+1= (النمط الجماعي)"[1]، في حين أن الكلام يتأثر برغبة الأفراد كونه نابعا من إرادة المتكلم وحريته في اختيار ما يودّ التلفظ به أثناء التعبير عن رغباته.

ولعلّ كل هذا كان السبب وراء ما عيب فيه على دراسات **دي سوسير** عامّة وثنائية اللغة والكلام خاصة، ألا وهو إهماله لعنصر الكلام وحجته في ذلك أن الكلام متغير وما هو غير ثابت لا يمكن دراسته، ونوضح ذلك بقوله: "...وعلى العموم لا يمكن دراسة الكلام لأنه غير متجانس"[2]. وفي سياق آخر كذلك أورد بأن: "موضوع اهتمامه هو علم اللغة فقط دون علم **لغة الكلام***، وإذا استخدم مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما فسيبقي على الخطوط العريضة التي تميّز بين هذين الفرعين"[3] اللغة والكلام.

وصفوة القول أن محاولة **دي سوسير** الفصل بين ثنائية اللغة والكلام كانت موضوعية إلى حدّ ما، إذ لابد من وضع حد فاصل بين اللغة ككيان اجتماعي موجود بالقوّة وبين الكلام كأداء فردي موجود بالفعل، مع أخذنا بعين الاعتبار أن الدراسة العلمية لا تكون ممكنة على اللغة كونها: "واقعة اجتماعية خالصة، حيث أنها تخصّ الفرد وتخصّ الجماعة"[4]، ولا على الكلام لأنّه انجاز فردي" والفردي يقوم على عنصر الاختيار وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن

[1]– فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص38.

[2]– المرجع نفسه، ص38.

*علم لغة الكلام: مصطلح أطلقه دي سوسير على الدراسة التي تتناول ثنائية اللغة والكلام معا، وهذا المصطلح يختلف عن علم اللغة الحقيقي الذي يهدف إلى دراسة اللغة، ينظر: دي سوسير، علم اللغة العام، ص38.

[3]– فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص38.

[4]– عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1987، ص29.

دراسته دراسة علمية"[1]، وبذلك لم يبق من العناصر الثلاثة التي فرّق بينها **دي سوسير** في دراسته اللغوية كما ذكرنا سابقا إلا عنصر اللسان (اللغة المعينة)، "وهو وحده الذي يمكن دراسته دراسة علمية لأنّه موضوع محدد يتصف بالتجانس ولذا يمكن ملاحظته وتصنيفه، وله بذلك مكان بارز بين الحقائق الانسانية"[2]، لاعتباره النموذج المثالي الذي يسعى الأفراد إليه بعدما استقرت عليه غالبية عظمى من أبناء المجموعة اللغوية الواحدة.

2. اللغة والكلام عند تشومسكي:

يُعدّ اللساني الأمريكي **نوام تشومسكي*** واحدًا من أبرز اللغويين المعاصرين، وهو صاحب المدرسة التوليدية التحويلية التي جاءت كردّ فعل على المدرسة السلوكية التي نادت بدراسة السلوك القابل للملاحظة فقط، والسبب في ذلك أنّ ما يمكن ملاحظته مباشرة نستطيع فحصه دون عصر للآراء الشخصية والخبرات، إضافة إلى هذا فإنّ المدرسة السلوكية ترى بأنّ أيّ سلوك ما هو إلى استجابة أو نشاط نقوم به، والذي وقع إثر وجود مثير ما، وما اللغة إلا واحدة من بين هذه السلوكات.

بيد أن **تشومسكي** يرى غير هذا تماما، فقولهم أن اللغة استجابة لمثير يجعلها تتصف بالآلية في آدائها والشكلية في دراستها، حيث يرى **تشومسكي** بأنّ الإنسان يتميز بقدرات فريدة ومتنوعة تميزه عن الحيوان الذي تقوم جميع سلوكاته على ثنائية المثير والاستجابة، وهذه القدرات يسيطر عليها العقل كونه العنصر الإبداعي الذي ميّز به الله الإنسان عن الحيوان وما اللغة إلا جزء منه.

على إثر ما سبق ذكره:" يمكن اعتبار اللغة بمثابة الميزة الحقيقية التي تفرّق بين الإنسان والحيوان، فاعتبار اللغة خاصية إنسانية اعتبار قديم قد لفت انتباه العلماء الأوائل الذين أقرّوا بأهمية موضوع

---

[1]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص29.

[2]- المرجع نفسه، ص29.

* **تشومسكي**: ولد نوام تشومسكي مؤسس النظرية التوليدية والتحويلية في مدينة فيلدلفيا بال و.م.أ، في 7 كانون الأول 1928، حاز على الدكتوراه بجامعة بنسلفانيا، له عدة مقالات من بينها «علم التراكيب الرياضي وعلم الدلالات: ملاءمتها الألسنية» وله عدة كتب من بينها «البنى التركيبية» و «البنية المنطقية للنظرية الألسنية»، ينظر: زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986، من ص9 إلى ص11.

اللغة... وتستتب أهميتها في كونها الوسيلة التي يحتاج إليها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته والتي تتيح له بصورة طبيعية أن يعبّر عن آراءه وأحاسيسه محققا بذلك ذاته في المجتمع الذي يعيش فيه"[1]، وهو ما صرّح به **دي سوسير** في فكرته حول ثنائية اللغة والكلام فيما يتعلق باللغة ووصفها بالذخيرة المخزونة في دماغ الأفراد، ذلك أنّ الفرد يظهر شخصه ويعبّر عن مختلف متطلباته وسط الجماعة التي يشترك معها نفس اللغة والبيئة.

وما يهمنا من نظرية **تشومسكي** كلها هو الجزء المتلّعق منها بثنائية اللغة والكلام ذلك أنها موضوع هذا المبحث، إذ "تعدّ هذه الثنائية لغة/كلام في اصطلاح **دي سوسير** نفس ثنائية **تشومسكي** ملكة/أداء ولكنها لا تطابقها، والفرق بينهما أن **دي سوسير** يرى بأن اللغة هي قدر مشترك بين أعضاء الجماعة اللغوية، بينما مفهوم الملكة عند **تشومسكي** يتمثّل في المعرفة الضمنية للمتكلم، فهو لا علاقة له بالجماعة وإنما يهتم بملكة المتكلم كفرد، ولا تشترك فيها الجماعة اللغوية بالضرورة"[2]، فقولنا عن شخص ما بأنه كفء في اللغة ذلك يعني أنه يملك ذخيرة لغوية غير محدودة والتي قد ضبطها بقواعد محدودة عن طريق تحويل المتكلم وتوليده للعديد من الجمل، وهو ما ينجزه **تشومسكي** في قوله: "إن نظام قواعد لغة ما يعكس الذخيرة المحدودة الاعتباطية للمقولات الملحوظة إلى مجموعة يفترض فيها أن تكون غير محدودة من المقولات القواعدية، فنظام القواعد بهذا المفهوم يعكس سلوك المتكلم الذي يستطيع استنادا إلى خبرة محدودة اعتباطية من اللغة أن ينتج أو يفهم عددا غير محدود من الجمل الجديدة"[3]، وهو ما يدّل على القدرة الإبداعية التي تتسم بها اللغة الإنسانية والتي تجعل الإنسان يتفرد بها عن غيره من الكائنات الأخرى، وذلك لأن لغة الإنسان تواصلية، بينما لغة الحيوان اتصالية محدودة منغلقة لا تنتج إلاّ عددا ضئيلا من الرسائل ذات الدلالات المحدودة.

[1]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص25.

[2]- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003، ص155.

[3]- نوام تشوسكي، البنى النجوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، مكتبة لسان العرب، ط1، 1987، ص19.

التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:(compétence/ performance)

تعتبر ثنائية الكفاءة والأداء أهم ما ميّز نظرية **تشومسكي** ونوضح الفرق بين هذين المصطلحين من خلال التعريف بهما كل واحد على حده:

الكفاءة اللغوية (compétence): وهي "تعني القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة وهي أيضا مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان والتي تمكنه من بناء الجمل فهي تعني امتلاك الآلية اللغوية، ومن المصطلحات التي تعبر عن مفهوم الكفاءة اللغوية والتي تصبّ في الحقل الدلالي نفسه: القدرة اللغوية، الملكة اللغوية، الطاقة اللغوية، الكفاية اللغوية"[1] وغيرها من الاصطلاحات.

وما نادى به **تشومسكي** في فكرته حول مفهوم الكفاءة اللغوية هو ضرورة وجود متكلم عالم بقواعد اللغة التي يتحدث بها من جهة، مقابل أن تكون نفس اللغة والقواعد كامنة في ذهن السامع من جهة أخرى، وهو ما سماه بالمتكلم المستمع المثالي لذلك فهي تعني أيضا: "المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة"[2]، مع اعتبار أن المتكلم يكون مستمعا في سياق تواصلي آخر.

وبمعنى آخر هي: "قدرة المتكلم المستمع المثالي على الجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني بتناسق وثيق مع قواعد لغته"[3]، والتي طبع عليها الإنسان من خلال ما زوّد به من قدرات فطرية منذ طفولته أثناء اكتسابه للغة وتراكيبها وذلك من خلال ما سمعه من كلام الأشخاص المحيطين به، وهو ما يوحي لنا باللاشعورية أثناء اكتساب الكفاءة اللغوية لدى الأفراد.

الأداء الكلامي (performance):

يقصد بالأداء الكلامي: "الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف

[1]- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص151.

[2]- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقة، دار العلم، بيروت، دط، 1993، ص61.

[3]- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص32.

ظروف التكلم، فالكفاية اللغوية بالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي"[1] فمثلا عند قولنا عن شخص ما بأنه تكلم أو بتعبير أدقّ استعمل اللغة في آنيتها فذلك يعني بأنه يخفي معرفة ضمنية بقواعد معينة تشكلت منها اللغة وبذلك يمكن "اعتبار الأداء الكلامي بمثابة الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية – مع تحفظ على هذا القول– إذ أنّ الأداء الكلامي كما يمكن ملاحظته في الواقع لا يخلو عادة من بعض الانحراف عن قوانين اللغة، لذلك لا يعكس الكفاية اللغوية مباشرة"[2]، ويرجع السبب في انحراف الأداء على مستوى الكلام إلى السياق الذي أحاط بالعملية التواصلية والمتمثل في عدة عوامل نذكر منها: "محدودية الذاكرة وعدم الانتباه والانفعال والغضب والتعب والسهو مما يؤدي بمتكلم اللغة إلى إحداث تغيّرات على مستوى الجملة، كالزيادات والترددات مما يبرز لنا بعض الأغلاط التي تنم عن توان وتكاسل لدى المتكلم"[3]، مما ينتج في كثير من الأحيان تضييقا في فهمنا للغة ومعانيها.

يتفق **دي سوسير** مع **تشومسكي** من خلال ما سبق ذكره في فكرة جوهرية وهي عدم إمكانية دراسة الأداء الكلامي (الكلام عند **دي سوسير**) دراسة علمية، ولعل الحجة في ذلك أن الأداء الكلامي متغير وغير مضبوط من حيث التراكيب وما تحتويه من قواعد، بالإضافة إلى أن الأداء الكلامي هو منجز فردي يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ من حيث صياغة المتكلم للجمل والعبارات.

على ضوء ما سبق من تعريف لثنائية الكفاءة والأداء اللغويين يمكننا استخلاص الفرق بينهما في كون الأولى "تعني القدرة الضمنية للغة والثانية هي الإنجاز الفعلي لهذه القدرة، والذي نلاحظه أن هذه الفكرة ليست جديدة... فدي **سوسير** تعرض لها ولكن مع اختلاف في التسمية"[4]، والمتمثلة في ثنائية لغة/كلام.

[1]– ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص33.

[2]– المرجع نفسه، ص33.

[3]– المرجع نفسه، ص33-34.

[4]– نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص154.

والخلاصة كما يرى **تشومسكي** أن اللغة الإنسانية تنظيم عقلي فريد من نوعه، فلغة الإنسان تواصلية كونها أداة للتعبير والتفكير، أما لغة الحيوان اتصالية منغلقة وهذا الفرق هو ما جعل الإنسانية تتميز بخاصية الإبداع التي تمكّن الفرد من إنشاء وانتقاء النظام القواعدي الخاص بلغته توليدا وتحويلا حتى يتسنى له الخروج بأداء كلامي جديد يشترط فيه أن يكون مفهوم وصحيح التراكيب ذا بعد تبليغي تواصلي مفتوح.

المبحث الثاني: ثنائية الملفوظ والتلفظ (énoncé/énonciation):

يعتبر اللساني السويسري **شارل بالي** أوّل من أشار لمصطلح التلفظ في كتابه «اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية»[1] ويقابل مصطلح الملفوظ باللغة الفرنسية énoncé أما مصطلح التلفظ فيقابله مصطلح énonciation وهو الملفوظية أيضا.

غير أن "ذيوع هذا المصطلح من حيث تناوله يعود إلى كتاب «مسائل اللسانيات العامة لـ**إيميل بنفنست*** 1966»، إذ يحمل قسمه الخامس عنوانا موحيا «الإنسان في اللسان» وتظهر أصالة هذا التمشي جلية ما إن نقارنه بنظرية **فاردينان دي سوسير**"[2]. وما أحدثه من تغيير على مستوى الدراسات اللغوية خاصة منها ثنائية اللغة/كلام، "إذ تقوم فكرة الملفوظية أساسا على جهود **بنفنست** في شرحه ثنائية **دي سوسير** (اللغة والكلام) التي عرفت احتجاجا من طرف اللسانيات الحديثة عموما، حيث انساق اللسانيون بداية الستينات إلى إعادة تأويل هذه الثنائية مؤكدين بأنّ في الملفوظية لا يؤخذ كل شيء من الفرد ذلك أن هناك فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من الأمثلة واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد"[3]، ولعل الفكرة الأخيرة هي مجال اشتغال نظرية التلفظ لأن اللغة

---

[1]– جان سيرفوني، الملفوظية، تر قاسم المقداد، دمشق، منشورات إتحاد كتاب العرب، 1998، ص7.

* **إميل بنفنست Benveniste (1902–1976)**: لساني فرنسي قام بتدريس النحو المقارن في كوليج دي فرانس منذ 1937، أسهم في بناء التيار الوظيفي في اللسانيات البنوية الفرنسية، له سيميولوجيا اللغة 1961، مشكلات اللسانيات العامة. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص164.

[2]– صابر الحباشة، لسانيات الخطاب (الأسلوبية التلفظ والتداولية)، دار الحوار، سوريا، ط1، 2010، ص23.

[3]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012، ص32-33.

بوصفها ممارسة من قبل الأفراد تدل على فكرة الأداء اللغوي التي يقوم عليها عنصر الكلام الذي يرتكز بدوره على عملية التلفظ من خلال النطق بأصوات تجتمع لتشكل ألفاظا.

إن ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار هو أن الاهتمام باللفظ والتلفظ أو ظهور نظرية التلفظ ككل إنما كان نابعا عن اهتمام بقطاع جديد من الدرس اللساني كان قد أهمله **دي سوسير** في دراساته اللغوية الحديثة ألا وهو قطاع الكلام، أو ما يعرف بلسانيات الكلام، إذ "لولا وجود عدد من الباحثين ممن حادوا عن فكر **دي سوسير** لبقيت اللغة هي محور الدراسة اللغوية ولأهمل الجانب الفردي منها –الكلام– من بينهم نجد **أندري مارتيني** الذي أولى أهمية للفظ، ويعتبر معالجته من الطرائق التي تؤدي إلى معرفة اللغة"[1]، إذ يقول في صفحات كتابه الأولى:

"Cette distinction, fort utile, entre langue et parole peut entrainer à croire que la parole possède une organisation indépendante de celle de la langue, de telle sorte qu'on pourrait, par exemple, envisager l'existence d'une linguistique de la parole en face de la linguistique de la langue. Or il faut bien se convaincre que la parole ne fait que concrétiser l'organisation de la langue" [2]

وهو يقصد بهذا أنّ: "التمييز بين اللغة والكلام قد يؤدي إلى الاعتقاد أن نظام اللغة ونظام الكلام يستقلان عن بعضهما... والحال أنه ينبغي أن نقتنع ونسلّم أنّ الكلام هو الذي يجسد نظام اللغة ولا يمكن التوصل إلى معرفتها دون معالجة الكلام"[3]، فإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية باعتبارها نظاما من العلامات والرموز والقواعد والإشارات التي يتواضع ويتفق عليها أصحاب كل جماعة لغوية فإنّ هذا النظام من القواعد يتجلى من خلال عملية التلفظ التي "تصدر عن أعضاء النطق وما تنتجه

[1]– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، 2012، ط2، ص85.

[2] –André Martinet, élément de linguistique générale, Armand colin, paris, 1980, nouvel ed,p25.

[3]– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص85.

من حركات مطلوبة داخل السياق نفسه، وبهذا فإنّ الناس لا يتكلمون القواعد وإنما يتكلمون وفقا للقواعد"[1] المتضمنة في كلامهم.

تندرج العديد من المصطلحات تحت مصطلح التلفظ منها: الملفوظ، اللفظ، التلفظ، المتلفِّظ، المتلفَّظ... إلى غير ذلك من الإشتقاقات اللغوية لهذا المصطلح، ورغم تعددها إلا أن كل واحد منها يشكّل جزءا أو مبحثا جوهريا في نظرية التلفظ، وسنركز اهتمامنا في هذه الجزئية من الأطروحة حول ثنائية الملفوظ والتلفّظ باعتبار الأولى ناتجة عن الثانية عملية التلفظ.

كثيرا ما تسمى عملية التلفظ بالملفوظية وقد أدرج **جان سيرفوني** هذا في كتابه «الملفوظية» بقوله: "والملفوظية تقابل الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعا لهذه العبارة، مثلما تقابل صناعة الشيء الشيء المصنوع، وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ يعني نتيجة هذا الفعل"[2] ويقصد بهذا أن الملفوظ وليد عملية تسمى التلفظ أو الملفوظية هذه الأخيرة هي استعمال وأداء فردي خلق لنا مجموعة ألفاظ تدعى ملفوظات حين وقوع فعل النطق بها.

1. بين الملفوظ والتلفظ:

- **الملفوظ:** كثيرا ما يدل مصطلح الملفوظ énoncé على حدث وقع وهو نطق متكلم ما بأصوات ذات دلالات ومعان يقصد إبلاغها لمستمع معين، وقد ورد لمصطلح الملفوظ تعريفات عديدة منها: "أنّ الملفوظ هو الوحدات اللسانية الحاملة لمعلومات ليس على مستوى مرجع الخطاب بل على مستوى لافظه، أو الفعل المميّز للصوت المنتَج ويكون على الأقل جملة ويمكن أن يحمل آثار التلفظ من خلال بروز التصحيحات والتصويبات"[3]، وهي مجموعة التعريفات أخذها **خليفة بوجادي** عن ثلة من اللغويين الغربيين (D.Maingueneau; Catherine Kerbrat Orecchioni ;J.Rey-De bove)، ويعلق عليها بقوله: "من خلال ما ذُكر فإنّ الملفوظ في عمومه يعني ما تلفّظ به المتكلم، وحافظ على

[1]- ينظر: حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص77.

[2]- جان سيرفوني، الملفوظية، ص7.

[3]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص83-84.

حضور لافظه من خلال وحدات لسانية معينة، تشهد أن هذا الملفوظ لهذا اللافظ"[1]، وهذا يدلّ على أنّ الملفوظ مجرد حدث تلفظي وإنجاز قولي لمجموعة ملافيظ تتجسد غالبا في شكل خطاب.

ورد في معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لـ**دومينيك مانغونو** بأنّ: "الملفوظ يطلق للدلالة على نتاج فعل التلفظ énonciation"[2]، أي أنّ العلمية التلفظية هي التي تصنع لنا ملفوظا وبذلك تكون هي الفعل، والملفوظ هو الناتج الذي ترتّب ونشأ عن هذا الفعل إثر مجموعة من العوامل والأفعال وأبرزها تحقيق التواصل بين متلفِّظ ومتلقِّظ له.

أشار **دومينيك مانغونو** أنّ مصطلح الملفوظ متعدّد المعاني ولا يكتفي دلالة بعينها إلاّ في صلب تقابلات شتى:[3]

– ملفوظ/جملة (**énoncé/phrase**): باعتبار الجملة نوعا من الملفوظات يحدد الملفوظ هاهنا بوصفه وحدة اتصالية تبليغية أو متوالية لغوية ذات معنى وتامة من حيث التركيب كما هو الحال في قولنا: رفع القاضي الجلسة– دخل المتهم...فهذه كلها ملفوظات.

وفي هذا السياق ميّز **ديكرو*** بين الجملة والملفوظ حيث يربط الملفوظ بالسياق (السابق واللاحق) والاستعمال أما الجملة فهي جمع لتلك الألفاظ في تراكيب لغوية وإخراجها بما يتناسب ومقام الاستعمال، مما يعني أن هناك اتجاهان في رؤيته اتجاه لساني لغوي وآخر تداولي يتعلق بسياق

---

[1]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص84.

[2]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص51.

[3]– المرجع نفسه، ص51، بتصرف.

*أوزفالد ديكرو (**Oswald Ducrot**): ولد عام 1930، لسانياتي فرنسي وأحد أبرز المساهمين في الدراسات المتعلقة بالتداوليات والتلفظ ونظرية الحجاج:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B2%D9%81%D8%A7%D9%84%D8%AF_%D8%AF%D9%8A%D9%83%D8%B1%D9%88

اطلع عليه يوم 2020/10/16، 21:00 سا.

الاستعمال لهذه الألفاظ إذ يقول: " l'énoncé doit être distinguer de la phrase, qui est une construction du linguiste, permettant de rendre compte des énoncés"[1] "أي "يجب أن نميّز الجملة التي هي من الوضع اللساني، والتي تسمح بالإبانة عن الملفوظات"[2].

ويورد في سياق آخر "أن الملفوظ هو الجملة زيد إليها المقام، أو هي الجملة في مقام الاستعمال"[3].

إذا اعتبرنا أن موضوع التفريق بين الملفوظ والجملة من أساسيات لسانيات التلفظ فإن ذلك يعني "أن الجملة تفترض وجود بنية نحوية ترتد بها إلى مثال من أمثلة النحو ،لأن الملفوظ يرجع تحديد مفهومه إلى ما ينتجه المتلفظ énonciateur في مقام تواصلي ما، ولذا يشترط في الجملة أن تكون مؤلفة تأليفا صحيحا تاما فعليا أو اسميا، بينما قد يكون الملفوظ جملة ناقصة"[4] لذلك نجد لفظا واحدا يكتسي دلالات عديدة.

وقد أدرج **الطيب دبّة** فرقا آخر بين الملفوظ والجملة إذ يقول في هذا المضمار "ومن الفوارق كذلك أنّ الجملة نتاج تفكير نحوي في الأبنية وعلاقاتها الصورية بينما يعدّ الملفوظ نتاجا في التفكير في علاقات العملية التلفظية، ذلك أنّ التلفظ يفترض أن تتحول اللغة فرديا إلى خطاب، وأنّ الملفوظ يتحدّد بكونه جملة في مقام"[5]، وبتعبير آخر فإنّ الملفوظات هي نفسها عناصر الجملة إذا ما أردنا تحديد بناءها النحوي الذي تتركب منه، كما أن الجملة إذا استعملها المتكلم أصبحت ملفوظة، يصاحب عملية التلفظ أو النطق المقام الذي تصدر فيه، كونه هو من يحدّد للمتكلم ما يحيط بالعملية التخاطبية من ظروف وسياقات.

[1] - Oswald Ducrot, le dire et le dit, les éditions de minuit 7, Paris, ed 1, 1984, p177.

[2]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص51.

[3]- عز الدين الناجح، تداولية الضمن والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص90.

[4]- الطيب دبة، اللسانيات وقضايا اللغة العربية، مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، ط1، 2014، ص182.

[5]- المرجع نفسه، ص182.

– **ملفوظ/نص** (**énoncé/texte**): كذلك الحال بالنسبة للنص فإنه "على صعيد أعلى يعتبر الملفوظ وحدة مساوية للنص، أي متوالية لغوية منوطة بمقاصد نفس المتلفظ والتي تشكل كيانا لنوع خطاب معين: نشرة جوية، رواية، مقالة صحفية...إلخ"[1]، ومعنى هذا أنّ كل من الملفوظ والنص تركيب لغوي يحمل آراء وأفكار المتكلم يظهرها للسامع وتكشف له عمّا يكنّه المتكلم، فإذا تلفّظ المخاطب بذلك النص أصبح خطابا ملفوظا.

أما في إطار التمييز بين الملفوظ والنص فإنّ "اللسانيات النصية تستخدم التقابل بين النص والملفوظ، بحيث تعتبر الملفوظ كل ما هو مادي شفوي أو مكتوب وموضوع تجريبي قابل للمشاهدة والوصف، ليس بالنص الذي هو موضوع مجرّد والذي يجب النظر إليه في إطار نظرية تفسيرية لبنيته المعمارية"[2]، مما يدل على أن مصطلح الملفوظ أكثر دلالة على الاستعمال والاستخدام من النص الذي هو مجرد جمل ذات تراكيب لغوية يطغى عليها طابع الجمود، فهي مجردة من السياق الذي يضفي دلالة لغوية على هذه العناصر التركيبية.

- **التلفظ**: يختلف التلفظ عن الملفوظ إذ يعتبر التلفظ هو الفعل والملفوظ هو ما ترتب عن هذا الفعل، وعملية التلفظ زيادة على اعتبارها امتلاك الفرد لنظام اللغة التي يتكلم بها فإنّه يخضع لقيود مختلفة ولربما في مقدمتها نوع الخطاب الذي ينبغي التلفظ في إطاره، مما يعني أنه لابد من مراعاة سياق التلفظ.

وقد تعددت تعريفات مصطلح التلفظ نذكر من ذلك ما أدرجته إحدى الباحثات من تعريفات **لإيميل بنفنست** باعتباره أول من بلور نظرية التلفظ وتعريف **أنسكومبر وديكرو** إذ تقول: "... علم لغة الكلام لم يطرق بابه إلاّ من طرف إيميل **بنفنست** فيعرّف التلفظ ضمنه بأنه إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال، أما بالنسبة **لأنسكومبر** و**ديكرو** فهو عبارة عن نشاط كلامي مؤدى

[1]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص52.

[2]– المرجع نفسه، ص52.

(محقق) من قبل المتكلم في اللحظة التي يتحدث فيها، ولكن أيضا من قبل المستمع في اللحظة التي يستمع فيها"[1]. والملاحظ أن كلاهما ربط مصطلح التلفظ بالأداء وكلاهما أجمع على أنه صادر من فرد متكلم موجه إلى مستمع قد يدلي قولا بدوره للمتكلم بفعل العملية التواصلية المحققة بينهما، زيادة على ذلك فإنّ عملية التلفظ تتسم بكونها آنية من حيث ارتباطها بزمن الاستعمال.

وما ينبغي لنا الإشارة إليه هو أنّ التلفظ يتطلب متكلما ذا كفاية لغوية ،إذ تعد إحدى العوامل التي تسهم وتؤثر في نجاح العملية التلفظية بشكل أو بآخر "فالتلفظ من الناحية الميدانية هو مجموعة من الظواهر المشاهدة عندما نبدأ في الحديث، وضمن فعل تواصلي معيّن، فينبغي أن يكون للفرد ملكة لغوية يقوم بتسخيرها انطلاقا من تداولاته وإلا بقيت تلك الملكة في مواطن اللاملفوظ"[2]، لتدرج تحت مسمى النظام الخارج عن الاستعمال والتأدية أي تركيبا غير منجز.

وصفوة القول أن كلاً من "المتكلم والسامع يشكلان جزئين من الوضعية التلفظية Situation d'énonciation حيث يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه وكذلك ملفوظه (قوله) ويتجسد ذلك في الأحداث الكلامية، والشيء الغالب في هذه الأحداث أنّها تسمح للمتكلم بأن يخصّ نفسه بالحديث، وينظم حوله المعطيات المكانية أو الزمانية أو ما يدعى بمجموع الحيز التخاطبي discursif l'espace"[3].إن هذه العناصر غير اللغوية تسهم في بناء وضعية تخاطبية تقوم في جوهرها على عملية التلفظ.

2. الفعل اللّفظي:

في إطار المفهوم السائد حول إنجازية اللفظ وأننا حين نتكلم فإنّنا ننجز أفعالا بما نقول فقد تناول **أوستين** مفهوم الفعل اللفظي (أو التعبيري) كأحد ثلاثة جوانب تفرعت عن الفعل الكلامي على غرار الفعل الإنجازي والفعل التأثيري.

[1]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ص93-94.
[2]- المرجع نفسه، ص98.
[3]- المرجع نفسه، ص94.

إن الفعل اللفظي "هو الذي يتكون من النطق بأصوات لغوية ينظمها تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التركيب، وله مرجع يحيل إليه"[1]، بحيث يشكّل اللفظ دالاّ وتمثلا عقليا صوتيا، أما المدلول فهو مفهوم ذلك اللفظ.

والفعل اللفظي في سياق آخر "هو الذي يتحدّد في الأصوات اللغوية التي يتلفظ بها المتكلم والتي تنتظم في تركيب نحوي يجعل لها دلالة ،أو هو الفعل الذي يعني النشاط اللغوي الصرف ويُقصد بذلك الأصوات التي يخرجها المتكلم والتي تمثل قولا ذا معنى، وهو أيضا نتاج جملة مزوّدة بمعنى ومرجع وهذان العنصران يكوّنان الدّلالة signification بالمعنى التقليدي للكلمة"[2]، والذي نلاحظه جليّا هو أن المستويات اللغوية ابتداء من المستوى الصوتي، وصولا إلى المستوى الدلالي مرورا بالمستويين الصرفي والتركيبي هي التي تشكل لنا فعلا لفظيا، وبهذا فإنّ الفعل اللفظي يتفرع إلى ثلاثة أفعال صغرى:[3]

- **الفعل الصوتي**: هو دائما أداء فعل نطق أصوات معينة والمنطوق هو الصوت.
- **الفعل الصرفي التركيبي**: هو دائما فعل نطق ألفاظ أو كلمات معينة تنتمي إلى مفردات لغوية معينة، وفي تركيب محدّد، يعني طبقا لنحو محدّد، وبتنغيم معيّن...إلخ، والمنطوق الذي يكون فعلا للنطق هو الوحدة الصرفية التركيبية.
- **الفعل الدلالي**: وهو أداء فعل استعمال الوحدة الصرفية التركيبية أو مكوناتها بمغزى معيّن محدّد تقريبا، وإشارة محددة تقريبا، والمغزى والإشارة يساويان المعنى والمنطوق هو الوحدة الدلالية.

وما نستخلصه هو أن الفعل اللفظي يتشكل إثر وقوع هذه الأفعال الثلاثة في كلٍّ متكامل وليس كل فعل بمعزل عن الآخر عن طريق إصدار المتلفظ لوحدات لغوية ضمن متتاليات كلامية تحمل بعدا دلاليا تعبيريا.

[1]- أحمد كنون، التداولية بين النظرية والتطبيق، دار النابغة، القاهرة، ط1، 2015، ص358.
[2]- المرجع نفسه، ص359.
[3]- المرجع نفسه، ص360.

تشكل ثنائية الملفوظ والتلفظ أهم مباحث نظرية التلفظ ككل، وقد أتت هذه الثنائية كبديل عن ثنائية الدال والمدلول في اللسانيات الحديثة ولكن مع تحفّظ على هذا القول، فإذا كان الدّال هو الصورة السمعية حسب مفهوم **دي سوسير** فإنّ الملفوظ هو كذلك نطق متكلم لوحدات لغوية تتشكّل أساسا من صوامت وصوائت، أما عن المدلول وهو الصورة الذهنية التي تدلّ عليها هذه الوحدات اللغوية في الخارج، فإنّه يرتكز أساسا على فعل التلفظ وهو فعل قول الدّال بشكل سليم بحيث تمكننا هذه التراكيب من فهم المعنى المقصود داخل سياق التلفظ.

المبحث الثالث: تحليل الخطاب حسب نظرية التلفظ

أشرنا فيما سبق أن مصطلح الملفوظ قرين بمفهوم الخطاب بل هو نفسه في بعض الأحيان بحيث يشكّل الملفوظ في عدة مواقع من الكلام خطابا، "فإذا كان الملفوظ هو الإنجاز القولي والتاريخي للجملة فإن الخطاب هو مجموعة من الملافيظ والحقيقة أن هاريس هو أول من أثار قضية الخطاب في اللسانيات مثلما أثار بنفنست الملفوظ في اللسانيات التلفظية"[1] وغيرها من المصطلحات التي ترتبت بعد ذلك. وقبل الخوض في مسألة تحليل الخطاب حسب نظرية التلفظ ينبغي لنا أولا الوقوف عند مفهوم مصطلح الخطاب.

1.تعريف الخطاب (le discours):

يعرّف **دومينيك مانغونو** الخطاب بقوله "إن المصطلح الخطابي من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات يحيل على نوع من التناول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدّد، فاللغة في الخطاب لا تعدّ بنية ارتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة"[2].ولعلّ تعريفه هذا يكتسي

[1]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، ص92.

[2]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ص38.

نوعا من المقارنة بين النص والخطاب، بحيث ينظر "إلى الخطاب بأنّه ارتباط للنص بسياقه"[1] أو هو بمعنى آخر نص زيد إليه الظروف التي تحيط بالعملية التخاطبية، وهو نص ملفوظ كذلك.

والخطاب أيضا هو: كل ملفوظ/ مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة على الذات. ويفاد من هذا ثلاثة أمور:[2]

أولا: تحييد الثنائية التقابلية جملة/ خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.

ثانيا: اعتماد التواصلية معيارا للخطابية.

ثالثا: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب بحيث أصبح من الممكن أن يعدّ خطابا نص كامل، أو جملة، أو مركّب، أو ما أسميناه في مكان آخر شبه الجملة.

من خلال ما سبق من تعريفات نستنتج أن الخطاب يأتي على شكلين: ملفوظ أو مكتوب، ملفوظ يعني أنّه يعتمد على نطق الكلمات أو الجمل، أو هو نصوص متلفّظ بها، أما أن نقول عنه خطاب مكتوب فذلك يعني أن هذه التراكيب (كلمات، جمل، شبه جملة، نص) لم يتلفّظ بها، واعتماد الخطاب هنا على كل أحجام الوحدات اللغوية التي يتشكّل منها يدلّ على أنه يقصي تماما معيار الحجم من حيث طبيعته.

يرى **دومينيك مانغونو** أنه "لكي يكتسي الخطاب قيما دلالية أكثر دقّة ينبغي أن يدخل في سلسلة من التقابلات والتي من بينها خطاب/جملة؛ خطاب/نص؛خطاب/ملفوظ؛ خطاب/لغة..."[3]. وما يهمّنا في هذا الحقل البحثي هو ثنائية خطاب/ ملفوظ.

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ص40.

[2]- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص24.

[3]- ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ص38-39-40.

خطاب/ ملفوظ (discours/énoncé):

نوضح الفرق بين الثنائيتين في هذا القول "فضلا عن طبيعته وحدةً لغوية (الملفوظ) فإنّ الخطاب يشكّل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معيّنة، أي كل ما هو من قبيل نوع خطابي معين: نقاش متلفز، مقالة صحفية، رواية...الخ، من حيث هذه الوجهة يحيل الملفوظ والخطاب على وجهتي نظر مختلفتين، إذ إن النظر الملقى على النص من حيث بناؤه اللغوي يجعل منه ملفوظا، أما الدراسة اللغوية لظروف إنتاج هذا النص فتجعل منه خطابا"[1]، وبهذا يصبح الخطاب والملفوظ شيئا واحدا إلى حدٍ ما، حيث أن كلّا منهما صادر من ذات متكلمة تمثّل المخاطِب في تحليل الخطاب والمتلفِّظ في نظرية التلفظ، بينما يمثل المستمع المخاطَب في لسانيات الخطاب والمتلقي أو المُتلقَّظ له في لسانيات التلفظ، في حين تسمى الظروف التي تحيط بالعملية التواصلية في تحليل الخطاب السياق التخاطبي، هذا الأخير الذي يُعرف في نظرية التلفظ بسياق التلفظ.

يشكّل كل من المخاطِب، والمخاطَب، ومكان الخطاب، وزمن التخاطب، الرسالة...الخ عناصر الخطاب، وقد جمعها آن ريبول وجاك موشلر في تعريف الخطاب بقولهما حوله بأنّه "نشاط إنساني، منطلقه عموما حدث مخصوص أو مثير، يتواصل بواسطته متكلم ما مع مخاطب مستعملا إشارات لفظية منظمة حسب شفرة مشتركة"[2] بين كل من المتكلّم والمستمع بهدف الفهم والإفهام.

يرتكز تحليل أي خطاب على العناصر التي ذكرنا سابقا، فهو "تحليل استعمال اللغة أو هو دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية"[3]، وهذا يدلّ على أن عنصر التفاعل في الخطاب بين المتلفظين مطلوب.

---

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ص38-39.

[2]- جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص51.

[3]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ص9.

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ" أنّ السجّال بين اللسانيات التلفظية واللسانيات الخطابية لو أمعنا النظر لوجدناه في الحقيقة سجّالا على المصطلحات فحسب في أغلبه، وإن تعدّدت آليات كل فرع منها في مستوى المعالجة لموضوع الاختيار سواء أكان ملفوظا أم خطابا فإنّ الآلية واحدة والمقصد أوحد، ألا وهو المعنى وانسجامه Cohérence"[1]. والدّليل على ذلك أن حدود الفعلين التلفظ والتخاطب متقاربة في كثير من الأحيان.

2.عناصر الخطاب/ التلفظ:

المخاطِب/ المتلفظ وعلاقته بالمخاطَب:

انطلاقا من تعريف **بنفنست** للخطاب بأنّه "كل تلفّظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[2] ، فإنّ ضرورة وجود متكلم ومتلقي في الخطاب حتمية ذلك أن العملية التلفظية للخطاب تقوم أساسا على متلفّظ لهذا الخطاب يعكس شخصه من خلال تعبيره عن أفكاره وآرائه إزاء أمر ما، وطرف آخر يتمثل في المتلقي لهذا الخطاب متأثّر بطريقة أو بأخرى بما يتلفّظ به المخاطب.

ولعلّ الخطابات الدينية والإشهارية والسياسية هي أخصب حقل لتطبيق وتجسيد هذه الثنائية المتلفظ/ المخاطَب باعتبارها أحد أصناف الخطاب من حيث الموضوع على غرار أصناف أخرى: علمي، إيديولوجي، تاريخي... إلخ،" إذ يقدَّم هذا الخطاب السياسي على أنّه موسوم Marqué بطريقة شخصية، أي أنّه متصل بذات تتجلى فيه معبّرة عن رأيها أو وجهة نظرها مشيرة إلى تجربة ما، فهو خطاب مباشر لُفظ من قبل المتكلم دون أن يتلاشى الكاتب أو يلغي وجوده وموقفه"[3]، فيقف المخاطِب (المتلفِظ) هنا موقف الناقل لمضمون الخطاب، فإذا "استخدم المتكلم النمط اللغوي المميّز للكاتب في التعبير لا نمطه هو تصبح الظاهرة الخطابية واضحة بطريقة ملموسة، إذ من المعروف أنّ

[1]– عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، ص91.

[2]– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997، ص19.

[3]– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص160.

اللهجة والطريقة الخاصة تميز المتلفظ وتبرز انتمائه إلى مذهب ما، جماعة ما... وإعادة تلفظها يفيد إبراز هذا الانتماء مما يؤدي إلى مجال المحاكاة، محاكاة الآخرين في كلماتهم بطريقة ساخرة أو تهكمية وإضفاء صورة الكاتب على كلامه في ملامح الوجه وقسماته"[1]، إذ تشكل هذه الأخيرة – ملامح الوجه وقسماته– أحد أهم عناصر التواصل غير اللفظي، والتي تسهم إلى حدّ كبير في التأثير على المستمع من خلال تعزيز المعاني والدّلالات، حيث يقف موقف المتفاعل لا المتلقي السلبي للخطاب.

وبما أنّ الخطاب أنواع فإنّ أحد أنواعه المتمثّل في الخطاب السياسي يتكوّن عادة من متلفِّظ (مخاطِب) وجمهور (متلقين)، غير أن تحليل الخطاب السياسي يتجاوزهما إلى "دراسة التواصل السياسي في المجتمع، سواء بالنصوص أو الكلام أو الصور أو الإشارات أو الرموز أو غيرها من العلامات، من خلال تحليل بناءه اللغوي (الألفاظ) والسيميوطيقي وأداءه (عملية التلفظ)، وتلقيه وتأثيره (الفعل اللفظي التعبيري) والإستجابة له"[2]، بحيث تكون هذه الإستجابة بمثابة ردّ فعل للجمهور المخاطَب "الذي ينقسم بدوره إلى فئتين ذلك أنّه ليس في نفس المستوى ولا عنده نفس الإيديولوجية فهو جمهور غير متجانس ويمكن اعتباره متجانسا إذا تطابق فكر جمهور المتلقي مع فكر المخاطِب"[3] وهو ما تقوم عليه خطابات الدعايات الإشهارية، فنجد المشهر أو المصنع ينتج خطابا يتطابق وأهدافه ومراميه من جهة، وكذا استجابة للجمهور ومتطلباته وأفكاره ومستوى لغته من جهة أخرى.

وما ينبغي التوضيح له هو أنّ للأسلوب أو طريقة التلفظ بالخطاب دور مهم هنا ذلك أنّ "المخاطِب إذا لم يكن مالكاً للمعارف فلن يكون في مركز قوّة في الدورة التخاطبية، لأنّه هو المتحكّم في الإرسال ونوع المعلومات التي يرسلها، معلومات ينبغي أن يعترف المتلقي بأنّها أفادته وإلاّ ليس هناك فائدة للخبر والإخبار مما يؤدّي إلى ردود أفعال سلبية من جانب المتلقي تجعله يملّ ولا يكترث

[1]– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص168.

[2]– عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والأفاق، مجلد البلاغة وتحليل الخطاب، ع6، المغرب، 2015، ص111.

[3]– ينظر: حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص169.

بالخطاب الملقى والموجّه إليه"[1]، والذي نرومه من هذا هو أنّ علاقة المتكلم بالمخاطِب هي علاقة تأثيرية تأثرية صريحة كانت أم ضمنية.

المكان والزمان في الخطاب:

تشكّل ثنائية الزّمان والمكان في الخطاب السياق العام الذي تجري فيه العملية التواصلية بين أطراف الخطاب (مخاطِب –مخاطَب) لغرض تواصلي معيّن، إذ "إنّ الحديث عن الزمان والمكان مرتبط بالحديث عن علاقة المخاطِب بالوضعية التواصلية وبالسياق الذي يجري فيه الخطاب، فتحديد الزمان والمكان أثناء وضعية التخاطب مرتبط بلحظة بداية ولحظة نهاية الخطاب"[2] ذلك أهو ماضٍ أم مضارع، أم مستقبل، في البيت، في المدرسة، في القاعة، في مؤسسة ما... إلى غير ذلك.

وفيما يلي سنتناول كل من الزمان والمكان على حدى:

أولا: مكان الخطاب:

ويسمى كذلك الإطار المكاني للخطاب وهو "المكان الذي يحدث فيه الخطاب (شقة خاصة، أو غرفة نوم محددة، محل تجاري، مطعم، مقر طبي...) هل هو مكان مفتوح، مغلق، عام أم خاص، ضيّق أم شاسع، كيف يقدّم الديكور والتنظيم التقريبي للمكان (الوضعية الخاصة بالمشاركين: وجها لوجه، أحدهما إلى جانب الآخر، المسافة التي تفصل بينهما)"[3]، فهي صيغ إبهامية دالّة على المكان أثناء التعبير الخطابي "فدلالة المكان المرجعية لا تتجلى إلاّ من خلال تلك النقطة في الفضاء الذي يتحقّق فيه الكلام، فقولنا: إنّ زيدا هناك بالبادية. يشير إلى أنّ زيدا موجود على مقربة أو بعيدا عن المكان الذي يقف فيه المتكلم الناطق لتلك الجملة، فوضعية المتكلم أثناء الكلام هي التي تدلّه على

[1]– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص170.

[2]– المرجع نفسه، ص170.

[3]– حمو الحاج ذهبية، التداولية واستراتيجية التواصل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015، ص76.

البعد أو القرب، أو الأمام، أو الوراء، أو فوق، أو تحت... إلخ"[1]، كل هذا يدلّ على أنّ عنصر الكلام في الخطاب عنصر فيزيائي ملموس.

يشير مصطلح الإشاريات إلى مجموع "العناصر الإشارية التي تحيل إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم ووقت التكلّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطِب أو على السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا الكلمات مثل هذا وذاك، وهنا وهناك، ونحوها إلاّ إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه"[2]، فالمحيط اللغوي الذي استخدمت فيه هذه المبهمات المكانية هو الذي يساعد على تحديد مكان التلفظ، "إذ يتأسس المكان في تلك النقطة من الفضاء التي يتواجد فيها أثناء الحديث (لحظة التلفظ) فإن قلنا مثلا: خديجة هنا/ في الجامعة، يتعين أنّ خديجة على مقربة من المتحدث الموجود أثناء قوله في الجامعة"[3]، وهو مشهد حقيقي يعبّر عن مقصد المتكلم في وصف مكان تواجد خديجة.

وللتوضيح تتوزع المبهمات المكانية إلى قسمين:[4]

-**أسماء الإشارة (Démonstratifs)**: هذا، هذه، هؤلاء، هذان... وهي تضم أيضا ما يجمع بين المعنى المعجم والقيمة الإبهامية مثل: تلك الطاولة.

-**الظروف (Adverbes)**: وتسمى أيضا المبهمات الظرفية وهي تتوزع إلى أنظمة صغيرة متقابلة Micro structure opposées مثل: هنا/ هناك، يسار/ يمين، خلف/ أمام، قرب/ بعد... تضمن

[1]- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط1، 2013، ص81.

[2]- أحمد كتّون، التداولية بين النظرية والتطبيق، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة، القاهرة، ط1، 2015، ص124. (بتصرف)

[3]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص124.

[4]- المرجع نفسه، ص124-125.

هذه الأنظمة قيمتها انطلاقا من الإشارة، وضعية وتوجيه جسم المتحدث، وكل تعديل في الوضعية يعني تعديلا في المكان.

من خلال ما سبق ذكره "فإنّ الشيء الذي يحدّد المكان (القرب- البعد- الخلف، الأمام...) هو وضعية المتكلم في لحظة حديث، وكذا إشارته، يقول **مانغونو**: تتحدد المبهمات المكانية بوضعية المتكلم: وضعيته الجسدية Position physique إضافة إلى إشاراته Gestes لكن تحديد الوضعية ليس الوسيلة الوحيدة لتحديد المكان، فإلى جانب الاستعلام النسبي للمتكلم نجد الاستعلام المطلق، والاستعلام السياقي Repérage contextuel الذي يعتمد على عامل واحد من السياق اللغوي Contexte linguistique مثل قرب المحطة، خلف الطاولة، يسار المستشفى..."[1]، كل هذا التحري في الدّقة لضبط مكان الخطاب أو مكان التلفظ إنّما هو بهدف "فهم الخطب وكذا إعانة المتكلم على تبليغ مقصده، فاستدعاء الإشاريات المكانية في الخطب يثري الخطاب ويصنع التواصل بين طرفي الخطاب، إذن فالإشاريات المكانية عناصر تواصلية يتواصل عن طريقها المتكلم والمخاطِب من أجل تحقيق الغرض من الخطاب، فالمقصد هو الأصل وكل ما يدور حول الخطاب هي عوامل مساعدة للوصول إلى الأصل وهو مقصد المتكلم"[2] الذي ينطلق أساسا من الفضاء الذي يتلفظ فيه.

ثانيا: زمان الخطاب: قلنا فيما سبق أن مكان الخطاب يتأسس من الفضاء الذي يتلفظ به المتكلم كذلك الحال بالنسبة للإطار الزماني الذي "يحدّد زمان وقوع الخطاب أو أيّ تبادل خاص أو مميّز مثلا: تحديد اللحظة التي يجب فيها إلقاء التحية، انطلاقا من متى وإلى متى من الملائم تقديم التهاني الخاصة برأس السنة الميلادية، فمن المهم للعمل التخاطبي الجيّد والناجح أن نقول قولا ملائما وفي الوقت الملائم تطبيقا إلى ما ذهب إليه العرب في قديم الزمان بمقولتهم الشهيرة «مراعاة المقام مقتضى

[1]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص124.

[2]- أحمد كنون، التداولية بين النظرية والتطبيق، ص127. (بتصرف)

الحال» أو «لكل مقام مقال»"[1] لأن زمان التخاطب يختلف من لحظة إلى أخرى بسبب العوامل التي تؤثر فيه فهي التي تصنع لنا سياق التخاطب أو التلفظ.

في هذا الإطار دائما "ميّز **بنفنست** بين الزمن الفيزيائي الذي هو زمن استمراري ومنتظم يتميّز بالخطية واللانهاية، والزمن التاريخي وهو يرتبط مباشرة بحياة الإنسان باعتبارها مجموعة متتابعة من الأحداث منذ الولادة حتى الوفاة، إذ يمكن للإنسان أن يجول بفكره في اتجاهين متعاكسين من محور الزمان من الماضي إلى الحاضر والعكس، عن طريق الذاكرة، والأحداث هنا ليست الزمن إنما هي متضمنة فيه. وزمن الخطاب أو الزمن اللغوي هو زمن التلفظ وهو يتمحور في الحاضر الذي يشكل مرجعيته، أما الأزمنة الأخرى (الماضي بكل تفرعاته والمستقبل) فتحديدها يتم من خلال علاقتها بالحاضر"[2]، فيواكب الخطاب الحدث من خلال ارتباط الفعل بالزمن.

في نفس السياق دائما يقول **بنفنست**: "كلما استعمل المتكلم في الخطاب الصيغة النحوية الدالة على الحاضر جعل الحدث متزامنا لحال الخطاب"[3]، وهذا ما يترجم قولنا سلفا حول مواكبة الخطاب للحدث عن طريق مجموعة متتابعة من القرائن اللغوية، وكذا الصيغ الإبهامية الدالة على الزمن، وفيما يلي أمثلة عن الصيغ اللغوية والإبهامية الدالة على الزمن وصيغ لغوية أخرى تدلّ على الزمن لكنها ليست الإبهامية اقترحها **أوركيوني**[4]:

[1]- حمو الحاج ذهبية، التداولية واستراتيجية التواصل، ص76.

[2]- عمر بلخير، مقالات في التداولية وتحليل الخطاب، ص80.

[3]- المرجع نفسه، ص80.

[4]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص118، وينظر أيضا: عمر بلخير، مقالات في التداولية وتحليل الخطاب، ص81.

	الظروف المبهمة	الظروف غير المبهمة
التزامنية	الآن	في ذلك الوقت، إذا
القبلية	الأمس، الأسبوع الماضي، قبل ساعات، منذ قليل، اليوم	في ذلك اليوم، بعد مرور أسبوع، ساعات قبل ذلك
البعدية	غدا، في الأيام المقبلة، فيما بعد، بعد يومين، السنة القادمة	اليوم الموالي، السنة الموالية، بعد مرور يومين
الحيادية	اليوم، هذه الصائفة، هذا الصباح	في يوم آخر

وإن تعسّر الأمر في تحديد زمن المبهمات الحيادية Neutre، فإنها تساهم في جعل المتكلم يوظف الأزمنة الثلاثة مثل قول أحدهم لحظة وفاة عزيز له:[1]

- اليوم سئمت الحياة.
- اليوم أنا سئمت الحياة.
- اليوم سأسأم الحياة.

يمكن مقابلة هذه الصيغ بالأزمنة التي تواكبها:

الجملة الأولى: الحاضر ⟵ الماضي.

الجملة الثانية: الحاضر ⟵ الحاضر.

الجملة الثالثة: الحاضر ⟵ المستقبل.

ما نلاحظه من خلال هذه المقابلة بين الصيغ والأزمنة أن الحاضر هو الذي يحدّد زمن الخطاب الأصلي سواءً كان ماضيا أم حاضرا أم مستقبلا.

[1]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص118.

الفصل الأول:

آليات التحليل التداولي للخطاب

توطئة:

تعدّ التداولية المولود الجديد للدراسات اللسانية الحديثة والتي تهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال أي دراسة اللغة الإنجازية التي تراعي مقاصد المتكلمين واستراتيجياتهم الخطابية وكذا نفسيات المتلقين وظروف إنتاجاتهم اللغوية، وتراعي التداولية أيضا المكانة التي يحتلها كل طرف في الخطاب، الاجتماعية منها والخطابية على حدّ سواء بالإضافة إلى الاهتمام بموضوع الخطاب في حدّ ذاته.

تعتبر هذه العناصر بمثابة آليات لتحليل أي خطاب تحليلا تداوليا والتي تجاوزت بها التداولية الدراسات البنيوية الصّورية التي كانت سائدة آنذاك في دراسة اللغة، وقد ارتأينا أن نتناول في هذا الفصل –آليات التحليل التداولي للخطاب– الآليات الآتية:

- القصدية في الخطاب.
- السلطة في الخطاب الحجاجي.
- الاستراتيجيات التخاطبية.
- القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام.

انطلاقا من اعتقادنا بأنّ القصد في القول أو الفعل هو الركيزة الأساسية لقيام الخطابات بين المتحدثين الذين لا شك وأنّ لكل طرف منهم سلطة معينة يحتلها داخل الخطاب ويفرضها على الطرف الآخر، كما أنّ استعمال اللغة بين المتكلمين وتحقيق التواصل بينهم لا يمكن أن ينجع ما لم يبنى على استراتيجيات خطابية تنجزها أفعال الكلام التي لها أغراض إنجازية وقوة إنجازية أيضا.

المبحث الأول: القصدية l'intentionnalité

يهتم هذا المبحث بدراسة مبدأ القصدية من الوجهة التداولية باعتباره آلية من آليات التحليل التداولي من جهة، من وجهة أخرى هو مبحث فلسفي لغوي نشأ في أحضان فلسفة اللغة مع ثلّة غير قليلة من فلاسفة التحليل اللغوي، الذين أولوا لمفهوم المعنى أو الإبلاغ اللغوي أهمية قصوى. فالقصدية هي ما يتوجّه به المتكلم من أقوال تعبّر عن رغبته في توصيل شيء ما أو إبلاغه لمتلقيه هذا الأخير يسعى بدوره إلى الكشف عما أراده المتكلم أن يكون عالما به.

قبل أن نتحدث عن القصدية في الفكر التداولي لابد لنا أن نقف عند تعريف هذا المفهوم لغة واصطلاحا:

1.تعريف القصد:

القصدية لغة: تشتق كلمة القصدية من الفعل الثلاثي قَصَدَ "وقد ورد في معجم العين: قَصَدَ، يَقْصِدُ، قَصْدًا، فهو قاصِدٌ، والقَصْدُ استقامة الطريق، والقصد في المعيشة ألّا تُسرفَ ولا تُقَتِّرَ، والقَصدُ في الحديث: ما عَالَ مُقتَصد ولاَ يَعيل"[1].

كما جاء في لسان العرب: "قَصَدَ: القَصْدُ استقامة الطريق، والقَصْدُ اتبان الشيء، تقول قَصَدْتُهُ، وقَصَدْتُ له، وقَصَدْتُ إليه بمعنى، وقد قَصَدْتُ قُصَادَةً، (...) وفي الحديث القَصْدُ، القَصْدَ تبلغُوا: أي عليكم بالقَصْدِ من الأمور في القول والفعل"[2].

والملاحظ من التعريفين السابقين أنّ كُلَّ معاني القصدية لغةً تدور حول مفاهيم: الاستقامة، التوجّه، عدم الإسراف، الاقتصاد في الحديث والإبانة عنه حتى يُبلِّغَ المتكلم قصده للمتلقي.

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ترتيب وتح: عبد الحميد هنداوي، ج3، باب القاف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص393.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ج، 2009، ص 433-434.

القصدية اصطلاحا: باعتبار التعريف الاصطلاحي تعريفاً خاصًا فإنّ القصدية عُرّفت بحسب كل علم تُنوولِت فيه:

المقاصد شرعا: عرّفها **الطاهر بن عاشور** (ت1393هـ) بقوله: "المقاصد الشرعية نوعان: معانٍ حقيقية، ومعانٍ عرفية عامة ويشترط في جميعها أن يكون ثابتا، ظاهرا، منضبطا، مُطّرِدًا"[1].

ويوضح لكل صنف منها بما يلي:[2]

المعاني الحقيقية: فهي التي لها تحقّق في نفسها بحيث تُدرِك العقول السليمة ملائمتها للمصلحة أو منافرتها لها –أي تكون جالبة نفعاً عامًا أو ضررًا عامًا– إدراكًا مستقلاً عن التوقُّف على معرفة عادة أو قانون، كإدراك كون العدل نافعًا، وكون الاعتداء على النفوس ضارًّا، وكون الأخذ على يد الظالم نافعا لصلاح المجتمع.

المعاني العرفية العامة: فهي المجربات التي ألفتها نفوس الجماهير واستحسنتها استحسانا ناشئا عن تجربة ملاءمتها لصلاح الجمهور، كإدراك كون الإحسان معنى ينبغي تعامل الأمّة به، وكإدراك عقوبة الجاني رادعة إيّاه عن العود إلى مثل جنايته، ورادعة غيره عن الإجرام، وإدراك كون القذارة تقتضي التطهّر. والملاحظ من قول **ابن عاشور** في تعريفه للمقاصد وأنواعها أنّه جعل المقاصد مرادفة للمعاني التي يشترط أن تكون فيها صفات من قبيل:[3]

1– الثبوت: وهو أن تكون تلك المقاصد مجزوما بتحققها، أو مظنونا ظنا قريبا من الجزم.

2– الظهور والاتضاح: بحيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم مشابهة.

3– انضباط المعنى: بحيث يكون له حدّ معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه.

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تق: حاتم بوسمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 2011، ص83.

[2]– المرجع نفسه، ص83–84.

[3]– المرجع نفسه، ص84–85.

4– الاطِّراد في المقصد: فلا يختلف المعنى باختلاف أحوال الأقطار، والقبائل، والأعصار.

القصد عند النحاة:

ذكر **مسعود صحراوي** أن القصد في "تصوّر نحاتنا القدامى يراد به مبدأ الغرض، الذي هو الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، وعليه تكون مراعاة الغرض من الكلام في عرف أغلب النحاة قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة"[1]، فـ**السيوطي** (ت911هـ) مثلا يربط صناعة النحو بمطابقة الألفاظ للمقاصد أو عدم ذلك، إذ يقول: "... وصناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد للمعاني، وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء، وهو في المعنى مسند إلى شيء آخر إذا علم المخاطِب غرض المتكلم وكانت الفائدة في كلا الحالين واحدة، فيجيز النحويون في صناعتهم: «أُعْطِيَ دِرْهَمٌ زَيْدًا» ويرون أن فائدته كفائدة قولهم «أُعْطِيَ زَيْدٌ دِرْهَماً» فيَسْندون الإعطاء إلى الدرهم في اللفظ، وهو مسند في المعنى إلى زيد... وهذا اتكالا على فهم السامع الذي ليس هو بشاعر وإنما هذا من كلام العرب الفصيح المتعارف بينها في محاوراتها"[2]، وقوله هذا يدّل على أنه كي يتحقق مبدأ الغرض (القصد) لابد أن يعرف المتكلم سامعه وكذا مستواه ودرجة فهمه.

إذا علمنا أن القصدية تقوم على فعل التواصل القائم أساسا على اللغة، فإنه ينبغي لنا معرفة أَنَّ القصد بطلب الأشياء هو "التَوجه بلفظ معيّن يؤديه متكلم معيّن في سياق ومقام معيّن وموجّه إلى

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، يوليو، ط1، 2005، ص200-201.

[2]– جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: ابراهيم محمد عبد الله، ج3، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص172-173.

مخاطَب معيّن، لأداء غرض تواصلي معيّن، وليس مجرد منظومة من القواعد الذهنية المجردة"[1] لتحقيق عملية تخاطبية ناجعة ترتكز بالضرورة على مقصدية بين المرسِل والمرسل إليه.

القصدية في الدراسات اللغوية الحديثة:

يُعرّف **سيرل** (**Searle**)* القصدية بقوله: "إن القصدية صفة للحالات العقلية، والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليه، فإذا كان هناك اعتقاد ما مثلا فإنه لابد أن يكون خاصا بهذا أو بذاك أو أن تكون الحالة كذا وكذا، فحين أشعر بالخوف فلابد أن يكون خوف من شيء ما أو من توقع حدوث شيء ما، وإذا كانت لديّ رغبة لابد أن تكون رغبة في حدوث شيء أو أنّ شيئا يجب أن يحدث، وحين يكون لدي قصد معيّن يجب أن يكون قصدا لفعل شيء ما. وهكذا يكون الوضع في جميع الحالات"[2]، وتعريف **سيرل** هذا للقصدية ربط فيه التوجه نحو فعل الأشياء وكذا إدراك المواضيع الموجودة في العالم الخارجي بالعقل، كون عملية الإدراك ترتكز أساسا على الوعي في فهم مقاصد الموضوعات.

تطرقنا فيما سبق ذكره إلى كل من التعريفين اللغوي والاصطلاحي لمفهوم القصدية، وسنتعرض إلى المقصدية في الفكر التداولي، لكن قبل ذلك لابد لنا أن نشير إلى نشأة هذا المفهوم وتطوره، وكذا حدوده إلى غاية وصوله إلى الدراسات التداولية واعتباره آلية من آليات التحليل التداولي الأساسية في الخطاب.

بداية نشير إلى أنّ "القصد يُعدّ في الدراسات التي عُنيت بتقصي المعنى واحدًا من أهم الأساسيات التي يبني عليها البعض تفريقا بين مجال الدّلالة ومجال التداولية، ف**جيفري ليتش**

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص203.

* **سيرل جون روجر Searle John Roger**: فيلسوف أمريكي ولد سنة 1932، من ممثلي فلسفة التحليل اللغوي، تابع خط فتغنشتاين، أكد على أهمية أشكال الايصال اللغوي التي لطالما أهملها الفلاسفة، من مؤلفاته أفعال الكلام 1969، فلسفة اللغة 1971، ص 382. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 2006، ط3، 382.

[2]–جون سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2009، ص21.

Geoffrey leech أستاذ اللسانيات في جامعة لونكاستر يرى أن الفرق بين المجالين يتوقف على تفريقنا بين الجملتين التاليتين: 1- ماذا تعني (أ) ؟ / 2- ماذا تعني أنت بـ (أ)؟ إن الفرق بينهما في نظر **ليتش** هو أنّ مجال الدلالة يهتم بالمعنى في ذاته (الجملة 1) بغض النظر عن سياقه ومقامه والمتحدث به أو المتحدث إليه أو غير ذلك من العناصر التي يتطلبها التخاطب، في حين تستحضر التداولية لفهم المعنى عنصر المتكلم أو مستعمل اللغة (الجملة 2) مع ما يقصده من مقاصد"[1] يوّد إبلاغها لمخاطبيه.

2. تاريخ نشأة مفهوم القصدية:

إن الحديث عن نشأة مفهوم القصدية هو البحث في أصل ظهور هذا المصطلح عموما، إذ هو "مصطلح ابتكره المدرسيون في العصر الوسيط، وهو مشتق من الفعل اللاتيني intendo، ويعني حرفيًّا الشدّة أو المدّة، أي الاتجاه نحو شيء أو الامتداد نحوه، وقد أشارت الظواهر القصدية بهذا المعنى إلى شيء خارجها أو تتجه إليه، ثم سرعان ما استخدموا -المدرسيون- في القرنين الثالث والرابع عشر كلمة intendo كمصطلح فنّي يدل على المفهوم، وكان هذا المصطلح ترجمة لمصطلحين عربيين هما: «المعقول ma'qul» وهو ترجمة **الفارابي** (ت339هـ) للكلمة اليونانية noema، ومعنى «ma'na» وهو مصطلح **ابن سينا** (ت427هـ) الذي وضعه للشيء الذي يوجد أمام العقل في التفكير. وفي هذا السياق يمكن النظر إلى مصطلحات intentio ، ma'na ، ma'qul ، noema على أنّها مترادفة على نحو واسع، إذ يراد بها جميعا أن تكون مصطلحات للأفكار والمفاهيم أو كائنا ما كان الشيء الذي يكون أمام العقل في التفكير. وترجم المدرسيون كلمة intentio إلى الإنجليزية على أنّها intention"[2].

[1]- إدريس مقبول، في تدوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج28، ع5، مكناس، المغرب، 2014، ص1211.

[2]- صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، كلية الآداب، جامعة القاهرة، إدارة انتاج الكتاب بالمركز، دط، 2015، ص130.

والحق أن مصطلح القصدية "طرح مشكلة اشتقاقية لسانية باعتباره يتقاطع مع عدة مصطلحات أخرى متشابهة كتابة ومعنى، وينتج عن هذا اضطراب في تحديد المفهوم، وتشعّب في المسار الدلالي يتطلب الدقة والحذر عند استعمالها، ولهذا السبب ظلّ مفهوم القصدية مستعصيا عن التحديد يختلف من فلسفة إلى أخرى"[1]، من هذه الاشتقاقات نجد: القصدية، المقصد، المقصدية، المقاصد، النية، المعنى... إلخ.

وقد "تابع مناطقة العصور الوسطى **الفارابي** في التمييز بين المقاصد الأولى والمقاصد الثانية فالمقاصد الأولى هي المفاهيم التي تعنى بالأشياء خارج العقل، الأشياء العادية وملامح الأشياء، أما المقاصد الثانية فهي المفاهيم التي تتعلق بالمقاصد الأخرى"[2]، فمفهوم الكمبيوتر مثلا: له قصد أوّل يتعلق بما هو خارج العقل (شكله، لونه، مرفقاته...)، لكن مفهومه في عقلي يختلف عن تصوره في الواقع، فأنا أقصد كمبيوترا محدّدًا (بمواصفات معينة، نوع معين، ماركة مميزة...) وبهذا يختلف القصد العقلي مع القصد الواقعي للأشياء الذي له وجود فيزيائي.

وقد عرفت القصدية إحياءين منذ ذلك الحين "جاء الإحياء الأول لمصطلح القصدية في القرن التاسع عشر على يد **برنتانو** (**Brentano**) في كتابه علم النفس من وجهة نظر تجريبية عام 1874م، ورأى أن القصدية هي السمة المميزة للظواهر العقلية، وزعم أن الموضوع الذي يتجه إليه العقل ليس في حاجة إلى أن يوجد، وزعم أيضا أن القصدية الموجودة في الظواهر العقلية هي التي تميّزها من الظواهر الفيزيائية. أما الإحياء الثاني لمصطلح القصدية جاء على أيدي فلاسفة التحليل في الستينات والسبعينات من ق20، وبخاصة **رودريك تشزم** (**Roderick Chisholm**)، **وولفرد سيلرز**(**Wilfred Sellars**)، و **كواين** (**Quine**)، والشيء الذي لابد من الانتباه إليه في هذا السياق التاريخي لمفهوم القصدية هو أن العمل الحالي في فلسفة العقل وبخاصة موضوع القصدية في

[1]- حافظ اسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمّة، كنوز المعرفة، الأردن، دط، 2013، 294-295.

[2]- صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، ص130-131.

التقليد التحليلي لم يستمد أصوله من كتابات **برنتانو** و **إدموند هوسرل** (**Edmund Husserl**) وغيرهما، وإنما جاءت من كتابات **فريجه** (**Frege**) و **راسل** (**Russell**) و**رودرك**، ولو أن هذا الأخير متأثر **ببرنتانو** وكتاباته ولا سبيل إلى إنكار ذلك"[1].

إن ما يهمنا من تتبع تاريخ مفهوم القصدية هو: كيف وصلت إلى الأبحاث التداولية القائمة على دراسة اللغة بمؤوليها؟ والإجابة عن هذا السؤال هي أنّ "إدخال مفهوم القصدية intentionnalité في فهم كلام المتكلم وتحليل العبارات اللغوية، مبدأ أخذ به فلاسفة نظرية الاستعمال في المعنى **فتجنشتاين*** (**Wittgenstein**) المتأخر، **أوستين*** (**J.Austin**)، **غرايس** (**Grice**)، **سيرل**، **ستراوس** (**Strauss**)، الذين أعطوا المتكلمين ومقاصدهم مكانة محورية عند تفسير المعنى، على خلاف النظريات الصورية للغة، فمنذ البدء أدرك كثير من اللغويين وجود توتر دائم بين الألفاظ والمقاصد، وبين السعي إلى بناء نحو كلي والتعبير بلغة ذاتية عن الحياة الباطنية، لذا يجب التراجع عن دراسة اللغة كبنية وعن دراستها كتراث من أجل اختزالها إلى الأفعال القصدية، فالمتكلم يريد تحقيق مسعى معين أي أنّه يقصد شيئا بكلامه، وحينما يتعرف القارئ والسامع على مراد المتكلم يكون قد توصّل إلى فهم لغته، فالمفردات المجردة عن القصد مجرّد لغو، وتظهر القيمة النفسية للغة في فعل القصد"[2]، وبذلك يبلغ المُخاطِب والمخاطَب غايتهما ويتحقق الفهم بينهما.

---

[1]– صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، ص132.

* **فتجنشتاين** (**Wittgenstein**): ولد في فيينا عام 1889 في عائلة ثرية من أصل يهودي، درس هندسة الطيران وفلسفة الرياضيات ثم انشغل بقضايا المنطق متأثرا براسل، وكان من نتاج تبحره في الفلسفة رسالته المنطقية الفلسفية التي لاقت شهرة واسعة بين الدراسين. ينظر نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص170.

* **أوستين** (**Austin**): فيلسوف إنجليزي ولد عام 1911 وتوفي في أوكسفورد عام 1960، كان من ممثلي "المدرسة التحليلية" التي سميت بمدرسة "اللغة العادية" أو "مدرسة أكسفورد"، من مؤلفاته: كتاب "كيف نفعل الأشياء بالكلمات؟" وأيضا "المعنى والحساسية". ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص117.

[2]– وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع6، جامعة بسكرة، الجزائر، جانفي 2010، ص2.

هذا عن تاريخ ظهور مفهوم القصدية، أما عن أهم المعالجات اللسانية الحديثة للمقصدية (القصدية) خصوصا لدى فلاسفة اللغة فيمكن تصنيفهم إلى تيارين:[1]

1- غرايس ومدرسته

2- سيرل

3. القصدية عند بول غرايس:

ذكرنا فيما سبق أن **بول غرايس** هو أحد أعلام فلسفة اللغة ونظرية أفعال الكلام، الذين أولوا المتكلم ومقاصده اهتماما ومكانة أساسية في البحث اللغوي، فقد "اشتهر **غرايس** بإسهاماته في فلسفة اللغة وبخاصة تحليله للمعنى لدى المتكلم أو النظرية القصدية في المعنى بتسمية أخرى، وقد ظهرت له كتابات في المعنى على مدار ما يزيد على ثلاثين سنة"[2]. ولعلّ أوّل ما يشدّ انتباه القارئ أو الدارس لنظرية **بول غرايس** في المعنى هو أنّه استعمل مصطلح «المعنى» كمرادف لمصطلح «القصد» وربما يعود السبب في ذلك إلى كون أنّ كلمة المعنى من الكلمات الغامضة غموضا مألوفا بين فلاسفة وعلماء اللغة على سواء، ومن الضروري أن نفصل أولا بين استعمالاتها الرئيسية:[3]

- كثيرا ما نستعمل الفعل «يعني» to mean كمرادف للفعل «يقصد» to intend، كما في الجملة: أنا أرغب أن أزورك غدا. واستنتج بعضهم من هذا الاستعمال أنّ معنى الجملة يتم تحليله في حدود قصد المتكلم أو الكاتب.
- ولطالما نستعمل كلمة «يعني» حيث تكون مترادفة مع «إشارة إلى» أو «علامة على» كما هو في الجملتين التاليتين: الدخان يعني النار، انخفاض البارومتر يعني المطر، ويجب أن نميّز جيّدا في هذا الاستعمال.

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986، ص164.

[2]- صلاح اسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 25، الرسالة 230، جامعة الكويت، 2005، ص17.

[3]- صلاح اسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص279.

- استعمال الفعل يعني حيث يكون الموضوع كلمة أو رمزا آخر ما (أو جملة) مثلما نقول: إنّ كلمة منضدة تعني شيئا object من نوع ما.

ومحل اهتمامنا في نظرية **بول غرايس** هو الاستعمال الأوّل الدّال على القصد في المعنى، فالقصدية عنده هي عملية تواصلية في جوهرها "تفترض طرفين إنسانيين: مرسل ومتلقي، بيد أنّ المقاصد أنواع: أولي يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائما"[1] ليتسنى للمتكلم معرفة وصول مقصوده إلى المتلقي من عدم حصول ذلك.

ويمكن تجسيد هذه الثلاثية في المثال الآتي: "كقولنا لأحد الناس «إقرأ» يلبّي مقصدا أوليا يتجلى في رغبة سماع القراءة، المأمور (المتلقي) يعترف برغبة المرسل في سماع القراءة (مقصد ثانوي)، ويريد المرسل (الآمر) أن ينتج عنه تلبية (غالبا)، أو رفض (قليلا) (مقصد ثلاثي)"[2]. على هذا المنوال يمكن لنا أن نصف هذا التواصل بالنموذجي أو المثالي.

في نفس السياق دائما، استهلّ **غرايس** مقالته «المعنى» عام 1957م بالتمييز بين معنيين يجوز أن تتخذهما التعبيرات «يعني» و«يعني شيئا ما» و «يعني أنّ» فأطلق على المعنى الأوّل اسم «المعنى الطبيعي natural meaning» وضرب له بالأمثلة التالية:[3]

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص164.

[2]- المرجع نفسه، ص164.

[3]- ينظر صلاح اسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، ص40. وأيضا:

Paul grice 1989, studies in the way of words, cambridge, Massachusetts : Harvard university press, fourth printing, 1995, p213.

Those spots mean (meant) measles	هذه البقع تعني الحصبة
Those spots didn't mean anything to me, but to the doctor they meant measles.	هذه البقع لا تعني شيئا لي ولكنها تعني الحصبة بالنسبة للطبيب
The recent budget means that we shall have a hard year.	الميزانية الحالية تعني أننا سنشهد عاما صعبا

يشير **غرايس** إلى جملة من الملامح التي ميّزت معاني هذه الجمل:[1]

أولا: لا نستطيع القول «هذه البقع تعني الحصبة، ولكنه لم يصب بالحصبة» وكذلك لا نستطيع القول «الميزانية الحالية تعني أنّنا سنشهد عاما صعبًا ولكننا لن نشهده». وهذا يعني أن القول: س تعني أن ق، و «س تعني أن ق يستلزم ق»، حيث ترمز س إلى موضوع أو موضوعات، وترمز ق إلى قضية، فالقول هنا يستلزم وجود واقعة معينة.

ثانيا: لا نستطيع البرهنة من الجملة «هذه البقع تعني الحصبة» على أية نتيجة تتعلق بما هو مقصود بهذه البقع. على سبيل المثال، لست مؤهلا للقول «المقصود بهذه البقع هو أنه مصاب بالحصبة»، كما لا نستطيع أن نبرهن من الجملة «وجود الدخان يعني وجود النار» على أية نتيجة تتعلق بما هو مقصود بالدخان.

ثالثا: لا نستطيع البرهنة من الجملة «هذه البقع تعني الحصبة» على أية نتيجة تتعلق بما يعنيه شخص أو آخر بهذه البقع.

رابعا: لا يمكن أن توجد إعادة صياغة للأمثلة السابقة يكون فيها «الفعل يعني» متبوعا بعبارة في علامتي اقتباس، كقولنا «هذه البقع تعني الحصبة» لا يمكن إعادة صياغتها بوصفها هذه البقع تعني (الحصبة) أو «هذه البقع تعني (أنه مصاب بالحصبة)».

[1]- صلاح اسماعيل النظرية القصدية في المعنى عند غرايس ص 40-41.

خامسا: يمكن أن توجد إعادة صياغة للأمثلة المذكورة تبدأ بالتعبير «الحقيقة أن...» على سبيل المثال «الحقيقة أن البقع التي لديه تعني أنه يعاني من الحصبة» و«الحقيقة أن الميزانية الحالية كما هي تعني أننا سوف نشهد عاما صعبا». إن ما نلاحظه من خلال قراءتنا للأمثلة والملامح التي تميّز معانيها هو أنّ هذه الدلالة " ليست قصدية فهي لا تفترض أي قصد من قبل أيّ كان"[1] أي أنها لا تحتمل تأويلات أو مقصديات متعددة.

أما النوع الثاني من المعنى الذي أشار إليه **غرايس** هو المعنى غير الطبيعي وهو يتعارض مع النوع الأول المعنى الطبيعي ويضرب له بالمثالين الآتيين:[2]

Those three rings on the bell (of the bus) mean that the bus is full.	هـذه الرنّـات الـثلاث في جـرس البـاص تعـني أن الباص ممتلئ
That remark, (Smith couldn't get on without his trouble and strife) meant that Smith found his wife indispensable.	هذه الملاحظة (سميث لا يمكن أن ينجح من غير عناء أو كفاح) تعني أن سميث وجد أن زوجته لا غنى عنها.

وعلى خلاف المعنى الطبيعي نجد ملامح المعنى غير الطبيعي هي:[3]

أولا: أستطيع استعمال الجملة الأولى من هاتين الجملتين وأواصل القول «ولكنه ليس ممتلئاً في الحقيقة، لقد أخطأ محصّل التذاكر»، واستعمال الجملة الثانية وأواصل القول «ولكن سميث هجرها منذ بضع سنوات خلت». وهذا يعني أن القول س تعني أن ق، وس تعني أن ق لا تستلزم ق.

[1]- آن روبول-جاك موشلار، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2020، ص206.

[2]- ينظر صلاح اسماعيل، النظرية القصدية، ص41. وأيضا:

Paul grice 1989, studies in the way of words,p214

[3]- صلاح اسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، ص41-42.

ثانيا: نستطيع البرهنة من الجملة الأولى على عبارة حول «المقصود» برنات الجرس، ويمكن فعل ذلك عن طريق القياس بالنسبة للجملة الثانية.

ثالثا: نستطيع البرهنة من الجملة الأولى على نتيجة مفادها أن شخصا ما (محصّل التذاكر) يعني بالرنات أن الباص ممتلئ.

رابعا: يمكن إعادة صياغة الجملة الأولى في صيغة يكون فيها الفعل «يعني» متبوعا بعبارة في علامتي اقتباس، أعني «هذه الرنّات الثلاث للجرس» تعني (الباص ممتلئ) ويمكن أن نفعل ذلك بالنسبة للجملة الثانية.

خامسا: إن جملة مثل «واقعة أن الجرس رنّ ثلاث مرات تعني أن الباص ممتلئ» ليست إعادة صياغة لمعنى الجملة الأولى، ربما تكون الجملتان صادقتين ولكنهما لا تملكان المعنى نفسه على وجه التقريب.

على غرار ما لاحظناه في الأمثلة الأولى للمعنى الطبيعي فإن ما يتضح لنا جليا هو أنّ المعنى غير الطبيعي تميّز "بفكرة المواضعة أو الإصطلاح convention، فقولنا أن الرنّات الثلاث في الباص تعني أن الباص ممتلئ يعدّ مسألة اصطلاحية، مع العلم أن الاصطلاح قد يختلف من جماعة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر"[1].إضافة إلى هذا فإن **غرايس** يرى "أنّ الدلالة غير الطبيعية لا تستخدم قصدا واحدا، وإنما قصدين: قصد إحداث أثر في المخاطَب وقصد أن تتم الاستجابة لهذا القصد الأول بفضل تعرّف المخاطَب القصد الأول"[2] الذي هو بمثابة الأصل.

وقد قسّم **بول غرايس** القصد التخاطبي إلى قصدين: قصد مركّب complexe وقصد انعكاسي reflexif، بمعنى أنّه ليسا اتجاها أحاديّا، إذا لابد من اعتبار دور الطرف الثاني أي المخاطب في استيعابه للقصد أو انحرافه عنه. والقصد المرّكب عنده ينقسم إلى ثلاثة أقسام متداخلة وهي:[3]

[1]- صلاح اسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، ص42.

[2]- آن روبول-جاك موشلار، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، ص206.

[3]- إدريس مقبول، في تداوليات القصد، ص1214.

القصد الأول: وهو قصد المتكلم إلى إبلاغ محتوى دلالي إلى المخاطَب.

القصد الثاني: وهو قصده أن يتعرّف المخاطَب على القصد الأول.

القصد الثالث: وهو قصده أن يبلّغ أنّ القصد الأول يتحقق عن طريق تعرّف المخاطب على القصد الثاني.

إن ما نخلص إليه حول نظرية **غرايس** القصدية هو أنه "تبنى مفهوم القصدية كأولية غير قابلة للتحديد، ولكنه وضّح الإطار الذي يقع فيه وأنواعه، وقد انطلق من أنّ كل حدث سواء كان لغويا أو غير لغوي إما أن يكون محتويا على نيّة الدلالة، وإما أن لا يكون محتويا عليها فتراكم الغمام يدل على أنّ السماء قد تمطر، واحمرار وجنتي العذراء يعني الخجل... فهذان الحدثان لهما دلالة ولكن ليس وراءهما قصد، وقولنا لأحد ما «إقرأ» أو «أغلق الباب» وغيرها يتحكم فيها القصد"[1] القائم بين متكلم ومستقبل يسعى كل طرف منهما إلى فهم وتفهيم الطرف الآخر بما ينوي قوله أو فعله.

غير أنّ "هناك حالات أخرى لا يتحقق فيها هذا التواصل المثالي، سواءً أكانت أحداث طبيعية أم لغوية، فقد يقصد المرسل غرضاً معيّنًا ولكن المتلقي لا يدركه مثل: ترك الضوء موقدا في المنزل إيهاما للسارق المحتمل بأنّ في المنزل أهله فهذه الرسالة حققت هدفها لأن المتلقي لم يدرك مقصد المرسل، ... وبناءً على هذا فإنّنا بعيدون كل البعد عن اتجاه «**غرايس**» الميكانيكي المختزل للعملية اللغوية. نعم قد ينطبق تنظيره على بعض أنواع الخطاب الناتجة عن عقدة بين المرسل والمتلقي، أو الصادر من سلطة دنيوية أو روحية، أي أنّها تفترض مرسلاً متسلطًا ومتلقيًّا خاضعًا، ورسالة شفافة لا إيهام فيها ولا غموض، ومتلقيًّا يعلم الظاهر وما يخفى"[2] في مخاطبه وأسلوبه ولغته سعيًّا منه إلى إدراك قصده.

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص164.

[2]- المرجع نفسه، ص164-165.

4.القصدية عند سيرل:

أما التيار الثاني فتمثّل في اتجاه **سيرل** الذي هو أحد فلاسفة أوكسفورد الذين درسوا اللغة دراسة تحليلية ترتبط بالعقل، على خلفية اعتبار أنّ العقل سابق للغة "ففلسفة العقل عنده، هي الفلسفة الأولى ثم تأتي بعد ذلك فلسفة اللغة، ولعل الافتراض الأساسي القائم وراء تناوله لمشكلات اللغة هو أن فلسفة اللغة فرع من فلسفة العقل. وقدرة أفعال الكلام على تمثيل الأشياء وحالة الأشياء في العالم هي امتداد لقدرات أساسية على نحو بيولوجي كبير للعقل (أو المخ) لربط الكائن الحي بالعالم عن طريق حالات عقلية من قبيل الاعتقاد والرّغبة، ومن خلال الفعل والإدراك الحسي على وجه الخصوص، وطالما أنّ أفعال الكلام هي نوع من الفعل الإنساني فإنّه حتما يخضع لقدرة العقل التي تربط الكائن الحي بالعالم، فأيّ تقرير كامل عن الكلام واللغة يتطلب تقريرا عن الكيفية التي يربط بها العقل/المخ الكائن بالواقع"[1]، هذا الربط يرتكز بصفة أساسية على القصد في فعل الأشياء وإدراكها أو قولها، ولعلّ إثبات اللغة بالعقل وكيفية حدوث ذلك هو الغرض الأساسي من دراسة القصدية عند **سيرل**.

أما هدفه الثاني فتمثل في "رسم معالم الطريق لدراسة العقل دراسة صحيحة تفيد من نتائج العلم وخاصة فيزيولوجيا الأعصاب وكيفية عمل المخ، وتستبعد في الوقت نفسه الأفكار الفلسفية الخاطئة في دراسة العقل بعامة والقصدية بخاصة، مثل السلوكية والوظيفية والنزعة الحسابية ولا يخلو كتاب من كتب **سيرل** المتأخرة التي صدرت بعد القصدية من نقد نسقي منهجي لهذه النظريات وهو نقد يقوم في غالب الأمر على الحجة والبرهان"[2] في تقديم آراءه.

[1]- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2011، ص35.
[2]- المرجع نفسه، ص35.

بناءا على ما سبق ذكره فإنّ سبب دراسة **سيرل** للقصدية هو منهجه القائم على المنطق والعقل في دراسة اللغة بعامة والقصدية بخاصة، وربما كان وراء اختياره لهذا المنهج هو إبعاد الطرف الثاني عن التأويلات في فهم مقاصد الأشياء ومعانيها، مما لا يدع مجالا للشك ولا لتعدّد القراءات.

يعرّف **سيرل** القصدية بقوله: "إن القصدية هي الاسم العام لكل الصور المنوّعة التي عن طريقها يستطيع العقل أن يتوجّه تلقاء الأشياء وحالات الواقع في العالم أو أن يكون حولها أو يرتبط بها"[1]، وتتمثل هذه الصور المنوّعة في مجموع الرّغبات والمشاعر والأحاسيس وكذا المعتقدات التي تتخالج أنفس المتخاطبين.

وفي تعريف آخر يقول **سيرل** "إنّ القصدية هي تلك الخاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي نتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها، والقصدية تبعا لهذا التعريف تتضمن ظواهر عقلية كثيرة مثل: الاعتقاد، الرغبة، القصد، الأمل، الخوف، الحب، الكراهية، الرغبة الجنسية، التذكّر، الإدراك الحسّي، ونحو ذلك. فأنت حين تملك اعتقادًا فلابد من أن يكون اعتقادك بأنّ كذا وكذا هو الواقع أي أنّك تعتقد في شيء ما، وعندما تنازعك رغبة فلابد من أن ترغب في فعل شيء أو حدوث شيء ما، وعندما تملك قصدًا فلابد أن يكون قصدا لفعل شيء ما، وعندما تأمل فإنّك تأمل في تحقيق شيء ما، وعندما تسمع أو تشّم فإنّك تسمع أو تشّم شيئا، وقل مثل هذا عن مجموعةكثيرة من الحالات العقلية"[2] التي يشترط في قصديتها أن تكون حمّالة لتوجّه معيّن نحو فعل شيء معيّن بنمط معيّن كذلك، مما يدّل على أنّ عنصر الوعي ضروري في قصد الأشياء.

إنّ ما نستخلصه من تعريف سيرل للقصدية هو:

- ضرورة وجود العقل أثناء الممارسة القصدية فهي ظواهر عقلية في بنيتها.

[1]- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم، ص121.

[2]- صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، ص112.

- التوجه في فعل الأشياء أو نحوها هو أساس نجاح الفعل القصدي.
- تتنوّع الأفعال القصدية بين رغبات ومشاعر وأحاسيس واعتقادات.

أنواع القصدية عند سيرل:

يميّز **سيرل** بين نوعين من القصدية هما: القصدية الباطنية والقصدية المشتقة، إذ يقول في هذا الصدد "... أرى أنّنا في حاجة إلى أن نضع تمييزا حاسما، والعجز عن وضع هذا التمييز الواضح يعدّ مسؤولا عن جانب كبير من اللُبس الفلسفي في نظريات القصدية، فنحن نحتاج أن نميّز القصدية التي يملكها البشر والحيوانات بصورة باطنية من نوع القصدية المشتقة للكلمات والجمل والصوّر والرسوم التخطيطية والرسوم البيانية"[1]، ويمكن أن نعرّف القصدية الباطنية وهي تسمى الأصلية كالتالي: "القصدية الباطنية (الأصلية) هي التي لا تخضع لملاحظ خارجي كالرغبات والاعتقادات ... فهي تمثيلات عقلية خاضعة لذواتنا ومستقلة عن الملاحظ، أما القصدية المشتقة فهي المعتمدة على الملاحظ مثل قصدية اللغة التي تعتمد على مجموع مستعمليها المالكين للمعنى ذاته الذي تملكه هذه اللغة وتمثله، فالعقول وحدها هي التي تملك قصدية أصلية وباقي الحالات الأخرى كاللغة تملك قصدية مشتقة لأنّها من غير عقل، ولذلك يعتبر **سيرل** أن التمثيل العقلي هو الصورة الأساسية من التمثيل ومنه نشتق التمثيل اللغوي، فالأصوات والعلامات تشير إلى الأشياء والحوادث لأنّ العقل يفرض قصدية عليها، وفي ذلك يقول: المعنى اللغوي صورة حقيقة من القصدية ولكنّه ليس قصدية باطنية وإنما قصدية مشتقة من القصدية الباطنية لمستعملي اللغة"[2]، ولعلّ **سيرل** هنا يعتبر اللغة وما تحمله من معاني قصدية غير أصلية مع علمه أنها مستمدة من باطن مستعمل اللغة إلاّ أنها في كثير من الأحيان لا تُترجم معتقداته ولا تُبلّغ عن رغباته بالصورة الباطنية الخام الموجود بداخله.

[1]- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص128.

[2]- وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، ص20.

وقد وضّح **سيرل** أنواع القصدية بالأمثلة التالية:[1]

- أنا جائع جدّا في الحقيقة الآن.
- في اللغة الفرنسية: J'ai grand faim en ce moment / تعني: أنا جائع جدا في الحقيقة.
- النباتات في حديقتي جائعة لمواد مُغذية .

إن وضع هذه الإسنادات مختلف تمام الاختلاف، إذ تستند العبارة الأولى إلى قصدية باطنية إذا كنت أملك الحالة التي أسندت إليّ فأنا أملكها بصرف النظر عن تفكير أيّ شخص آخر حولها، وتستند العبارة الثانية أيضا القصدية بصورة حرفية، ولكن قصدية الجملة الفرنسية ليست باطنية، وإنّما هي بالأحرى قصدية مشتقة من القصدية الباطنية للمتكلمين الفرنسيين، ويجوز أن تستخدم الجملة نفسها في الفرنسية لتعني شيئا آخر، أو يجوز ألا تعني شيئا على الإطلاق، وفي هذا المعنى لا يكون معناها باطنيا للجملة، وإنما يكون مشتقا من الفاعلين الذين يملكون قصدية باطنية (المعنى اللغوي برمته قصدية مشتقة).

ويعلّق **سيرل** عل العبارة الثالثة بقوله:"أمّا العبارة الثالثة لا تستند بصورة حرفية أيّ قصدية على الإطلاق، إذ هو وصف لحالة النباتات بالقياس مع الناس والحيوانات"[2]، فالجوع المستعمل في العبارة الثالثة هو مجاز للتعبير عن النباتات التي ماتت أو ذبلت نتيجة عدم رعاية صاحب الحديقة لها كالإمتناع عن سقيها مثلا أو عدم استعمال المبيدات لها... إلى غير ذلك.

المقصد والمقصدية عند سيرل وعلاقتهما بالوعي: يفرّق **سيرل** في النظرية القصدية بين مصطلحين أساسين هما: القصد والمقصدية "فهو وإن انطلق من أنّ كل عمل هو حدث ناتج عن سبب راجع إلى عامل (Agent) فإنّه فرّق بين مفهومين المقصد هو ما كان وراءه وعي، والمقصدية هي التي تجمع بين الوعي واللاوعي، وقد عرّفها بأنّها خاصة عدة حالات عقلية وأحداث بسبب تلك

[1]- سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص128-129.
[2]- المرجع نفسه، ص129.

الخاصّة تتوجه تلك الحالات العقلية والأحداث إلى أو نحو الأشياء والحالات الواقعية في العالم، والحالات العقلية المشار إليها هي مثل: الاعتقاد والخوف والتمني والرغبة والحب والكراهية... وهذه الحالات وراءها مقصدية، ولكن هناك حالات أخرى مثل النرفزة والاكتئاب ليست بذلك فالرّغبات والمعتقدات يجب أن تكون حول شيء ما، والاكتئاب والنرفزة اللامباشران ليسا في حاجة إلى أنّ يكونا حول شيء، كما أنّ المقصدية تكون لغوية وغير لغوية، سابقة وحاصلة أثناء العمل على أنّ الذي يهمّنا هو السلوك اللغوي، فهو مشتقٌّ من المقصدية وليس العكس فهي تتحكم في الأفعال الكلامية بتحديث أشكالها وخلق إمكاناتها"[1] كما أنها تشتمل على سلوكات غير لغوية تندرج تحت مفهوم اللاوعي.

ولعلّ المصطلح الفاصل في التفرقة بين المقصد والمقصدية هو «الوعي» الذي شكَّلَ محور الدراسة القصدية عند **سيرل** الذي يقول عن علاقة القصدية بالوعي "لا تعني القصدية الوعي فهناك العديد من الحالات الواعية ليست قصدية مثل الشعور المفاجئ بالسعادة أو الفرح، وهناك العديد من الحالات القصدية ليست واعية، فقد يكون لديَّ العديد من المعتقدات التي لا أفكر فيها الآن، بل لم أفكّر فيها على الإطلاق، أعتقد مثلا: أنّ أجدادي قد قضوا حياتهم داخل الو.م. القارية، ومع ذلك لم أفكر إطلاقا في مثل هذا الاعتقاد بصورة واعية، وليست هناك حاجة إلى اعتبار ذلك نوعا من الكبت كما قال «فرويد» أو غيره، فالمسألة ببساطة مجرد معتقدات يختزنها المرء في عقله ولا يفكّر فيها على الإطلاق"[2] وهو الشيء الذي يؤكد لنا أن مصطلحي القصد والوعي ليسا لفظا لمفهوم واحد.

غير أن هذا لا ينفي وجود تداخل بين المصطلحين، إذ "يؤكّد **سيرل** على أن الوعي يرتبط ارتباطا جوهريا بالقصدية برغم أنّ ليست كل الحالات الواعية قصدية وليست كل الحالات القصدية واعية، فوظيفة الوعي تبدو من خلال إدراك أنّ بقاء النوع البشري في العالم يتطلب الوعي، فالمرء لا

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص165.

[2]- سيرل، القصدية، بحث في فلسفة العقل، تر: هشام الأنصاري، ص22.

يستطيع أن يكتب ويقرأ، أو يبحث عن رزقه ويقضي حاجاته التي لا تنتهي وهو فاقد للوعي، وهنا يزوّدنا الوعي بوسيلة اقتراب من العالم وهذا هو الملمح الذي يتميّز به، ويؤدى الوعي ذلك بطريقتين طريقة إدراكية Conitive نمثّل بها كيفية وجود الأشياء في العالم، وطريقة إرادية Volitive (أو طريقة دالة على الرغبة) ونمثل بها الكيفية التي نريد أن نوجد بها الأشياء، ومحلّ القصدية هنا أنّها سمة للعقل تتجّه عن طريقه الخِبرات الواعية إلى حالات في الواقع"[1] كالرّغبة في حصول أمر ما، أو اعتقاد شيء ما، أو الشعور بإحساس ما.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أنّ فلسفة **سيرل** العقلية "تدور حول محورين أساسين يرتبطان ارتباطا جوهريا وهما مفهوم القصدية ومفهوم الوعي"[2] غير أنّ القصدية تضمّ بالإضافة إلى مجموع الحالات الواعية حالات أخرى غير واعية، فبعض الأشياء لدينا اعتقاد حولها لكن ليس لدينا وعي بها. وفي هذا الصدد يقول **سيرل** "إن الحالات من قبيل الاعتقادات والرغبات ليست في حاجة إلى أن تكون واعية ويستطيع الشخص أن يملك اعتقادا أو رغبة حتى عندما لا يفكر فيها، ويمكن القول بصورة صحيحة إنه يملك هذه الحالات حتى عندما يكون نائما، ولكن الأنواع البصرية وغيرها من الخبرات الخاصة بالإدراك الحسي هي أحداث عقلية واعية"[3] غير معتقدة لدى الأشخاص.

إنّ ما نخلص إليه حول نظرية القصدية عند **سيرل** هو أنّه "لا يمكن فهم القصدية إلّا إذا توفرت شروط الإشباع*، فهي التي تجعل القصدية موجّهة اتجاها صحيحا، ويضرب مثالا على ذلك في تشبيه القصدية بالسّهم الذي يصيب هدفه أو يخطئه، فالقصدية تتطلّب وجود موضوع تتجه نحوه، ولذلك ترتبط مسألة الصدق والكذب بمدى بلوغ الهدف أو الإخفاق في الوصول إليه، ويعود هذا

---

[1]- صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، ص50-51.

[2]- المرجع نفسه، ص166.

[3]- المرجع نفسه، ص222-223.

* **شروط الإشباع**: هو مصطلح يغطي شروط الحقيقة بالنسبة إلى الاعتقادات، وشروط التحقيق بالنسبة إلى الرغبات، وشروط التنفيذ بالنسبة إلى المقاصد...إلخ. ينظر: خليفة الميساوي، القصدية في الخطاب السجالي ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب لحافظ اسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، مجموعة بحوث محكّمة، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014، ص302.

الأمر إلى حسن توجيه العقل الذي من سماته البارزة أنّه يربطنا عن طريق القصدية بالعالم الواقعي، وهذه ماهية القصدية فهي الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم"[1] رغبة منّا في تمييز الأشياء وكذا تحقيق متطلباتنا وفهم مقاصد غيرنا.

وما يؤاخَذ عليه **سيرل** هو إبعاده لطرف ثالث كان **غرايس** قد أعطاه أهمية كبرى ألا وهو المجتمع، إذ أنّ "**غرايس** يحصر مقاصد المتكلم للتأثير في المتلقي بناءا على ميثاق بينهما (اصطلاحية اللغة داخل المجتمع) في حين أنّ **سيرل** ورغم ادّعائه مخالفته له جملة وتفصيلا إلّا أنّه بنى عليه وأرجع الدراسات اللغوية إلى منطق فيزيولوجي ونفساني وقلّل من أهمية الطرف المجتمعي الذي يخلق التعابير اللغوية ويعطيها معناها"[2] وقد صنّف العقل أوّلا واللغة ثانيا والمجتمع ثالثا.

المبحث الثاني: السلطة في الخطاب

يتمحور هذا المبحث حول آلية السلطة داخل الخطاب باختلاف أنواع الخطابات ومضامينها علما أن أيّ خطاب غرضه الأساسي هو التوجه إلى مخاطبيه بقضية ما وإقناعهم بفحواها بآليات مختلفة تكون السلطة في غالب الأحيان إحداها.

إنّ "موضوع السلطة قديم قدم المجتمعات البشرية، حيث لا يمكن أن نتصوّر أيّ تجمّع إنساني دون أن تكون به سلطة بأيّ طريقة من الطرق، فمنذ المجتمع اليوناني القديم نجد إشارات واضحة في فكر **أرسطو*** (**Aristot**) عندما تناول موضوع الدولة المدينة، حيث أشار إلى أنَّ شرعية الدولة تقوم على السلطة، وشرعية السلطة هي لمصلحة العبد، مع أنّ مصلحة السيّد ومصلحة العبد تتماثلان

[1]- خليفة الميساوي، القصدية في الخطاب السجالي ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب لحافظ اسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، مجموعة بحوث محكّمة، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014، ص302-303.

[2]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص166.

* **أرسطو** (**Aristote**): ولد في أسطاغيرا مدينة صغيرة في شبه الجزيرة الخلقيدية سنة 384 ق م وتوفي سنة 322 ق م، ويمكن القول عن أرسطو إنه كان أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، وهو من تلامذة أفلاطون، من مؤلفاته كتاب الخطابة، الأورغانون، كتاب الشعر. ينظر: جوروج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص52 و ص55.

حينما تكن المشيئة الحقيقية للطبيعة هي التي تعيّن للسيد وللعبد المستوى الذي يشغله كل منهما، ولعل أقرب مثال على هذا هو أن سلطة الوالد على الأسرة غايتها مصلحة الخاضعين لها أو أنّها مصلحة مشتركة"[1]، وقس على ذلك أمثلة كثيرة كسلطة الكبير على الصغير وسلطة المخاطِب على جمهوره، سلطة الطبيب على المريض، سلطة النص على قُرَّاءه... إلى غير ذلك.

1. في مفهوم السلطة الخطابية:

غالبًا ما تظهر هذه الأنواع من السلطة على مستوى خطاب يتوجّه به متكلم معيّن إلى مستمع معيّن لتحقيق سلطة معينة عليه تستند بالضرورة إلى آلية الإقناع، لذلك فإن الربط بين السلطة والحجاج في الخطاب التداولي كان أمرا قائما بحدّ ذاته، فالهدف الأساسي من ممارسة أحدهم سلطة على غيره هو إخضاعه له والاستحواذ على تفكيره حتى نيل قبوله ورضاه، من خلال استعمال خطاب مدعّم بحجج تعزّز اتجاهه ومعتقداته إزاء أمر ما وهو نفس ما يقوم عليه الحجاج هذا من جهة، من جهة أخرى "تشكّل السلطة أو الحظوة أحد الأسس التي يبنى عليها الحجاج في البلاغة، فقد شكلت القيمة التي يحضى بها عند المتلقي شخص ما أو مجموعة أشخاص، أو فئة أو مفهوم جزءا من بناء فعالية الإقناع، وصياغة العديد من التقنيات الحجاجية، فقد يلجأ الخطيب إلى سلطة أيّ مصدر، إمّا لدعم دعوى معينة أو لتقييم وتأويل سلوك أو حكم أو قول صادر عن هذا المصدر، وإمّا للحضّ على محاكاة فعله – وهو ما أطلق عليه **بيرلمان*** (**Perelman**) حجة القدوة التي يبنى فيها الواقع بوساطة حالات خاصة- وفي جميع هذه الحالات يُنظر إلى علاقة المصدر بالفعل (العلاقة

[1]- مولود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات السابع أبريل، دار الكتب الوطنية، بغازي، ليبيا، ط1، 2007، ص74-75.

* **شاييم بيرلمان** (**Chaim Perelman**): أكاديمي بلجيكي (1912-1984)، أستاذ بجامعة بروكسل، مؤسس ما يعرف بـ البلاغة الجديدة، من مؤلفاته: "البلاغة والفلسفة"(1952)، و"حقل الحجاج" (1969)، و"الإمبراطورية البلاغية" (1977): **https://www.mominoun.com/auteur/656**.

اطلع عليه يوم: 2020/10/19، 21:00 سا.

بين الشخص وما يقوم به من أفعال وأحكام وأعمال مثلا) بوصفها نموذجا لعلاقات التعايش بين أشياء غير متساوية إذ يُعدّ أحدها تجليا للآخر"[1] .

من هنا نجد أنفسنا أمام استعمالين لمصطلح السلطة في الخطاب يتمثل الأوّل في تناول السلطة كحجة لإقناع الغير كاستخدام خطاب ديني (آية أو حديث)، حكمة، استدلال بقول أحد العلماء (سياسي، منظّر اقتصادي...)، في المقابل لذلك نجد في كثير من الأحيان المخاطِب يقدّم أدلة وحجج شخصية من معارفه ومعتقداته لجمهور مخاطَبيه من أجل الحصول على سلطة معينة إزاءهم، يسمى المفهوم الأول حجة السلطة في الخطاب ويسمى المفهوم الثاني سلطة الحجاج في الخطاب، لكن قبل أن نتعرض لكليهما نشير إلى دور السلطة في تحديد طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب.

2.دور السلطة في تحديد العلاقة بين طرفي الخطاب:

لا يشك اثنان في أنّ للسلطة دور في تحديد العلاقة التي تربط المخاطبين، إذ "تمثل عاملا أساسيا في تشكيل هذه العلاقة وينعكس أثرها على اختيار الاستراتيجية التي تجسّد تلك العلاقة، ولأهمية ذلك في الخطاب فإنّه يتم تركيز الانتباه في التداولية على نوع العلاقات بين طرفي الخطاب ونظامها، وبالتالي فإنّ هناك بعدين يتم الإحالة إليهما بصفة مستمرة وهما: علاقة السلطة والبعد الاجتماعي بين المرسِل والمرسَل إليه"[2]، فالبعد الأول يمكن أن يتوفّر لدى المرسل ولا يتوفر عند المرسِل إليه أو العكس مثلا، أو أن يتوفر عند الاثنين كليهما . أما البعد الاجتماعي فإنّ "وضع الناس وعلاقاتهم الاجتماعية يسهم في استعمال التلميحات بدلا من التوجيهات"[3]، وسنعرض لذلك في الاستراتيجيات الخطابية.

---

[1]– محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص133.

[2]– قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج؟ مقال منشور ضمن مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته، ع5، مج2، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2014، ص25.

[3]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص242.

3. حجة السلطة في الخطاب التداولي:

يشير **دومينيك مانغونو** إلى أنّه من شروط قبول وجهة نظر أو معلومة في الحجاج –باعتباره نظرية تواصلية قائمة بين طرفين متكلم ومتلقي– "إنّما يكون مؤسّسا على السلطة إن كان معترفا بها، لا على أساس اختيار مطابقة الملفوظ للأشياء ذاتها، ولكن تبعا للمصدر والقناة اللذين تلقينا عن طريقهما المعلومة، فحجة السلطة معناها الاستعاضة بحجة هامشية عن الحجة أو الاختيار المباشرين، وهما معتبران في عداد ما لا يمكن الوصول إليه أو المستحيل"[1]، فنجد المتكلم بالإضافة إلى ما يقدمه من حجج شخصية يستشهد ببعض الأقوال فكثير ما يستشهد السياسي بآيات من القرآن الكريم أو نصوص من الحديث النبوي الشريف، وكذلك الاقتصادي، والأستاذ... وغيرهم.

إن استعمال السلطة كحجة في الخطاب التداولي من خلال "الاستدلال على صحة فكرة أو رأي أو موقف اعتمادا على قيمة صاحبه التي ترتكز على معيار الخبرة أو الكفاءة أو الشهرة أو الجدّية العلمية، وغيرها من الصفات التي تجعل أشخاصاً أعلم من غيرهم بفكرة ما"[2] هو سيطرة على فكر الطرف الثاني بطريقة ثانية دون توظيف وسائل خطابية أخرى من طرف المتكلم. "والواقع أنّ عددًا كبيرا من معتقداتنا لا تتأسس إلاّ على تبريرات غير مباشرة، يتعلق الأمر بالمعتقدات التي نقرّها فقط لأنّنا نعتقد أنّ أشخاصا آخرين لهم من الأسباب الوجيهة ما يجعلهم يقرّونها، فلا نعرف المبرّرات التي تدعم هذه المعتقدات ولكننا نعرف أنّ أشخاصا آخرين يعرفون تلك المبرّرات، ولهذا السبب نقول إنّ معتقدات كهذه تستدعي حجة السلطة التي نمارسها لإقناع بعضنا بما نعجز عن الاحتجاج له لأنفسنا"[3]، لأن الأشخاص الذين يعرفون تلك المبرّرات قد يفوقوننا أحد المعارف أو المستويات ما يجعل لهم مكانة مميّزة في الواقع والخطاب معا.

---

[1]– دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ص86.

[2]– قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج، ص25.

[3]– المرجع نفسه، ص25.

وبهذا فإنّ حجة السلطة "تقوم على استخدام أقوال وأفعال مصدر ذي حظوة في دعم دعوى ما أو بناء حكم قيمة، إنّها تسوّغ هذه الدعوى بالاستناد إلى قيمة مصدرها وليس بناء على محتواها، إذ ننطلق من مسلّمة مفادها أنّ الأقوال والأفعال المستندة إلى مصدر ذي حظوة يلزم عنها بالضرورة نقل الحظوة إليها، أي إننا نقوم بنقل القيمة المتفق عليها من المصدر إلى أقواله وأفعاله، وانطلاقا من هذه المسلّمات يعمل الخطيب على بناء أحكامه ودعم دعواه بالاستناد إلى ما لهذه الأقوال والأفعال من قيمة ناجمة في الأصل عن قيمة مصدرها وسلطته"[1]، التي تنتقل إلى الخطاب بوساطة المتكلم الذي غرضه الأساسي هو السيطرة وكسب ميول جمهور متلقيه.

وحسبنا أن نشير إلى أنّه ينبغي لنا "التدقيق في مفهوم السلطة هذا فهي قد تكون شخصية وقد تكون لا شخصية، أي إنّنا قد نستند في حجاجنا إلى أشخاص معينين بأسمائهم وهوياتهم، كأن نشير باسم إلى شاعر أو نبي أو عالم أو فيلسوف، أو سياسي أو حكيم أو فقيه أو خبير، وكأن يشير الخطيب إلى ذاته من خلال عرض منجزاته أو وضعه الاجتماعي أو نعتمد الإشارة العامة إلى الشعراء والخبراء والعلماء والفقهاء والأنبياء ورجال الدين، وقد تكون هذه السلطة لا شخصية كأن تستند إلى سلطة الإجماع والرأي العام والعلم والفلسفة والدين والقرآن والإنجيل والفقه والمذاهب، أو نستند إلى عصر ذهبي أو فترة تاريخية عظيمة أو مؤسسة إعلامية، أو أحيانا إلى مفهوم ما من قبيل البداهة كما في الصيغ التعبيرية السائدة: «من الواضح أنّ» أو «من البديهي القول أنّ»..."[2].

في سياق آخر مقارب يقسّم **دومينيك مانغونو** السلطة إلى نوعين:[3]

السلطة المُظهرة: تبرز عند المواجهة وترتبط بمصدر الرسالة بشفرات سيميولوجية متنوّعة (تعبيرية، سلوكية، لباسية...) ومثلها مثل السلطة المبنية على الهيبة والمكانة (المرتبطة بالأشخاص وببعض الأدوار الاجتماعية)، والتي تفعل فعلها ضمنيا مع توجيه زنادها إلى الأعلى أثناء التفاعل.

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص135.

[2]- المرجع نفسه، ص135.

[3]- دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ص87.

السلطة المُستشهد بها: عملها تقوية خطاب يقوله متكلم (مك1) لإضفاء المشروعية أمام مخاطَب (مك2) على قول أو طريقة عمل بإرجاعها إلى مصدر يعتبر كفيلا بإضفاء تلك المشروعية، ويمكن أن يكون هذا المصدر موضوع إحالة ظاهرة، ويمكن للمتكلم أن يكتفي بمجرد تلميح إلى خطاب سائد مشهور أو متسّم بالخبرة، ولهذا الشكل من استدعاء السلطة تنويعات لا تنتهي (تناسب مواضع خطابات السلطة) سلطة الخبير (أستاذ، طبيب، مكانيكي...) التي تُصدَّقُ/تُحتَرَم تبعا لقدرة معترف بها اجتماعيا.

إنّ توظيف حجج السلطة داخل الخطاب من طرف المخاطِب يستدعي بالضرورة عنصر المقام بحدّ ذاته، إذ لابد للمتكلم إلى جانب توظيفه حجج السلطة الشخصية واللاشخصية أن يحسن استخدام هذه الحجج وتوظيفها تبعا للمقام والسياق التواصلي الذي تتطلبه العملية التخاطبية "إذ تعدّ حجة السلطة من الحجج الفاعلة في الخطاب حتى غدت من أركان الخطاب وبانياته وهي إلى جانب كونها حجة مركزية في الخطاب فإنّها تأتي لتدعم ما أدمج في الخطاب من حجج وتستجمعها داخل مدارها وتستقطبها في نواة محيطها"[1] حتى يتطابق سياق الكلام مع فهم المتلقي للخطاب فتُحَقَّق بذلك سلطة المخاطِب عليه.

يعتبر الإجماع من بين "حجج السلطة الأشهر، لأنّه يمثّل السلطة العليا التي لا يمدح الخروج عنها، وكثيرا ما يؤطّر العلوم اتفاق أشهر وأحسن أعلامها، إن في العصر ذاته أو من السلف الذين قدموا باعا طويلا في المجال، وتلك بنية العلم التي تفرض على العالم اتباع سابقيه، حتى وإن كان سيتجاوز بعضا مما أنجزوه، تعتمد حجة السلطة إذن على أفعال أو أحكام شخصية ما، كما يمكن أن تستعمل أعمال جماعة من الأشخاص مع مراعاة التناسق بين الطرفين (الفعل والفاعل) بغرض إثبات

[1]- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، تق: حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص158.

قضية ما أو تبريرها، من خلال استثمار قيمة صاحبها ونقلها إلى الفعل ذاته أو القول، فكثيرا ما نستعمل حجة السلطة في كلامنا اليومي"[1] أثناء استعمالنا للغة وهو ما تهتم به الدراسات التداولية

"باعتبارها علما جديدا للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال وبإدماج حقول معرفية مختلفة ومستويات متشابكة مثل البنية اللغوية والقواعد التخاطبية والعمليات العقلية التي يحتكم إليها الإنتاج والفهم من الجانب اللغوي"[2] بالإضافة إلى مختلف آليات التحليل التداولي التي توظّف في الخطاب من أجل "التصريح بغايات والتضمين لغايات أخرى بحسب نوع الأهداف والمصالح، التي غالبا ما تحقق سلطة معينة فمثلا يحاول الرجل السياسي بما أوتي من بلاغة ومعرفة التصرّف لغويا للوصول إلى التأثير في المتلقي وكسب ثقته ومساندته، وربما جعله يتصرّف بطريقة ما، وهو ما يقوم عليه المنهج التداولي"[3]من يتكلم؟ ومع من يتكلم؟

في سياق آخر تقودنا حجج السلطة وتوظيفها أثناء العملية التخاطبية إلى فكرة جوهرية يتم فيها الربط بين الايديولوجيا والخطاب "وهي الفكرة التي تقول إنّ الأعراف التي ننهل منها باستمرار في الخطاب تجسّد افتراضات ايديولوجية ينتهي بها الأمر إلى أن تعتبر من المنطق السليم وحسب، وبذلك تسهم في الحفاظ على العلاقات القائمة"[4] بين الأفراد االمشاركين في الخطاب.

هذه الفكرة لقيت انتقادا واسعا من طرف بعض "المنظرّين للخطاب العلمي كاستعمال حجة السلطة في المجالات العلمية، فهي حجة احتيالية في نظر بعض المفكرين الوضعيين، الذين يعتبرونها وسيلة لصبغ النشاطات غير المنطقية والمشاعر التي تنبثق منها بصبغة منطقية، إنّها إذن حجة مستعارة بغرض إخفاء الجانب اللاعقلي لمعتقداتنا إنّه انتقاد موجّه لحجة السلطة باسم الحقيقة إذ ما هو غير مرغوب بها هو درجة الصدق فيها، وكلما كان التلاعب بفكر أو بمشاعر المتلقي من خلال الايهام

[1]- قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج، ص25-26.

[2]- ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ص11.

[3]- المرجع نفسه، ص11.

[4]- نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016، ص111.

أو الإذعان قلّت درجته وازدادت صفة الاحتيال في هذا الخطاب الحجاجي الملزم"[1]، فقد يعمد الخطيب توظيف نص ديني أو حكمة أو بيت من الشعر أو قول لأحد الساسة ... في أطروحته لمغالطة المستمع وجعله يستجيب لأوامره ويتجنب ما نهاه عنه، ظنّا منه أنّ حجة السلطة تلك التي وظفها المتكلم مناسبة لقول هذا المخاطِب فيحدث التطابق في فكر المتلقي بين حجج المتكلم وحجج السلطة التي وظّفها، وربما تكون تلك الحجج في الحقيقة غير مناسبة للاستعمال في ذاك السياق التخاطبي.

دفع هذا الطرح **بيرلمان** إلى الدفاع عن حجة السلطة "إذ أنّ الاعتراض في رأيه لا ينبغي أن يوجّه إلى حجة السلطة بما هي تقنية حجاجية من بين تقنيات أخرى تعتمدها الخطابات الحجاجية، أي إنّ حجة السلطة ليست مرفوضة في ذاتها، فالاختلاف ليس حول حجة السلطة ولكن في كيفية اللجوء إليها وفي طريقة استخدامها في سياق معيّن، فقد تستدعى سلطة في مجال غير المجال الذي يجري فيه الحجاج، كما أنّ الخبرة وطول العمر والعدد الكبير ليست حجج صالحة في جميع الحالات، كما أنّ الشخص لا يتمتع بالكفاءة في كل المجالات، فمن مغالطات حجة السلطة استدعاء سلطة شخصية دينية في مجالات علمية وسياسية واجتماعية، فلا اعتراض على هذه السلطة في المجال الديني الذي هو مجالها، ولكن تعميم سلطتها على المجالات الأخرى يجعلها سلطة دوغمائية مطلقة، فما دامت هذه الشخصية الدينية قد تكلمت فلا كلام بعد كلامها"[2] فالحظوة التي يتمتع بها النص الديني هي التي سمحت بذلك.

إنّ استخدام اللغة الدينية في الخطاب السياسي يعدّ من الآليات التخاطبية كثيرة التناول، والتي عادة ما يلجأ إليها الساسة من خلال إدماجهم حججا دينية في خطاباتهم "فقد شاع بينهم في غالب الأحيان استخدام اللغة الدينية في خطاباتهم السياسية، إذ يوجِد المخاطب تناصًّا في الخطب

[1]- قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج، ص26

[2]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص138.

السياسية مع النص الديني المقدّس، أعني القرآن يؤدى بمعية ظواهر أخرى إلى التظفير الخطابي، هدفه استثمار خصائص الخطاب الديني الإلهي وتوظيفها في خدمة الخطاب السياسي، هذا الاستثمار لا يقتصر على الإفادة من القدرة الإقناعية أو التأثيرية للخطاب الإلهي فحسب بل يتجاوز ذلك إلى الإفادة من الضوابط الصارمة التي تفرض على طبيعة استجابة «العباد المؤمنين» الذين يستقبلون الخطاب الإلهي"[1]، وهي إحدى توظيفات حجج السلطة في الخطاب من طرف المخاطب لفرض سلطته على مخاطبه.

يقترح **جون وودز** و **دوجلاس وولتون** خمسة شروط يتعين الالتزام بها في استخدام حجة السلطة:[2]

1- ينبغي أن يكون الاستشهاد بسلطة ما على نحو صحيح، فإجراءات الحذف أو الزيادة أو أي تبديل لا ينبّه عليه يعدّ أمرا معيبا.

2- ينبغي للسلطة أن تمتلك كفاءة مميّزة في مجال محدد، فالحظوة التي يتمتع بها لا تنفع في جميع الأحوال.

3- حكم الخبير ينبغي أن يتعلّق بمجال اختصاصه الذي يملك فيه الكفاءة.

4- ينبغي للسلطة أن تدعم حكمها بدليل أصيل وملائم وموضوع يتعلق بالمجال موضوع التخاطب.

5- يستحسن الاتفاق حول تقنية من تقنيات الإجماع للبتّ في الخلافات بين السُلط المتساوية في الكفاءة.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن توظيف حجج السلطة في الخطاب ليس وحده الكفيل لتحقيق سلطة المتكلم على السامع، إذ لابد أن تتفق أفكاره مع حجج السلطة التي وظفها في خطابه

[1]- عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، خطب الرئيس السادات نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 2012، ص214-215.

[2]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص140.

حتى يكتسب هذا الخطاب مصداقيته من جهة، ومن جهة أخرى فإن المخاطَب يقتنع بآراء الطرف الأول دون إلزام أو سيطرة.

4.السلطة في الخطاب:

نتحدث في هذا الجزء عن السلطة باعتبارها سلطة المتكلم في حدّ ذاته أي ما يوظّفه المتكلم من حجج شخصية وما يحتله هو نفسه من مكانة في المجتمع أتاحت له نفوذًا أو درجة معينة من السلطة يمارسها على غيره، إذن السلطة في الخطاب "تتعلق بقيام المشاركين من ذوي السلطة بالتحكّم في أقوال المشاركين من غير ذوي السلطة وفرض القيود عليها، ومن المفيد التمييز العام بين ثلاثة أنماط من أمثال هذه القيود، فبعضها قيود تفرض على المضمون (ما يقال ويفعل)، وبعضها قيود يفرض على العلاقات (العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الناس في الخطاب)، وبعضها يفرض على الذوات (أو مواقع الذوات التي يستطيع الناس احتلالها)"[1]. ونشير إلى أنّ هذه القيود "ترتبط ارتباطا وثيقا وتتداخل وهي موجودة في الواقع معا"[2]، فالمضمون هو موضوع الخطاب وهو النقاش، أو هو الحدث الذي يتشارك فيه أطراف الخطاب مع ما يقال حوله من طرف العناصر التخاطبية التي تربط بينها علاقات اجتماعية سابقة، تسهم في تنظيم سيرورة هذا الخطاب انطلاقا من موقع كل طرف بين أقرانه من المشاركين في العملية التخاطبية، مما سيستدعي بالضرورة توظيف كل فرد بنية لغوية معينة تتناسب مع مستوى السلطة الذي يتمتع به.

إذا علمنا أنّ الخطاب هو "مجموع الإنتاجات الكلامية الخاصة بمجموعة من المتكلمين خطاب الممرضات، خطاب الشباب، خطاب الساسة، الخطاب الديني..."[3] فإنّه حتما "يخضع لمجموعة من المعايير الاجتماعية والأخلاقية تتكفل قوانين الخطاب بتبيانها، كالأمر والوعد والنهي... لا يمكن لها

[1]- نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، ص72.

[2]- المرجع نفسه، ص72.

[3]- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص10.

أن تصدر دون الخضوع لمعايير حدّدتها الأخلاق والقيم الاجتماعية والثقافية والدينية"[1]، فلكل خطاب ديني، اجتماعي، سياسي، دعاية... سلطته الخاصة التي يمارسها على متلقيه، وسنأخذ ثلاث أنواع من الخطابات التي تمارس سلطة معينة على مستقبليها:

- سلطة الخطاب الديني (القرآن الكريم).
- سلطة الخطاب السياسي.
- سلطة الخطاب الإشهاري.

1.4. سلطة الخطاب الدّيني:

فعلى مستوى الخطاب الديني، يعدّ الدِّينُ بصفة عامة العقيدة التي نؤمن بها وينطلق منها كل شخص، إذ يرجع إليها في مختلف ممارساته اليومية، و"يعدّ الخطاب الدّيني أهم الخطابات في المجتمع عموما والمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص، لأنّه يقوم بدور حاسم في بلورة رؤية العالم عند الإنسان المسلم، وصنع آراءه ومواقفه وتشكيل وعيه وعقليته وسلّم القيّم التي يعيش ويتعايش بها، غير أنّ هناك أنماطا متعددة للخطاب الديني الإسلامي مختلفة، نذكر منها القرآن الكريم الخطاب الإلهي المقدّس، والخطاب النبوي الشريف المتمثّل في أحاديثه «صلى الله عليه وسلم»، والتفاسير وعلوم الفقه والكلام... وغيرها"[2]، تمارس هذه الخطابات في مجملها سلطة متفاوتة الدرجات على أقوال وأفعال المتكلم تنتج عن وجود تفاوت في ترتيب أنماط الخطاب الديني في حد ذاته، فللقرآن الكريم طبعا السلطة العليا كونه الأصل وما جاء بعده من علوم تفرعّت عنه.

إنّ مفهوم سلطة الخطاب الدّيني نابع عن فهمنا للحقيقة التي مفادها أنّ "الدّين هو ما جاء به الوحي، وانتقل إلينا في القرآن الكريم- بوصفه خطابا ربانّياً- الذي هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم نتلقاه بروح الإيمان من مصدره هذا، مستعينين بالسنّة التي ينفى عنها الوضع والتحريف، وهي

[1]- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص12.

[2]- محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني، مركز عين للدراسات والبحوث، أربيل، العراق، ط1،2017 ، ص27.

موافقة للقرآن، ومستأنسين ومسترشدين في نظرنا هذا بالعقل الذي هو «وكيل الله» في الإنسان جعل إليه زمام أموره وقيادة نشاطاته، وإذا كان العقل –كدليل– هو من خلق الله، والقرآن –كدليل– هو من عند الله فيستحيل قيام التعارض الحقيقي أو التضاد بين دليلين أبدعهما خالق واحد، وتعهّد بواسطتهما معا مهمة هداية الإنسان فإذا حدث وبدا أن هناك تعارض بين ظاهر النفس وبرهان العقل وجب تأويل النص –دون تعسف– بما يتفق مع برهان العقل، حتى تتوافق في هداية البشر الأدلة النابعة من مصدر واحد، هو الخالق سبحانه وتعالى"[1] صاحب السلطة على عباده، المعبّر عنها بخطابات قرآنية تضمنت الأمر والنهي والنداء والدعاء... وغيرها من "الأفعال الكلامية التي تراوحت بين شديدة الإلزام وأخرى أقلّ إلزاماً وأخرى غير ملزمة"[2]، فما على المؤمنين إلاّ الاهتداء بهديه والخضوع لأوامره عزّوجل واجتناب نواهيه، فهو "القانون العام المعصوم الذي أعجز به الله الطغاة بعجائبه فظهرت يومًا فيومًا، فكان الحال بتصديقه أنطق من اللسان، وبرهان العقل فيه أبصر من شاهد العيان، وأبرز آياته في الآفاق فتبيّن للمؤمنين أنّه الحق"[3] منه تبارك وتعالى.

إذن هذه الأمور وغيرها هي التي جعلت سلطة الآمر –الله عزّوجل– على المأمورين من عباده سلطة إلزامية، لا يمكن وصفها بالسيطرة ولا الإخضاع ولا الاستحواذ، إنّما هي سلطة حكيمة نابعة من الذات الإلهية "التي لا يمكن الفصل فيها بين الوجود الحقيقي لها وبين مظهرها الخطابي، فالمظهر الذي يتجلى به الله عزّوجل هو وجوده، والصفات التي يحاجج بها هي حقيقته، وبناء عليه تنتفي تلك الثنائية (الوجود الحقيقي/المظهر الخطابي) المشار إليها عند البلاغيين والتداوليين ومحللي الخطاب، ففي النص القرآني لا وجود سوى لإيتوس خطابي تندمج فيه حقيقة الذّات الإلهية المتكلمة بمظهرها"[4]، فلا

[1]– محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشرق، القاهرة، ط1، 1988، ص16.

[2]– عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص118.

[3]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص5.

[4]– محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص246.

اعتراض على أوامره ولا يمكن لعباده عصيانها، ولا الحياد عن طريقها أو اتباع سبيل غير سبيلها، فلخطاباته عزّوجل السلطة العليا ولا يوازيه في ذلك أيّ خطاب وسلطته سلطة مشروعة.

2.4. سلطة الخطاب السياسي:

يعدّ الخطاب السياسي أحد أكثر أنواع الخطابات شهرة فـ "منذ ظهور الأطروحات البلاغية في التراث اليوناني والرّوماني تلقى الخطاب السياسي وسلطته الإقناعية الكثير من الاهتمام كموضوع مميّز ويستحق الدراسة بحدّ ذاته وخلافا لمعظم أنماط الخطاب الأخرى، يرتبط الخطاب السياسي مباشرة بجميع الناس، لذا يستمد قوته وسلطته من نطاقه الواسع وأنواعه المختلفة، ويعرف قليلا من نماذج الخطاب الارتجالي الذي ينقل أو يوزّع –عادة– على نطاق واسع عبر وسائل الإعلام مثل خطابات كبار السياسيين، الرئيس، أو رئيس الوزراء...، وتمثل خطب الرئيس وظهوره في وسال الإعلام حدثا اجتماعيا أو سياسيا بارزا، وموضوعا مفضلا للدراسة والبحث"[1] (لذا ضمنا الفصل الذي يلي من حجاجية الخطاب إلى حجاجية التلفظ دراسة حجاجية لخطاب سياسي للرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة).

ولربما كان الخطاب السياسي الحقل الأكثر خصوبة لممارسة آلية السلطة ذلك أنّه "يثير سلوكا عند المتلقي (الجمهور) وهو المستوى التأثيري، فمثلا يقول المخاطِب عددا من الأشياء الحاملة لمعنى ما، وبعمله ذلك يحاجج ليناقض فكرة الغير أو لإقناع الجمهور أو للردّ على سؤال صحفي أو لإقناع الرأي العام (ليس الجمهور فقط) ..."[2]، وفي كل مرة يفعل ذلك يلمس المتلقي سلطة المتكلم عليه، فالإقناع الممارس في هذا النوع من الخطاب ذو لغة قوية كونه يخدم فكرة معينة، تسمى هذه اللغة عادة بـ "اللغة السياسية وهي تعني في الغالب طريقة محددة في استخدام المفردات المعجمية، وهكذا تدرس الايديولوجيا عن طريق تحليل كلمات أو مفاهيم معينة يفضل توظيفها –تحديدا– السياسيون

[1]– فان ديك، الخطاب والسلطة، ص125-126.

[2]– ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ص304.

المتشددون، اليمينيون أو اليساريون، ومن المثير للاهتمام أنّ التحليل يتضمن دراسة ما وراء المفردة، والنظر في بنى الخطاب الأخرى التي لا يستطيع المتحدث السيطرة عليها، لذلك فهي غالبا ما تكشف مواقف الخطاب وايديولوجياته التي تمثله، فما إن يتلقى السياسي تصفيقات الجمهور حتى يتلو أقوال السياسي المتكلم في كثير من الأحيان عبارات سلبية تصف المجموعات المغايرة"[1]، كل ذلك في سبيل كسب مودة المتلقي والاستحواذ على تفكيره بمحو صورته السابقة عن شخص أو موضوع معيّن، وإعادة رسم صورة جديدة من صنع السياسي المخاطب في ذهن السامع.

نشير في هذا السياق إلى نقطة أساسية أثناء ممارسة الخطاب السياسي وهي أنّ "اللغة تسهم إلى حد كبير من تمكين بعض الناس من السيطرة على البعض الآخر"[2]، ولربما رجع السبب في ذلك إلى كون أنّ "مفهوم اللغة التي نحتاج إليها في هذا المضمار هو الخطاب، أي اللغة باعتبارها ممارسة اجتماعية تتحكم فيها الأبنية الاجتماعية"[3]، فأحيانا تكون اللغة المتوجه بها من طرف سياسي، برلماني، أو رئيس حزب، أو رئيس بلدية مثلا... أبلغ وأكثر إقناعا من التي توجّه بها رئيس جمهورية لشعبه، فالبرلماني أعرف بأحوال جماعته اللغوية، ويستطيع التحدث باسم ذلك المجتمع كونه خرج من البيئة نفسها، فيكون خطابه من نفس جنس خطاباتهم وربما يقنع مخاطبيه، في حين أنّ الرئيس يصعب عليه الإلمام في خطابه بكل الأطياف الاجتماعية لبلاده، فهو لا يمتلك نفس الحظوة في كل البيئات الاجتماعية، وبالتالي فإن مستويات السلطة يمكن لها أن تختلف بحسب مستويات التأثير على المتلقي هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما يتمتع به هذا الشخص من مكانة داخل مجتمعه التخاطبي.

ومن ضمن القواعد التداولية التي ترتبط بوضعية المتخاطبين والمتضمنة لأفعال الكلام الدالة على الأمر والطلب التي تحقق في كثير من الأحيان آلية السلطة في الخطاب:[4]

---

[1]- فان ديك، الخطاب والسلطة، ص126-127.

[2]- نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، ص15.

[3]- المرجع نفسه، ص35.

[4]- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص120.

- أن يتوفر شرط الاستعلاء والسلطة: على الآمر أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور.
- أن يتوفر شرط القدرة: أن يكون قادرا على إصدار الأمر.
- الإرادة: إرادة في إصدار الأمر.
- الإقتناع أو القصد.

إضافة إلى هذه القواعد يشترط في السياسي أن يكون ذا كفاءة خطابية عالية "والتي تقتضي من كل شخص أن يكون قادرا على التصرف في التعرّف على طرق الإخراج الخطابي التي تعكس الإكراهات المقامية والتي تلزم السياسي بأن يكون قادرا على بناء خطابه حسب هوية أطراف التبادل، وغائية التبادل، والقول المعني، وظروف التبادل المادية، إضافة إلى ما يفرضه استعمال اللغة ذاته من معرفة لكل أشكال الكلمات ومعانيها والقواعد التي تضبطها، وفي ذلك انتقال للصفة السلطوية من الخارج إلى الخطاب ذاته، بمعنى أن القوة التلفظية لم تعد تملك المرجعية إلى صاحبها الأصلي وحسب، بل إنها تتعداه إلى الخطاب الحجاجي -الخطابات الصادرة عن السياسي هي خطابات إقناعية حجاجية يروم المتكلم من خلالها إخضاع المتلقي له- الذي يتحول إلى خطاب ملزم يمارس سلطة حجاجية بارزة القوة على متلقيه"[1]، ضف إلى تلك العناصر اللغوية التي تسهم في سلطة الخطاب السياسي عناصر أخرى صوتية، "إذ يدخل عامل النبر والتنغيم وباقي العناصر الصوتية التي تستثمر خير استثمار من أجل استعطاف المتلقي أو ترهيبه، إذ تمارس سلطة عاطفية عليه وصفها **أرسطو** بمصطلح الباتوس (Pathos)، وعلى الرغم من أنها تركّز على عالم العواطف والأحاسيس إلّا أن سلطتها القصوى لا يستهان بها مطلقا"[2]. فمثلما تُوَظَّفُ لتحقيق سلطة مشروعة يمكن أيضا أن يساء توظيفها لتحقيق سلطة غير مشروعة على السامعين.

[1]- قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج، ص32. (بتصرف)

[2]- المرجع نفسه، ص34.

بعيدا عن الحديث عن سلطة خطاب معيّن ديني، سياسي، اجتماعي، دعاية إشهارية... يمكن القول بأن سيطرة الخطاب "تترسخ حالما يتم السيطرة على مؤشرات السياقة وإنتاج الخطاب، إذ يمكننا أن نستقصي كيف يتم التحكّم ببنى الخطاب نفسه: ما الذي يمكن أو ينبغي أيقال من الموضوعات الكلية إلى المعاني الجزئية؟ وكيف يمكن صوغه (بأيّ الكلمات أكثر تفصيلا ودقة أو أقلّها؟، وفي أيّ نمط من الجمل؟ وفي أيّ ترتيب؟ وفي أيّ موضع في المقدمة أم المؤخرة؟ ... وغير ذلك)، وأيّ الأفعال الكلامية أو غيرها من الأفعال التواصلية يجب أو يُحتمل إنجازه بواسطة تلك المعاني والأشكال للخطاب؟ وكيف تُنَظَّم مثل هذه الأفعال في التفاعل الاجتماعي؟"[1]. إنّ هذه التساؤلات وغيرها هي التي تمكّن المخاطب من ضبط أقواله السلطوية التي يتوجه بها إلى جهة معينة بهدف إقناعها بتصور ما حول أمر ما.

3.4. سلطة الخطاب الإشهاري:

بالاستناد إلى ما سبق ذكره تعدّ خطابات الدّعاية الإشهارية هي الأكثر ممارسة لآلية السلطة ومراعاةً للتساؤلات السابقة، إذ "لا يمكن أن نفهم الإشهار باعتباره خطابا إعلاميا راميّا إلى تحقيق سلطة معينة على فئة محددة بالإعراض عنه، أو بتجاهله، أو بالتنكّر لآثاره الحقيقية في معيش الناس وتصوراتهم للأشياء، إنّه حقيقة موضوعية تحاصرنا من كل الجوانب، إنّ مدخلنا للتصدي والمقاومة هو العلم ذاته ومعرفة أساليبه في الدّعاية والتواصل والتسلّل إلى لاشعور المستهلك الذي تأتيه الحاجات من أمامه ومن خلفه، فالمستشهر ليس برّاحا، ولا حتى وارثا للأساليب البالية القديمة التي كانت تكتفي بتسويق الحاجات التي يعرفها الناس (أو جُلّهم). إنّ المستشهر خالق للحاجات ومشبّعها إن لم تكن هناك حاجة وجب خلقها من أجل البيع والبيع وحده، إنّه لا يتكفي بذلك، إنّه تبسيطي، فهو لا يتردّد في استعمال الأحكام الجاهزة وما تسرّب إلى الرأي كمسبقات بدون سند لكي يعيد

[1]– فان ديك، السلطة والخطاب، ص47.

إنتاجها ويوزعها على الكائنات المستهلكة"[1]. إنّ هذه التقنيات الدّعائية غالبا ما تقترن بمفهوم السلطة العقلية باعتبار أنّ مثل هذه الخطابات تهدف إلى السيطرة على فهم المتلقي لاقتناء أحد المنتجات في كثير من الأحيان.

إن "السيطرة العقلية تشتمل على ما أبعد من مجرد فهم النص أو الحديث، فهناك عوامل أخرى تؤدّي دورًا في تغيير فكر الإنسان وعقله، ومنها المعرفة الشخصية والاجتماعية، الخبرات السابقة، الآراء والمواقف الاجتماعية، الايديولوجيات والأعراف والقيم، وغيرها من التمثيلات والعمليات الإدراكية المعقدة"[2]، التي يمكن بواسطتها أن يعرف المخاطِب/المنتِج كيف يؤثر على المستهلك "وهي نفسها يمكن توظيفها لإنتاج نص أو حديث جديد في سياقات أخرى، يمكن لها أن تسهم في النهاية بإعادة إنتاج الخطاب بصورة أكثر حميمية بينما هي تخدم ايديولوجيات معينة"[3]، قد تكون صريحة كما قد تكون ضمنية. يمكن لنا أن نصف الوصلة الإشهارية ببعديها البصري واللفظي الصريح والضمني بأنّها قوّة إقناعية تدفع بالمستهلك إلى الشراء من خلال مستويات شتى نذكرها كما يلي:[4]

المستوى الأول: هناك الإرسالية الإشهارية الأحادية السنن أو التي تتكوّن من سننين أو أكثر صورة، لفظ، موسيقى... إنّها صياغة لنص مختلط لا يمكن الإمساك بدلالته إلا من خلال البحث في الترابط بين ما يقوله النص المكتوب وما تقوله الصورة وما تثيره الموسيقى، إنّ الأمر يتعلق بملفوظ يقدّم وصفا لمنتج ما بشكل مباشر أو غير مباشر، وهي الحالة التي تتجلى من خلالها كل الملفوظات الإشهارية سواء كانت لفظية أو بصرية.

المستوى الإنجازي: يتضمن الملفوظ الإشهاري غايتين: غاية وصفية مباشرة توهم بأنّ الإرسالية لا تقوم سوى بوصف خارجي للمنتَج. إلا أنّها تضمن الإرسالية، من خلال هذا الوصف ذاته بعدا

[1]- سعيد بنكراد، الصورة الإشهاري آليات الإقناع والدلالة، ص8.

[2]- فان ديك، الخطاب والسلطة، ص48.

[3]- المرجع نفسه، ص48-49.

[4]- ينظر: سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، ص204-205.

إقناعيا يهدف إلى إقناع المستهلك بجدوى استعمال المنتَج (س)، ويمكن أن نمثّل للعملية من خلال سلسلة الملفوظات التقريرية من قبيل: المُنتَج ديتول (منظّف) وهو موجود في السوق، ويتداوله الكثيرون، من يستعمله سيستمتع بمزايا لا عدّ لها ولا حصر، ومن لم يستعمله بعد فهو محروم من هذه المزايا. إنّ الفعل الإنجازي المهيمن على أغلب الوصلات هو إخباري بشكل صريح وتوجيهي بشكل ضمني من قبيل: أوبتيلا بنينة يا خويا، لكنه يدعو ضمنيا بتناول هذا النوع من الشكولاطة.

ومن جهة ثانية فإنّ تعداد مزايا المنتج والتمييز بين مستعمل حذق يميّز بين المحاسن والمساوئ، وآخر يجهل كيفية القيام بذلك هو دعوة صريحة إلى شراء المنتَج للاستفادة من مزاياه، وتلك هي القوة الإقناعية التي لا ترى بالعين المجردة.

المستوى الثالث: في هذا المستوى يمكن أن نلمس الآثار التي يحدثها الملفوظ في وجدان المستهلك، وهي آثار تجمع ضمن بنية واحدة بين الاعتقاد الناتج عن الفعل الإنجازي، وبين الواقع الذي هو حاصل للفعل التأثيري: الدفع بالمستهلك إلى شراء المنتج، فالبعد الأول مرتبط بقصدية تأثيرية من نوع الدفع بالمستهلك إلى الاعتقاد في جدوى اقتناء المنتَج، في حين يقدِّم البعد الثاني ما يبرر حالة الفعل الذي يقود إلى فعل الشراء الذي هو الغاية التأثيرية من الوصلة بأبعادها الثلاثة (تقديم المنتج، الوصف والإقناع، التأثير). إنّ الدّارس للخطاب الإشهاري عموما والمدقّق في بنيته التركيبية على وجه الخصوص يدرك تمام الإدراك بأنّ غايته الأولى والأخيرة هي الاستحواذ على تفكير المستهلك من خلال هذا التركيب اللفظي المخطط له قبليا من طرف المنتج، بالارتكاز على خطابات نموذجية لتمرير إرساليته وتحقيق أكبر نسبة مبيعات لمنتجاته، وبذلك تتحقق سلطة البائع على المشتري ويحدث فعل الإنجاز المتمثل في الاقتناء، بغضّ النظر عن جودة المنتوج أو عدم ذلك.

بناءا على ما سبق لنا ذكره حول آليات السلطة في الخطاب التداولي يمكن لنا أن نحمل وسائل السلطة المتنفذة بواسطة الخطاب بمختلف أنواعه (ديني، سياسي، إعلامي...) في العناصر الآتية:[1]

[1]- فان ديك، الخطاب والسلطة، ص96-97.

1- تتحقق السيطرة المباشرة للفعل عن طريق الخطابات ذات الوظيفة التداولية المباشرة (القوة الإنجازية) مثل: الأوامر، والتهديدات، والتعليمات... أو غير المباشرة مثل: التوصيات والنصائح.

2- ترمي أنواع الخطاب الإقناعي كالدّعاية والإعلان أيضا إلى التأثير في الأفعال المستقبلية للمتلقين، وتمارس سلطتها عن طريق الوصول إلى وسائل الإعلام والرأي العام على نطاق واسع، ويُمتثل للسلطة -في هذه الحال- عن طريق الوسائل البلاغية مثل: التكرار وبيان الحجج، ولكنها بالطبع تُدعم بالآليات المعتادة في السيطرة على السوق.

3- بسبب أنماط الخطاب التوجيهي هذه قد تتأثّر أفعال المستقبل -أيضا- بأوصاف الأحداث أو المواقف المستقبلية كالتوقعات، الخطط، البرامج، التحذيرات، وقد تكون أحيانا مقترنة بأنواع مختلفة من النصائح، وتتمثل السلطة هنا بوسائل البلاغة من حجج ووصف لسلاسل الأفعال البديلة غير المرغوب فيها بشكل أكثر خفاءا.

من جهة أخرى يمكن للمشاركين في الخطاب تفعيل علاقات السلطة مع المجموعات التي ينتمون إليها أو توضيحها أو التعبير عنها أو وصفها أو إخفاءها أو الإشارة إليها أو إضفاء الشرعية عليها على مستوى خطاباتهم عن طريق ما يلي:[1]

أولا: على المستوى التداولي عن طريق تقييد النفاذ أو السيطرة على أفعال الكلام كالأوامر، والاتهامات والإدانات الرسمية والتبرئة أو غيرها من أفعال الكلام المؤسساتية (ولا يصح تطبيق هذا على النص الديني-القرآن الكريم-).

ثانيا: قد تكون ضمن التفاعل الحواري، إذ يمكن للمرء أن يسيطر على المحادثة، على استراتيجيات التقديم الذاتي، والسيطرة أيضا على أي مستوى من مستويات الحديث العفوي أو الحوار الرسمي.

ثالثا: من الممكن السيطرة على اختيار نوع الخطاب أو نمطه عن طريق متكلمين أكثر قوة ونفوذًا كالحديث عن التجارب الشخصية.

[1]- فان ديك، الخطاب والسلطة، ص99.

رابعا: بعيدا عن المحادثات اليومية غالبا ما تسيطر المواقف التواصلية على موضوعات المحادثة، ولكن عادة ما يسيطر أصحاب النفوذ والقوة على هذه الموضوعات ويدشّنونها ويغيّرونها، وينطبق الشيء نفسه بالنسبة إلى الأسلوب والبلاغة.

المبحث الثالث: الاستراتيجيات التخاطبية

يعتبر مفهوم الاستراتيجيات التخاطبية من المفاهيم الأساسية في حقل الدّراسات التداولية، يتكوّن هذا المصطلح من جزئين: الاستراتيجيات، التخاطب.

1. في مفهوم الاستراتيجية التخاطبية وعناصر بناءها:

مفهومها: يرتبط مفهوم الاستراتيجية عموما بطرق التخطيط لهدف مرجو تحقيقه إذ "يرجع استعمال مصطلح «استراتيجية Stratégie» إلى المجال العسكري، وهو يشير هناك إلى طرق الوصول إلى أهداف عسكرية بعيدة المدى"[1].

إذن "فالاستراتيجية خطة مبرمجة مسبقا لتخطيط أهداف محددة آنفا تعتمد في إنشاءها على جانبين اثنين، أوّلها تخطيط ذهني مسبق لما ستكون عليه الخطة المتوقعة، وثانيهما تجسيد فعلي وواقعي، مع العلم أنّ صاحب الاسترتيجية هو من يرتكز عليه الأمر كله سواء عند التخطيط أو عند التجسيد أو عند استغلال الوسائل والإمكانات المساعدة على بلورة هذا العمل من أجل تحقيق المقاصد والأهداف"[2] المرجوة.

أما إذا اقترن هذا المصطلح بمصطلح الخطاب/التخاطب فإنّه يدّل على "المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه

[1]– إدريس مقبول، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع2/15، مج8، 2014، ص541.

[2]– جودي حمدي منصور، آليات بناء الإستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، مجلة حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع6، ديسمبر 2016، ص78.

من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسِل، وقد محض النقاد لهذه الظاهرة مصطلح الاحتيال، واعتبروه سلاح المتكلم في مواجهة المخاطب للوصول بسياسته إلى مبتغاه، فمصدر التأثير الذي يكون للكلام في السامع إنّما هو الحيلة، ويخلو مفهوم الحيلة لدى النقاد القدامى من كل دلالة سلبية، فهو عندهم مظهر من مظاهر الحذق والمهارة وأمارة من أمارات جودة النظر وما الاحتيال إلاّ وسيلة لتحصيل المتكلم على مرغوبه"[1]. إذن فالاستراتيجية التخاطبية هي الخطة التي يرسمها الباث باعتباره مخاطِبا قبل التلفّظ بخطابه، أيّ قبل إنجازه سلسلة أفعاله القولية، والحقيقة أنّ "أيّ خطاب هو نتيجة لاستراتيجية معيّنة، ولتوليده ثلاث مراحل هي:

- إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة.
- تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة ليتم اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة.
- التلفظ بالخطاب"[2].

عناصر الاستراتيجية التخاطبية: من أهم العناصر التي تساهم في بناء الاستراتيجيات التخطابية ما يلي:

1.1.الكفاءة التداولية: يعرّفها **دومينيك مانغونو** بقوله "الكفاءة التداولية هي القدرة على التحكم في المبادئ العامة للنشاط الخطابي، ولاسيما قواعد المحادثة التي يمكن أن توصف بأنها كفاءة خطابية، وتشمل الكفاءة التداولية مبادئ التبادل اللغوي العامة جدّا والتي هي مشتركة بين أجناس خطابية كثيرة"[3]، أي أنّ الكفاءة التداولية تساعد المتكلم على بناء خطابه، وكذا اختيار نوع الاستراتيجية التي تتناسب مع مقاصده وما يريد إبلاغه لمرسله.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص62.

[2]- المرجع نفسه، ص63.

[3]- باتريك شارودو-دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري- حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ط1، 2008، ص112-113.

ويمكن القول بأنّ "الكفاءة التداولية تعدّ مكوّنا فاعلا ضمن تكوين الإنسان السوي تماما كما هي كفاءته اللغوية، بيد أنّ كفاءته التداولية ليست نسقا بسيطا بل هي أنساق متعددة متآلفة، إذ تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل وهي الملكة اللغوية (القدرة على الإنتاج والتأويل والتنويع في العبارات اللغوية)، والمنطقية (القدرة على اشتقاق معارف أخرى بواسطة قواعد الاستدلال المنطقي)، والمعرفية (القدرة على تكوين رصيد من المعارف المنظمة واختزانها)، والإدراكية (القدرة على إدراك المحيط واشتقاق معارف منه)، والاجتماعية (القدرة على اختيار الأقوال المناسبة لمخاطب معين في موقف تواصلي)"[1].

إنّ مستعمل اللغة الطبيعية لا يمكن له أن يختار الوجهة الخطابية التي تتناسب مع ما يرغبه ما لم يمتلك الكفاءة التداولية التي تمكّنه من إنتاج عدد لا متناه من العبارات والجمل التي هي بمثابة قوالب لغوية لمعارفه التي تجسّد بدورها استراتيجياته الخطابية.

2.1.مستويات اللغة:

لمستويات اللغة أيضا دور في بناء استراتيجيات التخاطب فإذا اعتبرنا "اللغة الطبيعية وسيلة تواصل بين المتكلم والمتلقي لتحقيق أهداف محددة فإنّ لها نوعين من المعايير، معايير افتراضية وأخرى استعمالية، فالمعايير الافتراضية هي جملة القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية التي تخضع لها اللغة عموما، أي ما يجب أن تكون عليه اللغة، وأمّا المعايير الاستعمالية فتمثل جملة الإمكانات المتوفرة لدى المتكلم حين الاستعمال والتي تمكنه من الخروج عن المعايير الافتراضية لداع معيّن يرتبط بالسياق وبمقاصده وبطبيعة المتلقي، فالمتكلم لا يستعمل دائما لغة تنحصر في دائرة الحقيقة وإنّما يجوز له في أحيان كثيرة التحوّل عن هذه الدائرة إلى استعمال المجاز عن قصد ودراية وإدراك بما تكون عليه الأمور، وهذا ما يجعل اللغة الطبيعية المستعملة في الخطاب خاضعة لباب ما هو كائن تبعا للاعتبارات

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص57.

السابقة"[1]، وهو ما يستدعي من المتخاطبين توظيف استراتيجيات خطابية مختلفة بحسب حاجة المتكلم إليها أثناء الاستعمال، أي استخدامها بما يتناسب مع ما تطلبه الخطاب. وفيما يأتي تبيان لأثر كل من الصوت والصرف والتركيب والمعجم والتنغيم في بناء الاستراتيجية التخاطبية المناسبة:

1.2.1.المستوى الصوتي:

حلّت الدّراسة الصوتية في صدارة الترتيب لمستويات اللغة، وما يهمنا فيها هو الجزء المتعلّق بالدّلالة الصوتية، أي "دراسة الصوت باعتباره وحدة في نسق صوتي وهو ما يهتم به علم الفونولوجيا Phonologie، حيث يربط بين الصوت وطرق تشكيله ووظائفه، فربط الصوت بالمعنى من أهم سمات هذا العلم في ضوء التمييز بين الوحدة الصوتية Phonème والوحدة الصرفية Allophone على أساس التقابل الدّلالي، فالفرق بين نال وقال هو فرق صوتي متمثّل في الوحدة الصوتية (ن) والوحدة الصوتية (ق)، وهو فرق يؤثّر في المعنى، في حين أنّ تعدّد درجات الاختلاف في وحدة صوتية مثل (اللام) بين درجات التفخيم والترقيق في السياقات الصوتية المختلفة، كل هذه الدرجات صور صوتية Allophone لا تؤثّر في المعنى"[2] المقصود من حيث الدلالة اللغوية للمفردة أو الكلمة ككل.

لكن أحيانا يؤدي استخدام بعض الحروف باعتبارها أصواتا داخل الكلمات والجمل أو العبارات إلى الكشف عن استراتيجية المخاطبين أثناء الحديث، فمثلا نجد "الحروف ذات الأصوات الرقيقة هي الأكثر ايحاءا بالرّقة والأناقة والدماثة، وما إليها عندما تقع في نهاية الألفاظ، فأصواتها تكون هنا أكثر خفوتا ورِقَةً منها في أي موقع آخر"[3] ولهذا السبب بالذّات لابد أن يختلف تأثير الحرف الواحد رقيقا كان أم قويّا في معاني الألفاظ فيحدث"ملائمة الصوت المستعمل في اللفظ لطبيعة المعنى المقصود، أي أنّ الصوت يحمل دلالة إيحائية مناسبة للمعنى"[4] المناسب.

---

[1]- جودي حمدي منصور،بليات بناء الاستراتيجية التخاطبية من منظور تداولي، ص80-81.

[2]- محمد محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، دط، 2001، ص103.

[3]- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1998، ص45.

[4]- جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص81.

وبهذا نخلص إلى أنّه للصوت أيضا دور في تحديد استراتيجية المتكلم الخطابية نظرا لما تحمله صفاته من دلالات داخل السياق الصوتي المُتلفظ به فيه.

2.2.1.المستوى الصرفي:

يهتم هذا المستوى بدراسة "البنية التي تمثل الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية أو نحوية"[1] يعبّر بها المتكلم عن مقاصده ودلالاته اتجاه العالم والأشياء، ولعل هذه الصيغ الصرفية هي بمثابة القوالب اللغوية لاستراتيجيات المتكلم الخطابية.

3.2.1.المستوى المعجمي:

إذ "يتعلق الأمر في هذا المستوى بما يوفره المعجم من ألفاظ ومعاني يعمد المتكلم إلى اختيارها وانتقائها"[2] من أجل توظيفها في الخطاب بما يتناسب مع أغراض المتكلم التواصلية، وما يتوجه به من دلالات لمخاطبه في إطار بناء استراتيجية خطابية ناجعة.

4.2.1.المستوى التركيبي:

يهتم هذا المستوى "بدراسة نظام بناء الجملة ودور كل جزء منها في البناء وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية"[3]، ويسهم هذا المستوى في بناء الاستراتيجية الخطابية للمتكلم من خلال تشكيله لنظام نحوي سليم يعبّر به عن رغباته ومقاصده لمخاطِبه وكذا هدفه المرجو من هذا الخطاب.

5.2.1. مستوى التنغيم: معلوم أن التنغيم هو "رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة"[4]، ولعل هذا المستوى له مكانة أساسية في بناء استراتيجيات

---

[1]– أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، 2008، ط3، ص185.

[2]– جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص82.

[3]– محمد محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، دط، 2001، ص106.

[4]– رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص106.

الخطاب فالملفوظات مثلما تختلف في أبنيتها اللغوية والصرفية والتركيبية فإنها تختلف أيضا في طريقة إخراج هذه التراكيب والنطق بها في إطار تحقيق دلالة صوتية تتناسب مع مقاصد هذا المتكلم.

3.1. السياق غير اللغوي:

لا يشك اثنان في أنّ للكلمة بدلالاتها المختلفة "قوة تعبيرية داخل الخطاب والتي يحدّدها السياق الذي وردت فيه، لكن هذه الدّلالة لا تتأتى من المعنى المعجمي وحده لكونه معنى مفتوحا ومطلقا وعائما وغير محدد، بل تأتي من طبيعة السياق اللغوي الذي ترد فيه محكوما بالسياق المقامي أو الحالي، أو السياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه بعناصره وظروفه وملابساته وحيثياته"[1]، والتي توصف بالعناصر غير اللفظية أو غير اللغوية وهي تشمل "حركات وإيماءات المتكلم المصاحبة للتنغيم في مقاطع محددة أثناء الخطاب ويضاف إليها بعض العلامات السيميائية المستقلة عن اللغة الطبيعية مثل الألوان والصور، كل هذا التنوّع غير اللغوي يدخل في بناء استراتيجية الخطاب لدى المتكلم لأنّ هذه العناصر تسهم في بناء مقاصده لدى المتلقي"[2] بوصفه طرفا ثان في الخطاب وأساسيّا في العملية التواصلية.

4.1.القصد:

أشرنا في المبحث الأول من هذا الفصل إلى مفهوم القصد والنظرية القصدية في الفكر التداولي، ما يهمنا في هذه الجزئية هو علاقة القصد بالاستراتيجيات التخاطبية، فإذا كان "القصد هو ما يدور في خلد المتكلم باستمرار أثناء اصداره لملفوظاته من أجل تحريكه على التبليغ فإنّ الاستراتيجيات التي يتبناها المتكلم في خطاباته نتاج لهذا القصد، إذ تكمن غاية المتكلم أثناء مخاطبته للآخر في انسجام مقاصده بالأساليب التي يصوغ عليها ملفوظاته، لذلك فإنّنا لا نتصور شخصا يقصد التأثير

[1]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تق: علي الحمد، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007، ص296.

[2]– جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص84.

في الآخر – مهما كانت طبيعة هذا التأثير– ما لم يتبنى استراتيجية معينة يفرضها عليها المقام التبليغي ومختلف سياقاته"[1] والتي تقوم أساسا على دوال ومدلولات.

5.1.سلطة الخطاب:

أما عن إسهام السلطة في بناء الاستراتيجيات الخطابية فإنّ أيّ "أداء للكلام سيكون عرضة للفشل إذا لم يكن صادرا عن شخص يملك سلطة الكلام، وتتدخل السلطة في اختيار الاستراتيجية الملائمة للخطاب سواء أكانت موجودة أم منعدمة فيه، ويعود هذا بالدرجة الأولى إلى الكفاءة التداولية للمتكلم الذي يراعي السياقة المحيطة به بما في ذلك مكانته الاجتماعية ووظيفته المهنية والهيئة التي يمثلها والمكان الذي يتواجد به، لتأتي كفاءته التداولية منتجة ومجسدة لسلطته في الخطاب"[2]، هذا الأخير الذي "ليس هو بجملة/ملفوظ محدّد بفعل وذات فقط"[3]، بل إنه يتعدى ذلك إلى أنّه المصدر المجسّد لسلطة المتكلم ويعكس لنا مدى سلطة المتلقي أثناء الخطاب، كما أنّ للغة الخطاب أيضا سلطة هي الأخرى في رسم الاستراتيجية المناسبة للتخاطب دون أن ننسى"ما للمجتمع من قيود تفرض على المتخاطبين وتسهم في بناء خطاباتهم"[4].

6.1.الإشاريات:

غالبا ما يقصد بالإشاريات العناصر التي تسهم في بناء السياق المناسب للعملية التخاطبية، وقد تتأثر به في بعض الأحيان.

يعرّف **فان دايك** (**Van diyk**) الإشاريات بقوله:"هي تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي (يستقي تفسيرها منه) وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه...إلخ، وهذا يعني أن

[1]– ينظر: عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، ص64، وأيضا ص67-68.

[2]– جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص85.

[3]– ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ص66.

[4]– جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص86.

هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق المتغيّر ولها دائما محيلات أخرى"[1]، وهي حسب تعريفه هذا "كلمات وتعابير موجودة في كل لغة تعتمد على السياق الذي تستخدم فيه ولا يستطاع إنتاجها وتفسيرها بمعزل عنه"[2].

ومن ذلك على سبيل المثال أسماء الإشارة والضمائر والأسماء الدّالة على الشخص والزمان والمكان كما أنّه "غالبا ما يستعين المتكلم بالحركات والإشارات اليدوية والجسمية لتحديد وإبراز محتواها الدّلالي أثناء التخاطب، وهي تنقسم إلى:

الإشاريات الشخصية (الأنا):

تمثّل الإشاريات الدّالة على المتكلم أو المتلقي الحاضر أو الغائب لحظة الخطاب، إذ يعدّ كل من المخاطب والمخاطب محور العملية التخاطبية.

الإشاريات المكانية (الآن):

تمثّل لحظة التلفظ بالخطاب، وهي لحظة مرجعية بالنسبة للمتلقي لفهم وتأويل مقاصد المتكلم أثناء التواصل"[3].

ولعلّ علاقة هذه الإشاريات بالاستراتيجيات التخاطبية يكمن في أنّ "الإشاريات تمثّل اللبنات الأولى لعملية التواصل (التي غالبا ما تتأسس بهدف الإقناع ونتيجة الإقتناع) بين طرفي العملية التواصلية، فهي بمثابة حجر الأساس لبداية عملية حوارية ناجزة قائمة على المشاركة الحقيقية بين طرفيها"[4] المتكلم والمتلقي.

---

[1]- أحمد كنون، التداولية بين النظرية والتطبيق، ص70.

[2]- المرجع نفسه، ص70.

[3]- جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص87.

[4]- أحمد كنون، التداولية بين النظرية والتطبيق، ص70.

وذلك لتحديد جملة "المقاصد والأهداف أثناء التواصل وهذا ما يسهم في شدّ انتباه المتلقي إلى جزئيات الخطاب وربط بعضها ببعض باعتماد هذه الإشاريات في بناء الاستراتيجية الخطابية وكشف معالمها"[1] زمانا ومكانا وأشخاصا.

2. أنواع الاستراتيجيات التخاطبية:

إذا علمنا أنّ الخطاب هو: "الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أو آراءهم في الأشياء"[2] فهذا يعني أنّ "خطاب أيّ متكلم لا ينطلق من العدم وإنّما يستغل هذا المتكلم مجموع الإمكانات اللغوية وغير اللغوية التي تنتظم وفق معطيات السياق المحيط بين طرفي الخطاب، هذا الاستغلال الذهني المسبق هو ما يكفل للمتكلم بناء خطة متبعة أثناء التخاطب تعرف باستراتيجية الخطاب، علما أنّ هذه الاستراتيجية تمتاز بالتغيّر والتنوّع لأنّها عمل عقلي يبنى على افتراضات مسبقة تتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها"[3] فيظفر المتكلم آنذاك بغايتين الأولى هي جودة الخطاب من حيث أسلوبه البنائي والثاني هي تبليغ إرساليته.

وقد أشار **عبد الهادي بن ظافر الشهري** إلى أنّه "يتم تصنيف أنواع استراتيجيات الخطاب بناءا على معايير واضحة وهي:

- المعيار الاجتماعي ويرتبط بالعلاقة بين طرفي الخطاب وقد تفرع عليه استراتيجيتان هما: الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية.
- معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل وتُؤسس عليه الاستراتيجية التلميحية.
- معيار هدف الخطاب، وتُؤسس عليه استراتيجية الإقناع"[4].

---

[1]- جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، ص88.

[2]- باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري حمادي صمود، ص180-181.

[3]- جودي حمدي منصور، تشكّل أنواع الاستراتيجيات الخطابية- دراسة في الأهداف والوسائل، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع21، جوان 2017، ص82.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص444.

انطلاقا من هذه المعايير نجد أنفسنا أمام أربع استراتيجيات خطابية:

– الاستراتيجية التضامنية–الاستراتيجية التلميحية–الاستراتيجية التوجيهية–استراتيجية الإقناع.

1.2.الاستراتيجية التضامنية:

تعرّف الاستراتيجية التضامنية بأنها "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالا هي محاولة التقرّب من المرسِل إليه وتقريبه فإذا كانت العلاقة بسيطة بين طرفي الخطاب أو لا يوجد بينهما أي نوع من أنواعها، فإنّ المرسل يسعى إلى تأسيسها بالتلفظ بالخطاب بأن يتقرّب من المرسل إليه بما يجعله واثقا بأنّ المرسل يميل إليه ميلا طبيعيا خاليا من أي دوافع أو أغراض منفعية وهذا هو عين التأدّب في الخطاب، لذلك نجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريص على أن يحفظ عرى التواصل حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه، فيجتهد في التوسّل بما يجلب إقبال المخاطِب على سماعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول طمعاً في أن يبادله نفس الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة"[1] بين كلا الطرفين.

والملاحظ من خلال هذا التعريف أنّ هذه الاستراتيجية تقوم بالأساس على ضرورة حفظ المسافات بين المتخاطبين فلا يحلّ لعنصر السلطة بكل أنواعها (سلطة الخطاب، سلطة اللغة المستعملة في الخطاب، سلطة المتكلم، سلطة المتلقي، سلطة المجتمع) مكان في هذه الاستراتيجية، فكل المتخاطبين هنا في مستوى واحد وإن كان ذلك حقا فإنّه لزاما على أحد الطرفين التضامن مع الآخر.

مسوّغات الاستراتيجية التضامنية: لعلّ المرسِل ينتهج هذه الاستراتيجية لتحقيق ما يلي:[2]

– تأسيس العلاقة الودّية بين طرفي الخطاب أو إعادة الحميمية لها بعدما تعرضت للبرودة.

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص257–258.

[2]– إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص543–544.

- تحسين صورة المرسِل أمام المرسَل إليه.
- تفعيل التضامن في حياة الناس.
- الحدّ من دور السلطة في حياة الناس.
- تيسير طرق التفهيم والتعليم عن طريق التأدب.
- كسب ولاء الناس ومحبتهم وتعاطفهم.

كما "يفضّل استخدام هذه الاستراتيجية التضامنية عند الاستعداد لخدمة الآخرين، إذ يعزّز المرسِل بذلك الصداقة والحميمية معهم، لأنّ قبول الطلب يُنِمُّ عن رضا الطرفين عن رغباتهما، وبالتالي فلن يكون هناك إراقة لماء الوجه سواء الجالب أو الدافع ومما يمثل ذلك إجابة الطلب التي يبادر بها الإنسان في بعض المجتمعات العربية عندما يستعين به أحد أو يطلب منه شيء بقوله: أبشر يا أبا فلان، أو على عيني، أو على أنفي..."[1] فكلها عبارات تدل على مسافة الاحترام الموجود بين أطراف الخطاب والتي ساهمت في تشكيل الاستراتيجية التضامنية بينهما.

الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التضامنية: لا شك أنّ التضامن في الخطاب يقوم على وسائل لغوية لتحقيق غاية المتكلم من المتلقي فيعمل على"توجيه الخطاب إلى مرسله من الناحية النفسية والاجتماعية بوسائل لسانية مثل: الضمائر، الأسماء، عبارات التودّد التي تمثل كلا من علاقات الرتبة والتضامن بين المرسِل والمرسَل إليه فتعمد هذه الوسائل والصيغ إلى الكشف عن هذه الاستراتيجية التضامنية التي يختارها المتكلم أثناء الخطاب"[2]، ومن جملة هذه الوسائل المستعملة في الاستراتيجية التضامنية نذكر ما يلي:

العَلَم: "هناك أدوات لغوية للدلالة على العَلم وهي الاسم عموما والكنية واللقب وتتفاوت من ناحية تجسيدها للاستراتيجية التضامنية، فأبرزها هو الاسم، فالكنية، فاللقب، فهذا هو الترتيب في قوة

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص262.

[2]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص84.

دلالتها على التضامن إذ يستعمل المرسِل الاسم الأول للمرسَل إليه عند ندائه مثلا أو عند الحديث عنه، كما قد يستعمل المرسل اسمه الأول عند التعريف بنفسه مع غيره أو يستعمل المرسِل الخطاب بالكنية عوضا عن الاسم الأول، وقد يكون مردّ ذلك إلى اعتبار التضامن مع قدر قليل من الرسمية، ومن أمثلة الكنية أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، وأن تقع في الصبي كذلك على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه..."[1] وغير ذلك.

وأما "اللقب فهو بديل عن الاسم والكنية، وهو أضعف منها في التضامن وينشأ غالبا لأسباب اجتماعية أو وظيفية ترتبط بصفة غالبة في الشخص داخل مجتمعه أو برتبة اكتسبها من ارتقاء السلم الوظيفي الذي ينتمي إليه"[2] ونشير إلى أنّ اللقب يحقق استراتيجية تضامنية بين المتكلم والمتلقي بحسب طبيعة اللقب في حد ذاته إن كان محبوبا أو مذموما إلى أذن السامع.

ألفاظ التحية: "هي ألفاظ يتم توظيفها من المعجم اللغوي، فتوظف في الخطاب للدلالة على التضامن، كما تعد مؤشرا ومعيارا على الكفاءة اللغوية للمتكلم الذي يستخدمها للتقرب من المتلقي ومن أمثلتها ألفاظ التهنئة (هنيئا، مبروك...) والألفاظ الدالة على التأييد والصداقة وعلى الوعد"[3] ولا يشترط فيها المعرفة الشخصية بين الطرفين، إذ الغرض الأساسي منها هو التودد بها.

الإشاريات: أشرنا فيما سبق إلى أنّ الإشاريات هي أحد أهم العناصر التي تساهم في بناء الاستراتيجيات الخطابية والاستراتيجية التضامنية منها "إذ يستعملها المتكلم لتأسيس علاقة اجتماعية حميمية تربطه بالمتلقي وتدل على انتمائهما إلى جماعة واحدة وعلى الاتفاق حول رأي واحد، فضلا عن استعمالها للدلالة على وظيفتها النحوية، فالضمائر الشخصية بمثابة خدم اللغة المتواضعين لأنه

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص270، وأيضا ص273-274.
[2]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص85.
[3]- المرجع نفسه، ص85.

يمكن لنا أن نطوعهم للخدمة في إنجاز الوظائف الرمزية ذات المستوى الرفيع"[1] مثال ذلك ما توجه به الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في أحد خطاباته للشعب الجزائري:

- أنتم الحافظون للأمانة.
- أنتم الأوفياء للرسالة.

الطُرفة: "تعدّ المداعبة من آليات التضامن وإحدى استراتيجيات التأدّب الإيجابي، فالطرائف تتأسس على الخلفية المعرفية المشتركة وكذلك على القيم، ولهذا فإنّه يمكن استعمالها لتثبيت تلك الخلفية أو تلك القيم المشتركة فيتجاوز المرسِل عند التلفظ بالطُرفة مجرد دورها في التسلية، إلى بعد أهمّ وهو التقارب بينه وبين المرسَل إليه وقد يكون هو القصد الأهم عنده، لذلك كانت هي مفتاح تأسيس العلاقة في كثير من السياقات"[2] إذ يلجأ المتحدّث أحيانا للبدء بطُرفة ما تمهيدا منه لما يودُّ قوله لمخاطَبيه، أو للتعبير عن رغبته في تحقيق أمر ما فيلجأ للتضامن بواسطتها.

اللهجة: "تمثل اللهجة مجموع السّمات والتغيّرات التي تطرأ على اللغة الأم في مكان أو إقليم معيّن، وتميّز اللهجة الفرد عن غيره ممن تختلف لهجتهم عنه، ولغاية تحقيق التضامن يعتمد المتكلم لهجة المتلقي فيخاطبه بها للتقرّب والتودّد منه أكثر من سعيه إلى إفهامه محتوى الخطاب"[3] فنجده يستعمل مصطلحات وكذا مفردات من بيئة متلقيه قد لا تكون من استعماله اللهجي أصلا طمعا منه في كسب تضامن المخاطَب.

2.2.الاستراتيجية التوجيهية:

تعرّف الاستراتيجية التوجيهية بأنّها "الاستراتيجية التي يرغب المرسِل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواهٍ يُفترض أنّها لصالح المخاطَب أو المرسل إليه، ولا يعدُّ التوجيه هنا فعلا لغويّا فحسب وإنّما

[1]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص85.
[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص311.
[3]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص86.

يعدّ وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية، إذ أنّ اللغة تعمل على أنّها تعبير عن سلوك المرسِل وتأثيره في توجيهات المرسَل إليه وسلوكه"[1] قصد أمره بفعل ما أو التخلي عنه وكذا نهيه عن فعل شيء معيّن يدّعي المتكلم من خلاله أنه في صالح المخاطَب.

وبهذا فإنّ "الاستراتيجية التوجيهية هي مجموع الخطط أو السبل التي يتبعها المخاطِب من أجل تبليغ قصده وتوجيه المخاطَب إلى الأخذ به دون مراعاة للعلاقات التخاطبية ودون حرص على بقاءها أو انقطاعها، إذ يشكّل تبليغ الرسالة الهدف الأسمى"[2] من العملية الخطابية ككل.

بالاستناد إلى ما سبق ذكره ترتبط السلطة إلى حدّ قريب بالاستراتيجية التوجيهية، فإذا اعتبرنا "الاستراتيجية التوجيهية طريقة إكراه وتدخّل في حرية المخاطَب خاصة إذا كان فعل التوجيه مدعما بسلطة المخاطب فإنّ ذلك لا يعدّ توجيها من المتكلم للمتلقي بل ممارسة سلطة معينة عليه، كما أنّه من جهة أخرى في حال تساوي العلاقات التخاطبية فقد يصبح فعل التوجيه مثار سخرية واستهزاء"[3] ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى كون المخاطِب الآمر أقلّ درجة أو سلطة من المتلقي ما جعل فعل التوجيه هنا فعلا فاشلا.

كما يمكن لهذه الاستراتيجية أن تستعمل "لإعادة هيبة العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب، بل تأكيد حضورها في الذّهن وعدم إغفالها لاسيما إذا كان التعامل في السابق بحسب الاستراتيجية التضامنية، وذلك لأنّ صيغ التهذيب والتودّد قد تقلّل من هيبة المخاطب أو شأنه ولا سبيل لاسترجاع هذه الهيبة إلا باستعمال السلطة وبالتالي تقديم توجيهات"[4] صريحة ومباشرة للمتلقي فالتضامن معه لم يعد ينفع.

---

[1]- إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص549.

[2]- شفيقة طوبال، الاستراتيجيات التوجيهية في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، مقاربة تداولية في الآيات القرآنية المبدوءة بـ«قُل»، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج3، ع2، جامعة المسيلة، ، 2019، ص173.

[3]- المرجع نفسه، ص173.

[4]- المرجع نفسه، ص173.

مسوغات الاستراتيجية التوجيهية: هناك عدد من المسوغات التي ترجّح استعمال الاستراتيجية التوجيهية دون غيرها وهي:[1]

- عدم التشابه في السمات مثل السمة المعرفية (الطالب/الأستاذ) خصوصا المبتدأ الذي يحتاج إلى توجيهه أكثر من ملاطفته، أو عند الشعور بعدم تطابق الأمزجة أو اتحاد الهدف وانتفاء الحاجة للسعي إلى ذلك.
- عدم وجود تكرار في الاتصال بين طرفي الخطاب كاللقاءات الرّسمية التي يؤطّرها جوّ العمل.
- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب، فقد يستعمل المرسل الاستراتيجية التضامنية بالرغم من سلطته، ولكن المرسل إليه قد يؤول ذلك بأنّه ضعف منه، ودرأً لهذه التأويلات المرسلة يجد المرسل أنّ استعمال التوجيه بدءا هو أسلم استراتيجية وأضمنها نتيجة.
- تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الاستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسل إليه، فيقصي المرسل اعتبار هذه التأثيرات على نفسية المرسل إليه متجاهلا إياها.
- رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع لمنزلة الذاتية.
- حصول تحدّ واضح للمرسل ولتعليماته، أو تحدّ ضدّ الأنظمة والتعليمات العامة أو بالإساءة إليه رغم سلطته، أو عندما يشعر المرسل بأنّ المرسل إليه قد يتجاوز حدوده في النقاش أو الحوار أو أن يتحداه بفعل ما.
- مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال التوجيهية، بين الطبيب والمريض مثلا عندما لا يلتفت إلى التراتب الاجتماعي مثلا.

كما يمكن استعمال هذه الاستراتيجية أيضا أثناء "الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتوقير، وكذلك يمكن استعمالها أثناء إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل"[2].

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص328.

[2]- إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة البنوية، ص549.

وعموما ترتكز هذه الاستراتيجية على القصد في الطلب وكذا مبدأ السلطة بين المتخاطبين في كثير من الأحيان.

الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية: تتحقق الاستراتيجية التوجيهية بوسائل لغوية يستثمرها المرسل انطلاقا من كفاءته اللغوية في بناء هذه الاستراتيجية باعتماد أفعال كلامية منبثقة عن الإنشاء مثل: الأمر، النهي، الاستفهام، التحذير، الإغراء، النداء... وهذا تفصيل لبعض تلك الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التوجيهية:[1]

الأمر: أسلوب إنشائي طلبي غايته إلزام المرسل إليه القيام بفعل ما من باب الاستعلاء لحصول ثبوت متصوّر وهدفه الدّعاء إلى الفعل، وغاية استعمال الأمر في الاستراتيجية التوجيهية هو ابراز طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب وتجسيد السلطة التي يفرضها السياق بينهما، لأنّ ما يمتلكه المرسل من خلفية هو سلطة في حدّ ذاته وبالتالي فإنّها تصنيف لرتبته في سياق معيّن حتى لو كان الخطاب موجها لمنفعة المرسل إليه ويتحقق الأمر في الخطاب التوجيهي بصيغ أهمها:

- صيغة فعل الأمر (إفعل).
- الفعل المضارع المقترن بلام الأمر أو اللام الجازمة.
- اسم فعل الأمر .
- المصدر النائب عن فعل الأمر.
- الألفاظ المخصوصة للوجوب مثل (لابد، ينبغي، يجب...).
- شبه الجملة نحو (عليك...).

النهي: معلوم أن النهي هو "طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام وله حرف واحد هو «لا» الجازم في قولك: لا تفعل"[2]، أو هو ما"يصدر من صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو في

[1]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص87.

[2]- شفيقة طوبال، الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص174.

مرتبة دونها وغايته الكف عن القيام بفعل ما من باب الإلزام، وهو بذلك لا يختلف عن الأمر"[1] والمرسل يصدر النهي بقصد توجيه المرسل إليه إلى إنجاز أمر ما أو تركه كقولنا:

لا تقترب من الحافّة ⟵ طلب إنجاز فعل.

لا تكذب ⟵ طلب التخلي عن فعل الكذب.

الاستفهام: "هو فعل لغوي توجيهي يسعى المرسل من خلاله إلى توجيه المرسل إليه لخيار واحد وهو ضرورة الإجابة"[2] كونه يقوم على "طلب الفهم أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما بواسطة أداة من أدواته وهي: الهمزة، هل، من، ما، متى، أين، أيان، أنّى، كيف، كم، أيّ"[3] والغاية من الاستفهام هو حصر تفكير المخاطَب حول أمر معيّن ليسهِّل على المتكلم توجيهه إلى مقاصده.

التحذير: وهو أحد أهم الوسائل اللغوية لتحقيق فعل التوجيه كونه "تنبيه للمخاطِب على أمر مكروه ليتجنبه باعتماد أدوات وصيغ في أشكالها المباشرة، وغاية استعمال التحذير في الاستراتيجية التوجيهية هو تنزيه المرسِل عن تهمة التلاعب بعواطف الآخرين، كما أنّه يعطي خطابه قبولا من خلال حضور الصراحة التي تدّل المرسِل إليه على صدق المرسِل في التوجيه وبالتالي تكسبه الثقة في خطابه وهذه الثقة هي ما يعكس فرض السلطة على هذا المرسَل إليه لتقبّل مقاصد المرسِل المتمثلة أساسا في النصح الضمني"[4] فتحقق بذلك غاية المتكلم المتمثلة في تبليغ إرساليته هذا من جهة ومن جهة أخرى يظفر المتكلم بودّ مخاطبه نتيجة ما توجه به من نصح وإرشاد أثناء فعل التحذير.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص349.

[2]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص88.

[3]- شفيقة طوبال، الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص174.

[4]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص88.

3.2.الاستراتيجية التلميحية:

تُعرّف الاستراتيجية التلميحية بأنها "الاستراتيجية التي يعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق"[1] كما يمكن تعريفها أيضا بأنها "الاستراتيجية التي يعبّر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدّلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (التضمين implication والاقتضاء présupposition مثلا) يحتاج معها المرسل إلى إعمال آليات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصلي، فهي استراتيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدّل عليه عادة السياق بمعناه العام"[2].

ولعلّ المتكلم يلجأ إلى هذه الاستراتيجية لمانع ما كوجود حرج أو الخوف من ردّ فعل معين للمتلقي... وما إلى ذلك، ويتوقف فهم مقصد المخاطَب على مدى معرفة طرفي الخطاب لبعضهما وكذا درجة الاستيعاب الموجودة لدى المتلقي كون العملية التواصلية هنا هي عملية تخاطبية اكتشافية لما لُمّح له.

مسوّغات الاستراتيجية التلميحية: يمكن استعمال استراتيجية التلميح في الحالات الآتية:[3]

- التأدّب في الخطاب وهو من أهم الأسباب إذ يستعمله المُرسِل مراعاةً لما تقتضيه بعض الأبعاد مثل: البعد الشرعي وما يمليه من ضرورة اطّراح فاحش القول، والبعد الاجتماعي بضرورة احترام أذواق الآخرين وأسماعهم، أو بما قد يعكس دناءة المرسل في أذهان الآخرين.
- رغبة المرسِل في التملّص والتهرّب من مسؤولية الخطاب.
- العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص370.

[2]- إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص551.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص371-372.

– الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الآن نفسه كقولنا مثلا: المحلّ غير مفتوح يوم الجمعة، وهو معنى حرفي مباشر يلمّح المرسل من خلاله إلى أنّ المحلّ مفتوح باقي أيام الأسبوع كلها عدا الجمعة.

كما يستعمل المتكلم التلميح عند "رغبته في إظهار التفوّق والاستعلاء"[1] على مخاطبه كقولنا مثلا: لا أحد يعلم الحقيقة. وهو يلمّح وحده إلى أنّه هو وحده العالم بها.

الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية: تنقسم هذه الوسائل إلى نوعين:

الوسائل اللغوية: تجسدها ألفاظ وكذا أفعال لغوية مباشرة وغير المباشرة تنشأ بين المتكلم و المتلقي من خلال الانتقال من المعني الصريح إلى المعنى الضمني، فالمعنى الصريح يمثل مدلولها الصيغة الصورية والقيمة اللفظية التي تعنيها العبارة اللغوية، ويندرج ضمن هذا المعنى الصريح:[2]

محتوى قضوي: جملة معاني الألفاظ والمفردات المسندة بعضها إلى بعض داخل الخطاب.

قوة إنجازية حرفية: القوة الدلالية المتحققة أسلوبيا بالصيغ داخل الخطاب.

أما المعنى الضمني فهو ما يقصده المرسِل من خطابه على نحو غير مباشر يتعدى الصيغة الصوريى لألفاظ الخطاب في سياق محدد، ويشمل:[3]

معنى عرفيا: الدلالة التي تقتضيها ألفاظ الخطاب ويستلزمها في سياق تواصلي محدد انطلاقا مما تعارف أصحاب اللغة عليه.

معنى حواريا استلزاميا: الدلالة المتولدة من تغيّر سياقات التواصل وتمثل مقاصد المرسِل.

---

[1]– إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص551.

[2]– جودي حمدي منصور، آليات تشكّل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص90.

[3]– المرجع نفسه، ص90-91.

الآليات البلاغية: ويضم البيان و "هو ما يراد به المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من تشبيه واستعارة وكناية[1]" نشير إليها كما يلي:

التشبيه:

وقد عرّفه **الخطيب القزويني** (ت739هـ) بقوله "هو الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[2] أي "تقريب شيئين أو أكثر في صفة أو مجموعة من الصّفات أو افتراقهما في ذلك، وهو ما يشير إلى المقاصد المتضمنة في خطاب المرسِل داخل سياق تواصلي محدّد، ويبرز كفاءته اللغوية والتداولية"[3] من خلال استدعاء المخاطِب لجملة من المواصفات العالقة بذهنه حول المشبّه ومقارنتها بسمات المشبه به.

الاستعارة:

عرف الخطيب القزويني الاستعارة بقوله: "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له، أي هي التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينّص عليه ويُشار إليه إشارة حسّية أو عقلية"[4] فقد يلجأ المرسِل إلى "استعمال الاستعارة وهو يريد التلميح إلى سمة معينة، لا تتبادر إلى الذّهن مباشرة فيفهم المرسِل صفة أخرى هي الصفة التي اشتهر بها المستعار منه مثل: «كيف رفيقك في السفر؟ –وجدته كلباً». فقد يفهم المرسل إليه أنّ المرسل يريد أن يخبره عن بعض الصفات غير الحميدة مثل الخسّة والنَّذَالة وغيرها لشهرة تداولها ومعرفتها بين الناس، في حين هو كان يريد أن يقول: إنه وَفِيّ جداً لأنّ صفة الوفاء صفة

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص163.

[2]– المرجع نفسه، ص164.

[3]– جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص91.

[4]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص212.

مميزة للكلب"[1]. تعدّ هذه الصفات بمثابة قرائن أبقى عليها المرسل في خطابه للمتلقي حتى يستدّل بها على مقصوده.

الكناية: وتعرّف بأنّها "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، بمعنى أنّ المرسل يعتمد هذا المنحى في ترك التصريح بمقاصده إلى التلميح بذكر ما يلازم هذا التصريح فيجسّد المرسل في خطابه معنيين اثنين أحدهما مذكور غير مقصود وثانيهما محذوف مقصود مدرك من خلال التلميح والتضمين"[2] كقولنا مثلا: فلان يده كبيرة. ظاهر القول كبر اليد، أمّا المعنى المحذوف فهو كناية على أن فلان يتصف بالكرم والجود.

4.2.الاستراتيجية الإقناعية: تحظى هذه الاستراتيجية بمكانة مخصوصة من بين الاستراتيجيات التي سبقت كون الخطاب يهدف في غالب أشكاله إلى إقناع الطرف الآخر، حتى إنّ بعض اللغويين يشير إلى أنّه لا يخلو أيّ خطاب من آلية الإقناع.

تعرّف استراتيجية الإقناع بأنّها "الاستراتيجية التي يرمي من وراءها المرسل إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه، وهذه الاستراتيجية يبتغي من خلالها المرسل إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل بوجاهة موقفة أو إرجاحه فكرته أو أفضلية سلعته، بحسب السياق وموضوع الحوار الدائر بين المرسل والمرسل إليه، وكذا بحسب مستواهما وطبيعة العلاقة الرابطة بينهما بواسطة ما يسمى بالحوار الحجاجي "[3] وبذلك فإنّها استراتيجية رامية تقوم على عملية التأثير كصفة جوهرية لها.

مسوّغات استراتيجية الإقناع: يُجمل **عبد الهادي بن ظافر الشهري** مسوّغات استعمال استراتيجية الإقناع في الخطاب فيما يلي:[4]

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص110-111.

[2]- جودي حمدي منصور، تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية، ص91.

[3]- إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص555-556.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص446-447.

– أنّ تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنّها تنبع من حصول الإقتناع عند المرسل إليه غالبا، لا يشوبها فرض أو قوة.

– تمايزها من الاستراتيجيات المتاحة الأخرى مثل الاستراتيجيات الإكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الاندفاع الداخلي أو الاقتناع الذاتي، فاقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.

– الرّغبة في تحصيل الإقناع إذ يغدو هو الهدف لكثير من أنواع الخطاب خصوصا في العصر الحاضر حتى ولو كان ذا سلطة تخوله استعمال بعض الاستراتيجيات الأخرى.

– إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، لذا لا تحقق استراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها.

– شمولية استراتيجية الإقناع إذ تمارس على جميع الأصعدة فيمارسها الحاكم والفلاح الصغير والكبير الطفل والمرأة، كل ذلك بوعي منهم وهذا ما يعزز انتماء استراتيجية الإقناع إلى الكفاءة التداولية عند الإنسان السوي بوصفها دليلا على مهارتها الخطابية.

– ما تحقق من نتائج تربوية إذ تستعمل كثيرا في الدعوة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الدين الإسلامي. خشية سوء تأويل الخطاب.

– عدم الاتفاق حول قيمة معينة، أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر.

كما تستعمل استراتيجية الإقناع أيضا في "المناظرات العقلية والمجادلة الكلامية"[1] إذ يعمل كل طرف على عرض حجته على الطرف الآخر ومن كانت له قوة الإقناع أكثر هو الأنجع في تحقيق مقاصده وأهدافه.

آليات الإقناع: تتحقق الاستراتيجية الإقناعية في الخطاب بعدة آليات يمكن تقسيمها إلى قسمين:[2]

[1]– إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص656.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص454-455.

الأول: يتمثّل في العلامات غير اللغوية سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، مثل الأدلة المادية على وقوع الجريمة، أو ما يصاحب التلفظ من تنغيم وإشارات جسدية وهيئة معينة.

الثاني: ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية.

وما يجب أخذه بعين الاعتبار هو أنّ هذه الآليات لا تمكّن المتكلم وحدها من تحقيق غايته الإقناعية، ما لم يكن على معرفة ودراية كافية بطرق وأساليب توظيفها حتى تؤدي غايتها التأثيرية ويحصل فعل الاقتناع لدى المرسل إليه.

المبحث الرابع: القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام

1. في نشأة مصطلح الفعل الكلامي:

يعتبر مصطلح الفعل الكلامي من أهم المفاهيم التي تناولتها الدراسات التداولية وقد "نشأت هذه الفكرة (أفعال الكلام أو أفعال اللغة) من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة –مجال نشأة التداولية وتطورها– وهو أنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه، وقد جاء ذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما وهو مقياس الصدق والكذب مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد، وهو العبارات الخبرية كأن تصف واقعا ما ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنّه لايقبل إلاّ إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريب"[1] أي دراسة كل ما هو قابل للملاحظة العينية على مستوى ممارساتنا اللغوية.

[1]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط2، 2012، ص72-73.

ولعلّ "ما أنكرته الفلسفة التحليلية على الفكر الذي لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية ولم يولها ما تستحق من الدراسة والبحث وسعيها إلى ردم هذه الهوة والتكفير عن هذا الذنب باتخاذ اللغة موضوعا للدراسة باعتبارها أولى الأوليات في أي مشروع فلسفي يتوخى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا"[1]، وانقسامها إلى ثلاث اتجاهات هو ما أدى ردّ الاعتبار إلى دراسة اللغة المستعملة في حياتنا اليومية وهو ما تقوم عليه نظرية أفعال الكلام.

بالاستناد إلى ما سبق ذكره نشير فيما يلي إلى التيارات التي انبثقت عن الفلسفة التحليلية لتبيان أسباب ظهور نظرية أفعال الكلام وأصل هذا الظهور:[2]

الوضعانية المنطقية (positivisme logique):

اهتم هذا الاتجاه بزعامة **كارناب** (Carnap) باللغة الاصطناعية الصورية في ألفاظها ومقاصدها، فهي لغة معلوماتية مصمّمة ومبرمجة، على عكس اللغة العادية المستعملة من قبل أشخاص عاديين، وهو ما يبيّن إقصاء هذا التيار لما ما يمكن أن تقدمه اللغات الطبيعية من قدرات تواصلية عجيبة، غير أن وظيفة اللغة أبعد من ذلك بكثير، فلا جدوى من ممارستها ما لم تتميز بالحركية والمرونة في معانيها وتراكيبها أثناء استعمالنا لها في التعبير عن مكنوناتنا وأفكارنا ونقل معارفنا عن الآخرين والواقع، مما يدّل على أن اللغة العادية هي الوحيدة الكفيلة بالتعبير عن أغراضنا، ومن الملاحظ أن اتجاه كارناب بعيد كل البعد عن نظرية أفعال الكلام، فهو لم يهتم بدراسة اللغة المستعملة التي تقوم على مجموعة من الأفعال الانجازية، بل على لغة الرموز الصورية، وبهذا فإن هذا الفرع من الفلسفة التحليلية ليس محلّ دراستها.

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، من ص22 إلى ص24، وخديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، مستوى س3، ل م د، من ص8 إلى ص15.

الظاهراتية اللغوية (phénoménologie du langage):

الظاهراتية أو الفينومونولوجيا أو علم الظواهر يقوم على ملاحظة ظاهرة ما كما هي موجودة، بالشكل المعطى، ثم وصفها بغية تقديم تحليل حولها من أجل فهمها ومعرفة ما تتميز به من خصائص.

وإذا قمنا بإسقاط هذه الشروط على الفلسفة، فإنه ينبغي دراسة الظاهرة الفلسفية انطلاقا من بنيتها ومشكل ظهورها أو انبثاقها، وما اتصل بها من ظواهر...الخ، مما يضفي معاني ودلالات لهذه الظاهرة مع توفر مبدأ القصدية l'intentionnalité في دراستها في إطار الربط بين الوعي بمضمون الظاهرة والأشياء الكائنة خارجا. وتبقى الظاهرية بهذا بعيدة عن نظرية أفعال الكلام كل البعد غير أن ما ربطها بها هو "هذا المبدأ الإجرائي –القصدية– الجدّ مفيد في الدراسات التداولية استثمره الفيلسوف **أوستين** في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية، وقد قام تلميذه **سيرل** بنفس الصنيع حينما اتخذه معيارا أساسيا لتصنيف القوى المتضمنة في القول"[1].

فلسفة اللغة العادية (philosophie du langage ordinaire):

رائد هذا الاتجاه **فيتجنشتاين** وقد نشأت نظرية أفعال الكلام بين أحضان هذا التيار ، فقد انصبّ اهتمام فلسفة اللغة العادية على دراسة اللغة الطبيعية العادية المستعملة في حياتنا اليومية، "منفصلة عن اللغات الاصطناعية الصارمة مع تأكيد فلاسفة هذا التيار (**فريجه، راسل، فيتجنشتاين**) على أن الغموض الذي تتصف به اللغة الطبيعية جوهري لها، فلا يمكن أو يصح تمثيله في اللغات الاصطناعية وإلا تغير موضوع البحث وهو اللغة الطبيعية، ولم تعد النتائج الحاصلة معبرة عنه"[2].

وعلى اعتبار أن فلسفة اللغة ترابط من الدراسات والبحوث والتي يعكف عليها علماء المنطق والفلسفة، نشأت إثر مشكلات فلسفية متعلقة باللغة في جوهرها فإن حلّ هذه المعضلات الفلسفية يكون باللغة أيضا، على أساس أن "الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص23.

[2]– طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظري الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغو المعاصرين والبلاغيين العرب، جامعة الكويت، دط، 1994، ص1.

سوء فهمهم للغة وإهمالهم لها"[1]، ولربما لا يتضح هذا الخلاف إلا من خلال استعمال اللغة وممارستها من قبل متكلمين حقيقيين وفي وضعيات حقيقية، مع مراعاة مبدأ القصدية في العملية التواصلية.

وقد طوّر طرح **فيتجنشتاين** فلاسفة أكسفورد **أوستين** و**سيرل**، مما أكسبه مكانة حقيقية بالرغم من أنّ فيتجنشتاين في بداية بحثه لطالما دعا إلى إقامة لغة مثالية (لغة صورية) لكن سرعان ما أدرك أن هذا المشروع مستحيل لأسباب مختلفة، "فاتجه إلى دراسة اللغة العادية كوسيلة للعمل الفلسفي"[2]، والتي تقوم على دراسة فعل الكلام تلفظا وانجازا وتأثيرا.

ونلخص موقع الاتجاهات الثلاثة من التداولية وموقفها منها في المخطط أدناه:[3]

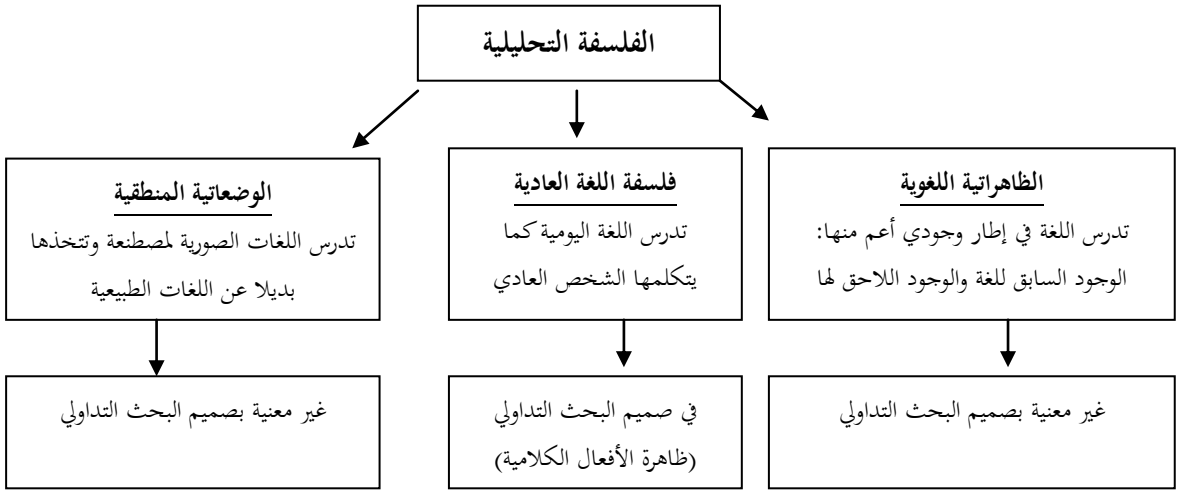

2.الأسس التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية:

كغيرها من النظريات اللغوية "تنهض البنية الكبرى لنظرية الأفعال الكلامية على ركيزتين أساسيتين إثنتين:

أولهما: أن الكلام فعل.

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص23.

[2]– محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985، ص51.

[3]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص24.

والأخرى: أن إدراك المعنى الحقيقي للمنطوقات اللغوية إنما يتحقق في الاتصال الفعلي أي من خلال الاستعمال"[1] بالاعتماد على عملية التلفظ، فاللغة لا تتصف بالحيوية إذا لم تستعمل من قبل متكلمين في وضعيات حقيقية تلامس الواقع.

ولعلّ "مقولة «الكلام فعل» تمثل نواة النظرية التي أسسها **أوستين** -نظرية أفعال الكلام أو نظرية الحدث اللغوي- الكلام حدث لغوي بين متكلم ومستمع، نطق الجملة أو المنطوق هو -كما يقول **أوستين**- أداء حدث أو جزء من أداءه، ولا يوصف الكلام وصفا عاديا بأنه مجرد قول شيء إذ يتساءل **أوستين** في المضمار نفسه: عندما نصدر منطوقا بعينه ألسنا نفعل شيئا ما؟ إن الناس يقابلون بين رجال الكلام ورجال الفعل ويمكن أن نقابل بين التفكر في شيء وقوله بالفعل، في هذا السياق قول شيء بعينه هو فعل هذا الشيء، أما فيما يتعلق بالركيزة الثانية التي قامت عليها نظرية الفعل الكلامي هي إدراك معاني المنطوقات من خلال الاستعمال"[2] ففهم العالم والوجود يتطلب فهما للغة قبل كل شيء ولا يتأتى ذلك إلا من خلال استعمالها للتعبير عن مكنوناتنا ومقصديتنا وحتى فهمنا للعالم الخارجي، يسمى هذا الاستعمال إنجازا.

3.نظرية أفعال الكلام في التداولية (Les actes de language):

على إثر اعتبار المناطقة والفلاسفة أن وظيفة اللغة تكمن في الوصف وإيجاد تسميات من خلال البحث في قواعدها وتراكيبها وتطبيقها على الجمل والعبارات، فإنّ فلاسفة أكسفورد وعلى رأسهم **أوستين** و **سيرل** "قد ذهبوا إلى وجود استعمالات متباينة منوعة للغة، وبالتالي راحوا يبحثون عن قواعد الاستعمال، أي القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت هذا الظرف المعيّن أو ذاك"[3]، ما كشف عن أنماط متعددة للعبارات والجمل والتي تحمل في جوهرها معان ذات غرض

[1]- أحمد كنون، التداولية بين النظرية والتطبيق، ص346.

[2]- المرجع نفسه، ص346.

[3]- صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير، بيروت، ط1، 1993، ص58.

معين مثل: الاستفهام، التعجب، الطلب (الأمر، النهي)، الأداء، الإسناد، التأكيد، النفي، الإخبار، التقرير، الإثبات...إلخ، مع العلم أن كل نمط منها يندرج تحته صنف من الأفعال الكلامية الإنجازية.

ويعد مصطلح الفعل الكلامي من أهم المفاهيم في الدرس التداولي الحديث، "إذ يعتبر نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[1]، والملاحظ من خلال هذا القول أن كل ما يقال –باعتبار أن الملفوظ يستلزم قولا فهو عملية تلفظية لمجموعة من الأقوال– يتصف بالمادية كونه أداءً أو انجازا يحمل دلالة معينة بهدف التأثير في المتلقي لتحقيق غاية ما.

فيما يأتي سنقوم بعرض ظاهرة أفعال الكلام عند كل من **أوستين** و**سيرل**، على اعتبار مرحلة **أوستين** هي مرحلة التأسيس، بينما كانت مرحلة النضج والضبط المنهجي لهذه النظرية مع تلميذه **سيرل**، دون أن نخلط بين العملين، مع العلم أن كليهما من فلاسفة أوكسفورد كما ذكرنا آنفا.

1.3. فكرة أفعال الكلام عند أوستين:

"يعد **جون أوستين** مؤسس هذه النظرية وواضع المصطلح الذي تُعرف به الآن في الفلسفة وفي اللسانيات المعاصرة"[2]، والتي أطلق عليها بعده عدة تسميات مثل: ظاهرة الحدث الكلامي، نظرية الأفعال الإنجازية، نظرية أفعال اللغة، نظرية الحدث اللغوي، الأفعال الكلامية ..."وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الاثني عشر التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955م ونشرت سنة 1962م بعد موته في كتاب عنوانه "How to do things with words"[3].

وما ينبغي الإشارة إليه أن **أوستين** قد تأثر بما دعا إليه **فيتجنشتاين** في قضية استعمال اللغة من أجل وصف العالم والوجود حولنا، مع تنبيهه واستثنائه لبعض الاستعمالات الأخرى للغة والتي "لا

---

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

[2]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2002، ص40.

[3]– المرجع نفسه، ص61. بتصرف.

يمكن لها أن تصف وقائع العالم حولنا كالأمر، والاستفهام، الشكر، اللعن، التحية، الدعاء... وقد سماها بألعاب اللغة وأطلق على كل استعمال منها لعبة، لأن له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة"[1]، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق بكل أنواعه: اجتماعي، ثقافي، تاريخي...بالإضافة إلى العرف لدى استعمالنا لكل واحدة منها في إطار اهتمام متساو بين كل اللعب.

وقد ميّز **أوستين** بين نوعين من الأفعال: أفعال إخبارية **Constative**، وأفعال أدائية إنجازية **Performative**، فالأولى -الإخبارية- تحتمل معياري الصدق والكذب ذلك أنها تخبر عن وقائع وأحداث للعالم الخارجي تكون إما صادقة أو غير صادقة أي كاذبة، وهي في حقيقة الأمر أفعال وصفية تقوم بوصف ما حدث أو وقع بصدق أو بكذب.

بينما الأفعال الأدائية هي عكس الأفعال الوصفية، فهي لا تحتمل الصدق كما أنها لا تحتمل الكذب أيضا، ينجزها المتكلم ويؤديها بشروط معينة والتي من بينها مطابقة الفعل مع الواقع كالاعتذار والترحيب، الوعد...، حيث أننا نستخدم هذه الأفعال في التعبير عن المواقف التي تتطلب منا ترحيبا، أو اعتذار، أو وعدا... وإلا يصبح الفعل غير موفق وتعيس على حد تعبير **أوستين** ويصير بذلك لغوا.

وقد قسّم **أوستين** العبارات الملفوظة إنجازيا إلى نوعين:[2]

إنجازية (صريحة/ مباشرة): فعلها ظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

إنجازية (ضمنية/ غير مباشرة): فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد =(أقول) الاجتهاد مفيد= (آمرك أن تجتهد).

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص61. بتصرف

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص78.

وقد نشأ تصور لدى **أوستين** عن فكرة نظرية أفعال الكلام، إذ توصل في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل (**Acte de discours intégral**) إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي:[1]

أ- فعل القول (الفعل اللغوي- Acte locutoire):

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ويبرز لنا هنا وجود شرطين أساسيين للفعل اللغوي هما الدلالة الواضحة والتركيب النحوي السليم، وهو ما يستلزم بالضرورة وجود مستويات أخرى على غرار التركيبي والدلالي، والمتمثلة في: المستوى الصوتي، والصرفي، والمعجمي .. (مستويات التحليل اللساني)، غير أنّ **أوستين** يسميها أفعالا، الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، أما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، أما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة، فقولنا مثلا: (إنها ستمطر) يحتمل أكثر من دلالة، فيمكن أن يُفهم على أنه:

- إخبار بسقوط المطر.
- يمكن فهمه تحذيرا بعدم الخروج في رحلة مثلا.
- يمكن وجود احتمال آخر وهو أمر بحمل مظلة.

إلى غير ذلك من الاحتمالات مما يستدعي بنا الرجوع إلى قراءة السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.

ب- الفعل المتضمن في القول (Acte illocutoire):

وهو الحلقة المقصودة في النظرية برمتها، فهو «عمل ينجز بقول ما»، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي القائم على أداء فعل معين، ولذا اقترح **أوستين** تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد، أو تحذير، وعد،

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص41-42. (بتصرف)

أمر، شهادة في محكمة...إلخ. والفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

ج- الفعل الناتج عن القول (Acte perlocutoire):

ويتضح هذا الفرع جليا من خلال الكلمات المكونة له، إذ يرى **أوستين** أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن للقول (القوة الإنجازية)، فإنّ الفاعل وهو الشخص المتكلم يقوم بفعل ثالث وهو: التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة ذلك الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... وهي في الحقيقة ردود أفعال لمتلقٍ تأثر بالقول فكانت ناتجة عنه، لذا سمّاه **أوستين** الفعل الناتج عن القول، وسماه البعض "الفعل التأثيري"[1].

وقياسا على هذا "يمكن أن نميز فعل الكلام (قال بأنّ...)، عن قوة فعل الكلام (احتج بأن...)، أو أن نفصلهما معا عن لازمي فعل الكلام (أقنعني بأن...)"[2]. ويمكن أن نوجز معنى الفعل الناتج عن القول أنه رد فعل للمخاطَب عكسه تأثير المخاطِب على مشاعره وأفكاره.

ونخلص الآن إلى أن "الفعل اللغوي حسب تحليل **أوستين** يتكون من ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا مع العلم أن هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد"[3]. وقد صنّف أوستين الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف:[4]

- **الأفعال اللغوية الدالة على الحكم أو أفعال الأحكام:**

وهي التي تعبّر عن حكم يصدر من حكم وقد يكون نهائيا أو مرحليا، وقد تكون نافذة أو غير نافذة، وقد تكون تقديرية أو ظنية مثل: قدّر، حكم، على....إلخ.

---

[1]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص121.

[2]- المرجع نفسه، ص122.

[3]-جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط،ص24.

[4]- سيروان أنور مجيد، التحليل التداولي للنص السياسي- دراسة في وسائل الاعلام المقروءة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2018، ص40.

- **الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة أو أفعال القرارات:**

والتي تعبّر عن اتخاذ قرار لصالح أو ضد شخص، مثل: عيّن، نصح، حذّر...إلخ.

- **الأفعال اللغوية الدالة على الوعد أو أفعال التعهد:**

وهي التي يتعهد فيها المرسل بفعل شيء فيلزم نفسه به مثل: أَعِدُ، أتعاقدُ على، أقسم ...إلخ.

- **الأفعال اللغوية الدالة على السيرة أو أفعال السلوك:**

وهي التي تعمل رد فعل سلوك الآخرين كالاعتذار، والشكر، والتهنئة، والرجاء ...إلخ.

- **الأفعال اللغوية الدالة على العرض أو أفعال الإيضاح:**

وهي أفعال تستعمل لتوضيح وجهة نظر أو تبيين رأي، فتأتي بالحجج والبراهين، مثل: الإثبات، والانكار، والمطابقة، والاعتراف، والاستفهام، وتقوم الأفعال بضبط مكان أقوالنا داخل الحديث أو الحوار.

2.3.أفعال الكلام عند سيرل:

يعتبر **سيرل** تلميذ **أوستين** وهو أول من طوّر فكرته حول نظرية أفعال الكلام، وبعد استفادته من دروسه اقترح **سيرل** بعض التعديلات واستطاع بناء نظرية مكتملة الأواصر، إذ "قدّم شروط انجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود"[1]. فقول «من في السيارة؟ لما لم تستعمل جهاز التحكم لإغلاقها؟» يخضع إلى جملة من الاحتمالات لإدراك الفعل المقصود إنجازه، ومنها:

- أن السيارة مصفوفة في الشارع ولا ينبغي تركها مفتوحة ← فهو يأمرني بإغلاقها.
- الاجتماع سيكون مطولا ولا ينبغي تركها كل هذا الوقت دون إحكام غلقها ← فهو يطلب مني (بشكل ما) إغلاقها.
- وجدتها مغلقة، إذن أغلقها كما وجدتها فذلك من الأدب ← فهو معاتبة على سلوكي.

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص79.

ومما قدمه **سيرل** أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وميّز بين أربعة أقسام:[1]

- فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي).
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي) .
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل **أوستين**).
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل **أوستين**).

ولإيضاح هذه الأفعال نمثل بما يلي:

- رفع القاضي الجلسة.
- أرفع القاضي الجلسة؟
- يا قاضي ارفع الجلسة.
- لو يرفع القاضي الجلسة !

عند النطق بأي من هذه الجمل يؤدي المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال الإنجازية في وقت واحد:[2]

- **فعل التلفظ أو (الفعل النطقي):**

ويشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية، ويتمثل في التلفظ الصوتي لأصوات الكلمات والجملة بنظام نحوي تركيبي.

- **الفعل القضوي:**

ويشمل المرجع Référence والمتحدث عنه، مع إحالة له من خلال استخدامه مع "فعل إنجازي- الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي- Minimal minute- في إطار كلامي مركب ومقصدي"[3] وفي المثال الذي بين أيدينا يتمثل المرجع محور الحديث في القاضي وهو موجود في كل العبارات الأربع، مع وجود خبر مشترك بينها جميعا وهو رفع القاضي للجلسة، والمرجع والخبر يمثلان

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص80.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص72.

[3]- المرجع نفسه، ص72.

معا قضية Proposition هي: رفع القاضي للجلسة، وبذلك فإن القضية ككل مشتركة بين الجمل الأربع.

- **الفعل الإنجازي:**

كان إخبارا في العبارة الأولى، واستفهاما في الثانية، وأمرا في العبارة الثالثة، بينما كان في العبارة الرابعة تمنيا.

الفعل التأثيري (Acte perlocutoire) على نحو ما فعل **أوستين** غير أن **سيرل** لم يعطه أهمية كبيرة، ففي نظره ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير على المخاطب أو السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما كرد فعل له مثلا.

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها نذكرها موجزة على النحو الآتي:[1]

✓ **الإخباريات:** الغرض الإنجازي فيها وصف المتكلم واقعة من خلال قضية، وأفعال هذا الصنف تتحمل الصدق والكذب، أما اتجاه المقابلة فيكون من الكلمات إلى العالم.

✓ **التوجيهات:** ويتمثل الغرض الإنجازي فيها في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معيّن، والأساس الثاني يكمل في الإنتقال من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص يتمثل في الرغبة الصادقة والارادة الحقيقية، ومن أمثلته النصح والأمر والاستعطاف.

✓ **الإلتزاميات:** غرضها الإنجازي هو التعبير عن التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، وأمّا اتجاه المطابقة فيها فهو الانتقال إلى ذلك من العالم إلى الكلمات.

✓ **التعبيريات:** وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف نفسه تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه المطابقة ويدخل فيه (التهنئة، والشكر، والاعتذار، والمواساة)، فالمرسل لا يجعل كلماته مطابقة للعالم الخارجي والمطلوب فقط الإخلاص.

[1]- سيروان أنور مجيد، التحليل التداولي للنص السياسي- دراسة في وسائل الاعلام المقروءة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2018، ص43.

✓ **الإعلانيات:** إنّ أهم ما يميّزها أداؤها الناجح، الذي يترجم في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أيدنا مثلا: فعل إعلان الحرب أداء ناجحا، فالحرب معلنة فعلا، واتجاه المطابقة سيكون فعلا من العالم إلى الكلمات، أو من الكلمات إلى العالم ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص.

بالإضافة لهذا فإن **لسيرل** جهودا أخرى على غرار تقسيمه هذا والتي من بينها اثنا عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي: كغاية الفعل، توجيهه، حالته السيكولوجية...إلخ. وسماها شروط نجاح فعل القول، بالإضافة إلى تفرقته بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية، وقد قسّم الأفعال الإنجازية إلى صحيحة وضمنية أو مباشرة أو غير مباشرة، وبهذا يكون **سيرل** قد ناقش عددا وفيرا من مباحث نظرية أفعال الكلام التي أرسى مبادئها الأولية أستاذه **أوستين**.

4. القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام:

شكّل مصطلح القوة الإنجازية النقطة المحورية في نظرية الفعل الكلامي إذ اسْتُمِدَّ هذا المصطلح من الفعل الإنجازي "الشاغلة الأهم في تداولية أفعال الكلام منذ تأسيسها حتى الآن فلقد وجّه **أوستين** اهتمامه إلى الفعل الإنجازي حتى غدا لبّ هذه النظرية، وأشار **أوستين** إلى أنّ هناك تداخلا بين مفهومي القوة الإنجازية والغرض الإنجازي فقد صنّف الأحداث الإنجازية على حسب قوتها والأحرى على أنها حسب الغرض الإنجازي"[1].

مفهوم القوة الإنجازية: تُعدُّ "قوة المنطوق الإنجازي جزء من بنيته الدلالية، ومنذ أوائل الثمانينات كانت قوة المنطوق هدفا لهجوم عنيف متزايد قاده أصحاب نظرية تحليل الخطاب كانت حجتهم أن معظم المنطوقات لا يمكن أن تدرك حقيقتها إدراكا مأمون اللبس وذلك أن لكل منطوق ملابسات استعمال مختلفة كقولك مثلا: الرصاصة ما زالت في جيبي. يمكن أن يكون خبرا بحقيقة، ولكنه يمكن أن يكون في سياق مناسب تحذيرا أو تهديدا"[2]. ولعلّ هذا يحيلنا إلى فكرة جوهرية فحواها أن القوة

[1]- أحمد كنون التداولية بين النظرية والتطبيق، ص84.

[2]- علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص267.

الإنجازية لأي فعل كلامي إنما تتحدد داخل سياق معين أُنجز فيه حدث النطق من قبل المتكلمين الذين "تتباين أغراضهم الإنجازية بتباين ملابسات استعمالاتهم اللغوية"[1] التي يعبّر فيها عن مقصدياتهم.

وقد كان في تحديد مفهوم القوة الإنجازية اختلاف بين **أوستين** و**سيرل** "على اعتبار أنهما المؤسسين لتداولية أفعال الكلام، إذ يرى **أوستين** أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقا ناجحا، ولكن **سيرل** يرى أنّ القوة حاصل تفسير المستمع للمنطوق"[2].

ولو حللنا رؤية **أوستين** لمصطلح القوة نجده "يعني بها الغاية أو الغرض من الفعل الكلامي، في حين اعتبر **سيرل** الغرض الإنجازي جزءاً من القوة الإنجازية، فالغرض الإنجازي للالتماس هو ذاته الغرض الإنجازي للتوسل، لأن كلا منهما محاولة لجعل المتلقين يفعلون أشياء محددة، ولكن القوة الإنجازية بينهما تختلف اختلافا بيّنا، وبناءاً على ذلك يرى **سيرل** أن القوة الإنجازية حصيلة عناصر عدة، الغرض الإنجازي عنصر واحد فقط منها وإن كما يعتقد أهم هذه العناصر"[3] إذ هو ما يقوم عليه الفعل الإنجازي والهدف من الفعل الكلامي.

ولعله باستعراضنا للأمثلة الآتية سنعرف كيف نفرّق بين القوة الإنجازية والغرض الإنجازي:

اختر ديتول كأفضل صابون مطهّر	فعل إنجازي بقوة الأمر
هلّا توافق على أن صابون ديتول هو الأفضل؟	فعل إنجازي بقوة الإلتماس
ألا توافق على أنّ صابون ديتول هو الأفضل؟	فعل إنجازي بقوة الأمر
لو توافق من الممكن أن نختار صابون ديتول كأفضل مطهّر؟	فعل إنجازي بقوة التمني

[1]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، 2014، ص222.

[2]- المرجع نفسه، ص223.

[3]- علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية، ص267-268.

من خلال الأمثلة السابقة يظهر لنا تعدد الأفعال الإنجازية لمحتوى قضوي واحد في قوتها من حيث الأمر والالتماس والعرض والتمني وهو اختيار ديتول كأفضل مطهّر، ومن ثمّ فهناك فرق بين الفعل الإنجازي وقوته المكتسبة من سياق الاستعمال.

إذا القوة الإنجازية للأفعال الكلامية تتجلى في القيمة الدلالية التي تحققها هذه الملفوظات أي أنّ "القوة الإنجازية هي خاصية المنطوقات لا الجملة، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى انجازية مختلفة في ملابسات استعمال مختلفة. القوة الإنجازية هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق"[1] وفي المثال السابق عُرض لأفضلية منتج ديتول بأغراض مختلفة تمثلت في الأمر والالتماس تارة والعرض والتمني تارة أخرى، ويمكن أن تؤدى الأفعال الإنجازية بقوى إنجازية أخرى تختلف في الأغراض من ذلك التقسيمات التي عرضها **أوستين** و**سيرل** لأفعال الكلام –المشار إليها سابقا– .

وبذلك يمكننا القول في إطار التفرقة بين القوة والغرض الإنجازيين "أنهما عنصران مكملان للمعنى، القوة درجة والغرض وظيفة، لكل غرض رئيس أغراض فرعية، فالتوجيه مثلا أحد الأغراض الرئيسية الخمسة في تصنيف **جون سيرل** وله أغراض فرعية كالأمر والالتماس والعرض والتحضيض وغيرها، ولكل غرض درجات مختلفة من القوة وفقا لسياقات الاتصال. وعليه فإن قوة الأفعال الإنجازية تختلف من فعل إنجازي لآخر فالأمر أقوى من الالتماس والإصرار أقوى من الاقتراح وهكذا"[2] وحسبنا أن نوضح لهذا القول بالأمثلة التالية:

اصعد الحافلة	المتكلم: سائق الحافلة	الأمر أصبح أمرا لأن الحافلة ستقلع
اصعد الحافلة	المتكلم:شخص يصطف وراءك	الأمر أصبح التماسا كي يصعد ذلك الشخص الذي وراءك
اصعد الحافلة	المتكلم: شخص مريض	الأمر أصبح ترجي لأنه لا يستطيع الوقوف لفترة أطول

[1]– محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص222–223.

[2]– أحمد كنون التداولية بين النظرية والتطبيق، ص86.

5. تعديل القوة الإنجازية:

يدّل مصطلح التعديل في كثير من الأحيان على التبديل أو التغيير في أمر ما، كذلك حينما يتعلق ذلك بقوة الفعل الكلامي إذ يمكن "للمتكلم أن يعدّل منطوقه أو يكيّفه لمقصده في سياق اتصالي بعينه"[1].

إن "عملية تعديل القوة الإنجازية لأفعال الكلام تنطوي على الزيادة أو التقليل من قوة العرض الإنجازي"[2] وهذا ما جعلنا نصف القوة الإنجازية فيما سبق بالشدة أو الضعف أثناء عرض المقصد الإنجازي من فعل الكلام، وقبل أن نتطرق إلى وسائل تقوية أو إضعاف القوة الإنجازية نشير أولا إلى أسباب تعديل القوة الإنجازية.

أسباب تعديل القوة الإنجازية:

تشير أغلب الدراسات التي تناولت القوة الإنجازية وأسباب التعديل فيها إلى أنّ هناك "سببين رئيسيين يدفعان المتكلم إلى تعديل القوة المعتمدة في التعبير عن فعل إنجازي كلامي:

- ✓ ليتسنى نقل المعنى المرتبط بسلوك المتكلم وتصرفاته إزاء القضية التي يعبّر عنها.
- ✓ بغية التعبير عن سلوك المتكلم اتجاه المتلقي في سياق المنطوق"[3].

إذ يرتبط السبب الأول "بالدرجة التي يستخدمها المتحدث للتعبير عن اعتقاده بمصداقية أو حقيقة القضية التي تعبّر عنها الكلمة المنطوقة، فعلى سبيل المثال قد يشك المتحدث بشكل كبير في مصداقية المعلومات الواردة في القضية، فمن خلال تلطيف قوة الكلام الذي يعرض هذه القضية ربما

---

[1]- محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية- دراسة في التحليل التداولي للخطاب، بحث منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تق: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص321.

[2]- Janet Holmes, Modifying illocutionary force,

تر: تهاني سهل العتيبي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة2، ع1، مج6، 20 ماي 2018، ص194.

[3]- علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة، ص272.

يستطيع المتحدث التعبير عن عدم تيقنه أو عدم رغبته في أن يكون مسؤولا عن مصداقيته. أما فيما يخص السبب الثاني لتعديل القوة الإنجازية قد يدرك المتحدث أن من يخاطبه ينتابه الشك أو التردد حيال قضية ما وقد يستخدم وسائل لتقوية القوة الإنجازية لفعل الكلام الذي يعبّر عن القضية من أجل التعبير عن قدر كبير من اليقين أو الاعتقاد في مصداقيته"[1].

من خلال ما سبق ذكر نخلص إلى أن التعديل الأول في القوة الإنجازية يمس القضية في حد ذاتها أي ما سيقبل المتكلم على النطق به فنتعامل مع التقوية أو الإضعاف في القوة الإنجازية بصورة قريبة من المنطق، في حين أنه عندما يتعلق الأمر بتقوية أو إضعاف وجهة نظر الطرف الآخر فإننا نلامس بذلك الوجدان في سبيل تحقيق هذا التعديل.

وسائل تعديل القوة الإنجازية: تُصنّف وسائل تعديل القوة في نوعين إثنين رئيسيين:[2]

أولهما: ما يمكن تسميته بالوسائل الخارجة عن نطاق اللغة: كالسلوكيات الحركية مثل الحركات الجسمية والأوضاع الجسمية وتعبيرات الوجه والعينين ونحوهما من الإشارات والإيماءات المصاحبة لفعل النطق: كغمازات العين، وإشارات الأصابع وهزّ الأكتاف... وغيرها.

ثانيهما: الوسائل اللغوية وتنقسم إلى وسائل تركيبية وغير تركيبية مثل: اللجلجة، التردد في الكلام، الوقفات، نغمات الصوت، النبر... إلى غير ذلك.

كما تنقسم وسائل تعديل القوة الإنجازية اللغوية وغير اللغوية إلى قسمين اثنين: وسائل تقوية ووسائل إضعاف ولكل قسم منها أدواته الخاصة به:

---

[1]- Janet Holmes, Modifying illocutionary force,

تر: تهاني سهل العتيبي، ص196.

[2]- محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ص329.

أ- وسائل تقوية القوة الإنجازية:[1]

- **وسائل التشكيل الصوتي:** ويقصد بها نوع النبرة، والنغمة، وجهارة الصوت، والنغمات التقابلية وهي النغمات الأدنى أو الأعلى من نغمة المتكلم العادية، وجهارة الصوت التقابلية.
- **الوسائل المعجمية:** وهي ما يستخدمه المتكلم في بعض السياقات الاتصالية من عناصر معجمية تضيف قوة إلى قوة المنطوق الإنجازية، كبعض العناصر المعجمية الموجهة إلى المتكلم وثقته بما يعلم (إنّي متأكد، أنا واثق...) والمقويات الموجهة إلى المتلقي كالمعرفة الصريحة أو الضمنية بمعلومة ما تصنع بينه وبين المتكلم خلفية مشتركة (أنت تعلم بكذا، أعلم أنك لن تقول كذا...)، كما أنّ هناك مقوّيات معجمية موجهة إلى المحتوى (كقولنا: من المؤكّد أنّ، بالتأكيد، لا نزاع، لا ريب).
- **الوسائل التركيبية:** ويقصد بها طرق نظم المنطوقات وبناء الأساليب وتأخذ أسلوب الاستفهام مثلا لتبليغ مقاصد المتكلمين باستراتيجية التتويه (كقولنا: أليس شعرها جميلا؟ ألا تعرفني وأنا أقرب إليك من ظلك؟...).
- **الوسائل الخطابية:** ويقصد بها الوسائل الخارجة عن النص، أو ما يسمى بوسائل ما وراء العملية التداولية وما يتفرع عن ذلك من وسائل لغوية فرعية تضيف قوة إلى قوة المنطوقات الإنجازية كالتصريح بالفعل الإنجازي دون استخدام بعض الأساليب غير المباشرة كقولنا: «مبروك» أبارك لك النجاح في دراستك، وكذا اعتماد وسيلة التكرار المنطوق والمكتوب لتقوية قوة المنطوق الإنجازية (كقولنا الصبر الصبر) وكذا استخدام العلامات الرابطة لتعزيز قوة المنطوق (من قبيل إلى جانب ذلك، فضلا عن ذلك، مع هذا، مع أنّ ...إلخ)، كما أنّه يمكن للمتكلم أن يوظف ما يدعى بوسائل ما وراء الخطاب التي هي عبارات ومفردات تبرز وعي المتكلم الذاتي بمجرى الخطاب وحالاته من ذلك (أشدّد، أكرّر، أقول ثانية...).

[1]- علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة، ص273 إلى ص278. (بتصرف)

ب- وسائل الإضعاف في القوة الإنجازية: على عكس وسائل التقوية، تعمل هذه الوسائل إلى إضعاف قوة المنطوق الإنجازية لدى المتكلم، وهي تعرف نفس ما عرفته استراتيجية التقوية من حيث النوع ولكنّها تختلف من حيث الكيفية:[1]

- **وسائل التشكيل الصوتي:** ومن أهم الوسائل: مستوى التنغيم، والنبر الضعيف، وجهارة الصوت المنخفضة، والنغمة العالية في سياق مناسب كتجرّد المتكلم أو تنصّله من مسؤولية التصديق بصحة منطوقه.
- **الوسائل المعجمية:** كالعناصر المعجمية الدالة على التنصّل أو الاحتراس باصطلاح «مخفف النغمة» فمنها ما يوّجه للمتكلم ليدل بها على تحفظه (كقوله: أظنّ، أخمّن، أفترض، أحسب، يخيّل لي، يبدو لي...)، ومنها ما هو موجه إلى المتلقي كرغبته في التعاون مع المتكلم مثلا (يمكنك كذا، تستطيع كذا...)، أو تنصّله من أداء الفعل الكلامي (مثل لم أسبب لك إزعاجا، إن لم تكن مشغولا...)، ومن الوسائل المعجمية أيضا ما هو موجّه إلى المحتوى لإضعافه (كاستعمال عناصر من قبيل: فقط، قليلا، نوعا ما، إلى حد ما، شيئا ما).
- **الوسائل التركيبية:** وسنقف عند أربعة وسائل فقط نراها بحاجة إلى الاهتمام وهي: الأسئلة التذييلية (مثل، اليوم يوم العلم، أليس كذلك؟) والتلطيف بالاستفهام (مثل: لما لا تتوقف عن شرب الكحول؟)، ونفي الصفة كقولنا (ليس شخصا جيدا، أي هو شخص سيء) ومن الوسائل التركيبية لإضعاف القوة الإنجازية والعدول في بعض السياقات الاتصالية كالعدول من حال التكلم إلى حال الغيبة (كقولنا: يميل المرء... بدلا من «أميل»).
- **الوسائل الخطابية:** ومن الوسائل الخطابية المألوفة لهذه الوظيفة استعمال العبارات من مثل: (بهذه المناسبة، هذا يذكرني، بالمصادفة، بهذه المناسبة -وقبل أن أنسى-...)، وهي أفعال انجازية توجيهية وغير توجيهية تستخدم للاعتذار والاحتراس لقوّة منطوق لاحق.

[1]- ينظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، ص339 إلى ص346.

وخلاصة القول أنّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي من حيث التقوية والإضعاف يتحكم فيها قصد المتكلمين أولا، وما يتطلبه السياق التواصلي للغرض الإنجازي ثانيا، إذ لا يمكن للقوة أن تنجز ما لم تنجز الأفعال الكلامية التي تكشف لنا عن رغبات المخاطب وما يودّ التحدث بهو الإفصاح عنه، كما لا يمكن لذلك أن يتم ما لم يكن السياق التواصلي ملائما لإنجاز هذه القوة.

الفصل الثاني:

من حجاجية اللغة إلى حجاجية اللفظ

توطئة:

بما أنّ موضوع بحثنا دراسة في آليات الاستدلال الحجاجي فإنّه لا يمكننا الحديث عن هذه الآليات سواء منها المنطقية أو البلاغية أو اللسانية دون الوقوف على نظرية الحجاج، التي تعد هي الأصل الذي نشأ عنه الاستدلال الحجاجي.

نتناول في هذا الفصل نظرية الحجاج على مستوى كل من الخطاب واللغة والتلفظ ونطبّق لكل مستوى من هذه المستويات الثلاث بأحد أنواع الخطابات، وقد اخترنا أن تكون مباحث هذا الفصل على الشكل الموالي:

م1: نظرية الحجاج (رؤية في المبادئ والمنطلقات)

م2: الحجاج في الخطاب (الخطاب القرآني- سورة الغاشية أنموذجا-)

م3: الحجاج في اللغة (الخطاب السياسي -خطابات الرئيس عبد العزيز بوتفليقة-)

م4: الحجاج والتلفظ (الخطاب الإشهاري)

المبحث الأول: نظرية الحجاج –رؤية في المبادئ والمنطلقات–

يعدّ الخطاب أحد أهم وسائل التواصل بين بني البشر وقد "تنوعت أوجه هذا التخاطب الإنساني بين الخطابات الكتابية والشفوية، وكان الخطاب الحجاجي في هذه وتلك، فالحجاج ركيزة النصوص الموجهة والمتضمنة للمقصدية والنقد والنقاش والجدل... والتي من بينها: النصوص القرآنية والفلسفية والمنطقية والأدبية...، ولم تكن دراسة مبحث الحجاج حديثة ولا من مستجدات العصر، إذ ظهر قديما في دراسات اليونان لاسيما الخطابة منها عند **أرسطو**، ثم ما توارثه العرب عن أصول الخطابة ومميزات الخطيب"[1] حتى أضحى أحد أهم مباحث الدرس البلاغي القديم والجديد على حد سواء.

ويعد مصطلح الحجاج من أهم المفاهيم التي وردت في البلاغة القديمة كفنّ للإقناع والخَطابة، سواء في الثقافة الغربية انطلاقا من الدّراسات والعلوم اليونانية، أو الثقافة العربية لعناية العرب آنذاك بالكلام والتخاطب،وقد تولّد عن مصطلح الحجاج مفاهيم متعددة منها: الجدل، التخاطب، التناظر، الإلقاء، المناقشة، البيان، الإفهام، الإقناع... إلى غير ذلك من التسميات التي تصب في إطار المصطلح حدا ومفهوما.

وفي هذا السياق تشير الباحثة التونسية **سامية الدريدي** إلى أنه "من الصعب جدا أن نلم بهذا المبحث إلماما تاما كاملا، إن لم نقل استحالة ذلك على الوجه الأكمل الذي يقتضيه وذلك لسبب رئيسي هو استمرار هذه النظرية في التأسّس والتشكل إلى اليوم، فهي نظرية لم تنغلق بعد ولم تدخل كنظريات كثيرة حيّز الماضي –ماضي النشأة والاكتمال لا ماضي الفعل والتأثير– لنتناولها وفق منهج تاريخي يهتم ببداياتها وتطوراتها ويرصد خصائص فترة اكتمالها وكيفية انغلاقها، بل نراها تشهد كل يوم ظهور مؤلفات جديدة تغني هذه النظرية وتثريها وتجعل من أحسن الأمور السعي الجاد إلى الإحاطة

[1]– هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص15.

بها"[1]، ولربما الفكرة هذه تجعل القارئ يدرك أمرا آخر في غاية الأهمية وهو كون هذا المبحث حظي باهتمام القدماء والمحدثين العرب منهم والغرب ولا يزال حتى الساعة، فإنه لا محالة يدل على وجود "خلافات في صلب هذه النظرية واختلافات بين الخائضين في شأنها تصل أحيانا إلى حدّ التعارض والتناقض الصريحين، وهي خلافات واختلافات لم تحسم بعد"[2]، لكنها تثري المبحث الحجاجي وتسهم في بناء وتوسيع أطره.

1.تعريف الحجاج:

الحجة لغة: جاء في لسان العرب **لابن منظور** (ت711هـ) حول مفهوم الحجاج لغة: "يُقَالُ: حَاجَجْتُهُ وَمُحَاجَةً حَتَى حَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالحُجَّةِ التِي أَدْلَيْتُ بِهَا... وَالحُجَّةُ البُرْهَانُ، وَقِيلَ الحُجَّةُ مَا دَافَعَ بِهِ الخَصْمُ، قال **الأزهري:** الحُجَةُ الوَجْهُ الذِّي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخُصُومَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجَاجٌ أَيْ مُجَادِلٌ، وَحَجَّهُ وَيَحُجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حَجَّتِهِ. وفي الحديث: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى أَيْ غَلَبَهُ بِالحُجَّة"[3].

يدور تعريف **ابن منظور** لمصطلح الحجاج حول مصطلحات عدة هي: البرهان، الدليل (ما دافع به الخصم)، المجادلة، الغلبة والاستمالة وكلها مفاهيم تدل على رغبة المتكلم في إقناع سامعيه واستمالته لفكرته حتى تحظى بالقبول لدى المتلقي، أو التأثير فيه بترك شيء ما في نفسه، عن طريق تقديم مجموعة من الحجج والأدلة المنتظمة.

أما **الشريف الجرجاني** (ت816هـ) فقد عرّف الحجة بقوله: "الحُجَّةُ مَا دُلَّ بِهِ عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَى، وَقِيلَ الحُجَّةُ وَالدَّلِيلِ وَاحِدٌ"[4]، وبهذا قد جعل الحجة مرادفة للدليل.

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص15.

[2]- المرجع نفسه، ص15.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، دار المعارف، القاهرة، مج2، ج9، ص750.

[4]- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص82.

هذا عن الشق اللغوي لمصطلح الحجاج في كتب التراثيين العرب، أما الشق الاصطلاحي وبما أننا سنتطرق إلى الحجاج في البلاغة العربية أولا ثم التداولية ثانيا فإنه لابد من الإشارة إلى أن مفهوم الحجاج في الدراسات العربية البلاغية القديمة لم ينشأ من عدم، ذلك أن هذه الدراسات استقت من الدراسات اليونانية بعض المفاهيم المتعلقة بمبحث الحجاج، إن لم نقل كانت نقطة انطلاق لها، خاصة منها الحجاج عند السوفسطائيين و**أفلاطون** وكذا الخطابة عند **أرسطو**، وفيما سيأتي عرض موجز لهذه الدراسات.

2.الحجاج في الاصطلاح:

1.2. الحجاج والبلاغة في الحوار الأفلاطوني مع السوفسطائيين:

يعتبر مبحث الحجاج من أهم القضايا التي تناولتها البلاغة اليونانية القديمة، وقد برزت بصفة خاصة عند **أفلاطون** والسوفسطائيين و **أرسطو**.

ويُعَدُّ "السوفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميّز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية، وبالخبرة الجدلية، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم أو الخبير بكل فن وأسلوب، وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة، والحياة الفكرية اليونانية عامة، فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي «توليدي» للأفكار، الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية من ناحية، وأدى إلى تراكم معرفي كبير شكّل النواة لمعظم الدراسات القديمة والحديثة للفلسفة اليونانية من ناحية ثانية"[1]. فمن الناحية الأولى يشكّل الاهتمام بالطرائق الحجاجية والإقناعية دعوة من السوفسطائيين إلى الخطباء بضرورة مراعاة وانتقاء الألفاظ المستعملة أثناء النقاش والمجادلة، فالخطاب الحجاجي في نظرهم نوعان: "حجاج في مسائل فلسفية مختلفة، وحجاج فيما ينبغي أن يكون به الحجاج، خطابان

[1]– محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص24.

متقابلان ناشران لنظريتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقة بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع الإنساني[1]، أما من الناحية الثانية فإن اهتمام السوفسطائيين بدراسة الحجاج والبلاغة التي كانت تعقد في قالب حوارات ونقاشات شكّلت مهدا للدراسات التي أتت بعدها.

وبذلك فإن "السوفسطائيين هم أوّل الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة، وهي تعني عند **جورغياس** (**Gorgias**) الفنّ الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير، فقد أصبح الكلام متموجا ومتذبذبا ومختلفا بعدما كان موحدا للحقيقة ومقدسا للمعرفة، بل أصبح فتّانا ومضلّلا وخادعا، فهو يغري الشباب ويضلّلهم، ولم يعد ينطوي الكلام على الحقيقة فقط بل أصبح أيضا أداة إقناع واقتناع يحمّلك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما كبيرا للحق والباطل"[2]. وهي النقطة التي لاقت نقدا كبيرا من طرف **أفلاطون** حتى أفرد لهاته الممارسات الحجاجية محاورتين هما: **قورجياس** و **فيدر**، نقد فيهما البلاغة السوفسطائية بصفة عامة "ففي محاورة **قورجياس** نجده يحلّل موضوع الخطابة في ضوء المقابلة بين العلم science والظنّ opinion مؤكدا على أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن، وهذا الثاني هو موضوع الخطابة السوفسطائية، فالإقناع المعتمد على العلم مفيد، إذ يكتسب منه الإنسان معرفة، أما الظن فلقيامه على الممكن probable والمحتمل vraisemblable كان الإقناع المعتمد عليه غير مفيد حسب **أفلاطون**، فهو لا يكسب الإنسان معرفة بل ينشئ لديه اعتقادا"[3] قد يكون صائبا وقد يكون غير ذلك، فالخطابة عند السوفسطائيين "كفن أو علم هي مجرد تقنية يمكن أن تنتج الرأي الصحيح أو الرأي الخاطئ"[4].

اعتمادا على ما سبق "فقد سحب **أفلاطون** هذا التصور على الخطابة عند السوفسطائيين، إذ اعتبرها أداة تزيينه تمويهية تحقق اللّذة لكن لا تحقق الفضيلة، ولم يقف عند هذا الحدّ بل زاد بأن

---

[1]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص24.

[2]- الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2015، ص12-13. (بتصرف).

[3]- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27.

[4]- الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص13.

جعلها صناعة من صناعات التملق flatterie"[1]، تهدف إلى تحقيق النفعية إذ أن المحاجِج أو المخاطِب يسعى إلى إقناع سامعه بوسائل تمويهية سواءً كانت فاضلة أم غير ذلك لاستمالة متلقي هذا الخطاب الحجاجي لرأيه أو أطروحته التي تحتمل الصواب مثلما تحتمل الخطأ، وهو ما رفضه **أفلاطون** الذي يعتمد على معيارين أساسين في الخطابة هما: "العلم والخير، إذ يعتبرهما أساسا لكل حجاج أو بلاغة مجديين ينفعان الفرد والمجتمع وهما معيار يمكن التعبير عنه بأنه «قيمي» بخلاف حجاج السوفسطائيين القائم على الظن لا على الحقيقة، وجملة القول أن **أفلاطون** في نقده لخطابة السوفسطائيين لم يعالج الحجاج بما هو «صناعة قول» وإن كان هذا البعد حاضرا في مشروعه بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع"[2] على حد سواء.

إن ما نخلص إليه هو أن بلاغة السوفسطائيين كان هدف الحجاج منها هو "شحذ الجمهور والعامة، وهي لا تعتمد على المعرفة والعلّة والبرهان والحقيقة، بل تقوم على الرّأي والإقناع والتضليل ولعل هذا هو السبب الرئيسي للنقد العنيف الذي لاقته بلاغة السوفسطائيين المقدم للخطابة من قبل **أفلاطون** و**أرسطو**"[3]، فالحجاج الذي يعمد إليه السوفسطائيون حجاج يهتم بالشكل لا بالجوهر، إذ أن "لقضية التأثير الشكلي لخطاب المتلقي حضور بيّن في هذا النقد، حيث أن السوفسطائيين أولوا الشكل عناية كبيرة في الحجاج، لكن **أفلاطون** على العكس من ذلك، رأى أن المبالغة في تحسين العبارة تخلخل علاقة الفكر باللغة في الخطاب، وبالتالي فإنّ الجمال عنده مدار نشدان للحقيقة والفضيلة وتلازم اللغة والفكر"[4]، إذ أنه يجب على المحاجج إنتقاء المرادفات المناسبة لذلك الفكر والتصوّر الخيّر الذي يسعى فيه إلى إقناع سامعه به، والذي فيه نفع للإنسان والمجتمع.

[1]- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص28.
[2]- المرجع نفسه، ص28.
[3]- الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص14.
[4]- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص28.

ولو تأملنا في منهج **أفلاطون** الذي اتبعه في نقده للسوفسطائيين لوجدناه "منهج ديني مثالي يحارب الظنّ والمراوغة والتزييف وتغيير المآرب غير الشرعية بسلطة القول، وبالتالي فهو منهج غير سياسي نظرا إلى ما تبيحه السياسة من وسائل متعددة للوصول إلى غاياتها"[1] بخلاف السوفسطائيين الذين كانوا بنظرتهم للحجاج يسعون للحصول على السلطة في المجتمع.

2.2. الحجاج عند أرسطو:

كثيرا ما اقترن مصطلح الحجاج باسم **أرسطو**، وربما يعود السبب في ذلك إلى مؤلفه المشهور «الخطابة» إذ تناول فيه قضايا الجدل والحجاج والإقناع، وهو بذلك يعدّ العمدة للدراسات الحجاجية التي أتت بعده، فقد دعى فيه إلى "صناعة خطابة تختلف عما تصوره أستاذه **أفلاطون** من مبدإ لبناءها، كما تختلف عمّا كان دارجا من سنّة التأليف فيها، فكتاب الخطابة يمثل من جهة تعديلا جذريا لما اقترحه **أفلاطون** من مشروع في صناعة الخطابة، وإن كانت خُطاطة ذلك المشروع حاضرة في سدى التأسيس الأرسطي، كانت حاضرة بما في التصور من أقسام لا بالمبدإ المؤسس له، وكتاب «الخطابة» يمثل من جهة أخرى –حسب ما أعلنه **أرسطو** نفسه– تغييرا تاما للمرتكز الذي قامت عليه سنّة التأليف في هذه الصناعة. وهي سنة أرساها على التدريج كبار الخطباء من السوفسطائيين وصناعة الخطابة ولدت في أحضانهم كما هو معلوم"[2].

يفرق **أرسطو** بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطبي "فالحجاج الأول تبكيتي réfutatif والحجاج الثاني إقناعي persuasif بحيث أنّ الحجاج الجدلي يسعى المجادل من خلاله إلى دحض فكرة ما، إذ ينطلق من قضية يجهد المجيب في حفظها ويبحث السائل عودا على بدء عن القياس (أو الأقيسة) المنافي لها، ويبني استراتيجية بها يرغم المجيب على أن يسلّم له بنفسه مقدّمات ذلك القياس النافي، فهو حجاج يفك الإقناع إن جاز القول، وفي نهاية الجدل لا يكون المجيب مقتنعا بالضرورة بما قاله

[1]– محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص29.

[2]– هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو: ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص114.

السائل، وإنما يكون في وضع من لم يجد ما يردّ به عليه ويحصل أن يهتدي في وقت لاحق إلى ما لم يظفر به في أثناء الحجاج"[1]. هذا عن حجاج الجدل، أما عن الحجاج الخطبي "فهو حجاج يقصد به الخطيب إلى أن يقنع الجمهور بحكم ما، فيبني وحده استدلالا يجعله به مقتنعا بذلك الحكم فهو حجاج إقناعي"[2].

وبهذا يكون **أرسطو** قد تناول الحجاج من زاويتين متقاربتين، حجاج جدلي يدعو السامع إلى الترك والتخلي عن أمر ما، وحجاج بلاغي يدعو فيه المخاطب سامعه إلى فعل شيء ما أو استمالته لرأي ما، غير أن الملاحظ هو أن كليهما يهدف إلى التأثير في السامع، هذا الأخير الذي يشكل قطب الرّحى في عملية الإقناع، فعلى غرار الحجج المقدمة له، لعنصر الرغبة لديه من حيث تقبله لرأي الآخر أم لا دور محوري في عملية الحجاج ككل.

لقد خصص **أرسطو** لموضوع الحجاج مشروعا خاصا سماه «الأورغانون» يتشكّل من ثلاثة مصنفات:[3]

- المواضع Topiques
- التبكيتات السوفسطائية Les réfutations sophistiques
- الخطابة Rhétorique

وقد انصبت المقاربة في هذه المصنفات الحجاجية الثلاثة على جنسين جامعين كانا يمثلان مؤسستين قوليتين مهمتين في المجتمع اليوناني (....) المناقشة الجدلية والخطبة، المناقشة الجدلية التي تتولى فحص واختبار القضايا الفكرية، والخطبة بما هي مجال لتوجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه.

[1]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص132.
[2]- المرجع نفسه، ص132.
[3]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013م-1434هـ، ص46.

وقد ميّز **أرسطو** بين ثلاثة مستويات من الحجاج في الخَطابة، إذ تعتبر بمثابة أركان للخطاب الحجاجي هي:[1]

أ- الخطيب(الإيتوس): ونعني به أخلاق الخطيب كونه حجة مقنعة في الاستدلال الخطبي وعنصر الثقة فيه، وهي عوامل تمنح الخطاب قوته ومصداقيته، لذلك اشترط **أرسطو** في القائل شروط الفطنة والفضيلة والتلطف للسامعين.

ب- السامعون (الباتوس): وهي تشمل كل ما يتعلق بالآثار النفسية والاجتماعية التي تحدث لدى المقول إليه، إذ لابد في الاقناع من التهيئة الانفعالية والاجتماعية للسامعين من أجل استدراجهم وتحقيق انقيادهم واقتناعهم بما يطرحه الخطيب، وهكذا أولى **أرسطو** أهمية خاصة للمقول إليهم، فالقول لا أهمية له إذا لم يكن رهانه توريط السامع.

ج- القول (اللوغوس): إن الإقناع يتوقف كذلك على القول الذي يجب بناؤه حجاجيا والعمل على تعبئته بالأدلة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغييرها، لأن الإقناع كما أكدّ **أرسطو** يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة، ولا يلغي **أرسطو** دور المقومات الأسلوبية والتصويرية في الفعالية التأثيرية للقول، ذلك أن النسيج القضوي (المضمون) وحده لا يبني الإقناع بل إن جمالية القول خادمة للغاية نفسها.

وبهذا فإن الحجاج عند **أرسطو** يرتكز بصفة أساسية على هذه الثلاثية: الإيتوس، اللوغوس الباتوس "إذن الإقناع في الخطبة الأرسطية محصلة لهذه الأركان الثلاثة القول بما هو فكر (Logos) والأخلاق (Ethos) أي أخلاق القائل، والانفعال (Pathos) انفعال المقول له، على أن تراتبية الركنين الأخيرين تختلف من جنس خطبي لآخر حسب ما يستفاد من الصناعة الأرسطية نفسها"[2]، فالأخلاق تختلف من قائل لآخر حسب شخصه، كما أن للظروف النفسية والاجتماعية تأثير على

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص54-55.

[2]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص265.

درجة انفعال السامع و ردّة فعله دون أن ننسى أن القول يرتبط نوعه من حيث البلاغة والإقناع فيه حسب أخلاق القائل وتصوراته، وما هو حامل له من أفكار ومعتقدات.

وحسبنا أن نشير هنا إلى أن "الجدل الأرسطي هو طريقة في إنتاج حجاج فكري ينهض على ما في المناقشة من استدلال، ولا اعتبار لأخلاق السائل ولا لانفعالات المجيب في الاستراتيجية الحجاجية الجدلية، أما الخطابة الأرسطية فالحجاج فيها هو محصلة الأركان الثلاثة مجتمعة"[1] علما أنه بين الجدل والخطابة فرق بيّن سبق ذكره.

3.2. الحجاج عند العرب قديما:

إذا كانت البلاغة اليونانية قد ارتبطت بالخطابة بشكل كبير، فإن البلاغة العربية قد ارتبطت بالكلام من حيث بلاغته وفصاحته، ولو أن البلاغة العربية قد أخذت من البلاغة اليونانية وذلك نظرا "لما لعبته هذه المؤثرات الأجنبية من دور لا يستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثراءه وفتحه على الكثير من المجالات والحقول المعرفية المجاورة، ولئن كان في بلاغتنا العربية العديد من الألوان كالفارسية والهندية إلا أنّ المؤثر اليوناني كان بارزا ملموسا من خلال القراءات التي تناولت كتب المعلم **أرسطو** بالترجمة والاختصار والشرح، وعلى الرغم مما قيل عن طبيعة هذه القراءات ومدى ملائمتها لشروط الثقافة العربية من جهة، ومدى الاستفادة منها من جهة أخرى وتجليات ذلك التأثر في المصنفات العربية بدءا من «مجاز القرآن» **لأبي عبيدة** (207هـ)، وصولا إلى «منهاج البلغاء» لـ**حازم القرطاجني** (684هـ)، و«عقود الجمان» **للسيوطي** (911هـ) فإن من المهم عندنا في هذه اللمحة الموجزة هو إثبات التأثر أولا وتأكيد الوعي بمفهوم الحجاج ثانيا"[2]، والمتمعن في هذه المصنفات أو البحوث البلاغية يجدها تركّز في دراستها على القرآن الكريم دراسة تحليلية تعتمد على كل المستويات اللغوية خاصة منها التركيبية البنائية مع مراعاة الجانب اللغوي الإعجازي فيه، وكذا الشعري وما أحدثه

[1]- ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص265.

[2]- محمد سالم محمد أمين الطلبة، مرجع سابق، ص210.

هذا النص من ثورة نقدية لدى الشعراء والأدباء على حد سواء، وبالطبع كلها عوامل ساعدت على نشأة البلاغة العربية من جهة وتطورها وتشعب مباحث دراساتها من جهة أخرى.

إن تأثر البلاغيين العرب بالبلاغة اليونانية "ثابت بالأدلة والقرائن اللفظية والمعنوية بشهادة نقادنا القدامى أنفسهم، أما فيما يتعلق بموضوع الحجاج في البلاغة العربية القديمة فلا، إنّ رأينا أن البلاغة الأرسطية لم تصنف بحسب الموضوعات على اعتبار أنها متنوعة ولا يمكن ضبطها بحسب بنيتها لأنها متغيرة تبعا لمقامات الإنجاز، فقد صُنفت بحسب المخاطبين لأنهم الموجهون لطبيعة الخطاب أولا، والمنجزون له ثانيا، ومن هنا يتجلى الطابع التداولي التواصلي في هذه البلاغة، ولئن كان الأمر كذلك بالنسبة للبلاغة الأرسطية فإن البلاغة العربية لم تهتم في بادئ الأمر بالمخاطَب مما جعل حضوره لاحقا عاملا قويا في تغيير الخطاب البلاغي العربي، وفي بروز بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحجاج والإصغاء إلى الآخر، في هذا الجو الفكري الجديد يظهر الجاحظ مدافعا عن الحوار وثقافته محاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع يكون مركزها الخطاب اللغوي بكل ما يصاحبه من وسائل إشارية ورمزية ودلالات لفظية وغير لفظية، وأساس بلاغته هذه مراعاة أحوال المخاطبين"[1]، وهو بهذا يعتبر القائل والمتلقي هما محورا الخطاب الحجاجي وكل ذلك في سبيل البيان والفهم والإفهام.

الحجاج عند الجاحظ:

إن تناول **الجاحظ** (**ت255هـ**) لمصطلح البيان في كتابه البيان والتبيين الذي عرّفه بأنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن

[1]- محمد سالم محمد أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص210-211.

المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1]، إنما يدّل على "وعي **الجاحظ** بدور المكون اللغوي في بلاغة البيان من جهة ثم الدّور الأساسي للمكون الاجتماعي في التواصل والتأليف من جهة أخرى.

لقد اهتم الجاحظ بالفعل اللغوي واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية"[2]، وقد جعل البلاغة في الكثير من المواضع مرادفة للبيان، فهو "لم يكد ينتهي من تعريف البيان باعتباره فهما وإفهاما بالوسائل اللغوية وغير اللغوية، حتى قايض كلمة بيان بكلمة بلاغة (من الصفحة 1 إلى الصفحة 88 بالضبط)، وقد قلنا قايض لأنه لم يقدّم أيّ بيان يرتب العلاقة بين المفهومين، كان يتحدث عن البيان باعتباره موضوعا للكتاب ثم صار يتحدث عن البلاغة باعتبارها الموضوع نفسه. غير أنه من جهة أخرى لم يعتمد على تعريف البيان السابق تعريفا للبلاغة بل صار يريد اقتراحات مختلفة منسوبة إلى الأمم مثل: الهند، والفرس وإلى أعلام من الثقافة العربية"[3].

كذلك هو الحال بالنسبة للكلام فهو "في نظر الجاحظ لا يمكن تمييزه عن البلاغة، لكونه يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: أولا : الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إلقاء، وإقناع، واحتجاج، ومنازعة، ومناظرة، وهي مصطلحات يكثر **الجاحظ** من استعمالها ونلاحظ أن الخطب التي أوردها في هذا المجال تدور على ثلاثة محاور: محور ديني نجد فيه خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب الصحابة، ومحور سياسي نجد فيه خطب **الحجاج** و**زياد** وأنصارهما وخصومهما، ومحور ثالث جدلي مذهبي كان نتيجة للصراع الفكري الذي عرفه المسلمون منذ نهاية العصر الراشدي، واحتدّ بفعل التطوّرات الاجتماعية والسياسية والثقافية أيام **الجاحظ**، الذي كان هو نفسه طرفا فيه يدافع عن إحدى الفرق"[4]. ونشير إلى أنّ "هذه المحاور الثلاثة يغلب عليها طابع الحجاج الذي يكثر **الجاحظ** من ذكر مادته اللغوية بجميع اشتقاقاتها الصرفية ومتعلقاتها الدّلالية، وهو يشير

[1]– أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص76.

[2]– محمد سالم محمد أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص211.

[3]– محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م، ص200.

[4]– محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص212.

إلى أهميته باعتباره البلاغة حجاجا وذلك عندما يعرف بأنها إظهار ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل"[1]، وهو يقصد بهذا أن البلاغة في الإقناع والحجاج تكمن في كشف المستور والغامض للسامع والرغبة في استمالته وإقناعه، وكذا تغيير رأيه بشتى الآليات والطرق بما في ذلك مـمايعة الخصم.

أما الوظيفة الثانية فهي وظيفة الفهم والإفهام أو البيان والتبيين "وهي الوظيفة المسيطرة على تفكير **الجاحظ** البياني وقد رادف في الكثير من المواطن بين البيان والتبيين والتفهم والإفهام، وكلّها مفاهيم ترتبط بقضاء الحاجات وتحقيق التواصل، وذلك لا يتم إلاّ من وجه الإفهام والتفهّم وهو الغاية التي يجري إليها القائل والسامع فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"[2].

خلاصة القول هو أن "اهتمام **الجاحظ** بالنزعة الحجاجية وبالوظائف اللغوية والبلاغية إنما هو نابع عن انتمائه المذهبي إلى المعتزلة وتصدّره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم، وكان من شأن هذا تحفيزه على التفكير في نصوص الخصوم وفرضياتهم ثم البحث عن الآليات الكفيلة بمقارعتها ودحضها، وعمّ يتعلق بهذا الهدف من ضرورة التقدير الجيّد لحسابات التوّقع والاحتمال، ويضاف إلى هذا اهتمامه بالمقامات بجميع ضروبها وما يتصل بها من حالات الهيئة المساعدة، وكذلك الأمور النفسية الخاصة التي تلعب دورا في تغليب طرف على آخر"[3]، وهو ما يعكس لنا مدى اهتمامه بثلاثية المتكلم والسامع والقول مع مراعاة المقام طبعا فهو من "العناصر الحجاجية التي اهتم **الجاحظ**

[1]– محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص212.

[2]–حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسس وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981م، ص194. (بتصرف).

[3]– محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص213.

بها وسماها مقتضيات المقام وهي تشمل أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية وهيئته وصفاته اللغوية وما يحسن عليه وما يقبح"[1] وكذا المكانة التي يحظى بها بين أقرانه.

صفات البيان وأغراضه: يرى **محمد العمري** أن **الجاحظ** قد أولج مجموعة من الصفات تدور كلها حول مفاهيم البلاغة والحجاج وقد قابل كل صفة بغرضها مع العلم أن الهدف العام للحجاج هو التأثير وفيما يلي تبيان لذلك في الجدول الآتي[2]:

الصفة	الغرض (التأثير)
الإبلاغ	استمالة القلوب
الإبانة	ثني الإقناع
الإفصاح	التصديق
الفصاحة	ميل الاعناق
الوضوح	فهم العقول
الصّحة	إسراع النّفوس
البيان	الإستمالة
حسن التفصيل	الاضطرار
الإيضاح	التحريك
وضوح الدّلالة	حل الحبوة

وقد عقبت دراسات **الجاحظ** هذه وآرائه حول مصطلح البلاغة والبيان التي قصد بها في كثير من الأحيان الإخبار والإفهام وكذا آليات إقناع المتكلم للسامع أبحاث عدة، فالبلاغة بعد **الجاحظ** إلى القرن السادس شهدت استقلالا في التأليف من طرف ثلة غير قليلة من النقاد الدارسين من أمثال: **ابن قتيبة، المبرّد، ابن المدبر، عبد الله ابن المعتز، أبي هلال العسكري، الجرجاني، أبي**

[1]- محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص214.

[2]- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها ومفاهيمها، ص198.

الوليد الباجي... وغيرهم. وسنقف عند قطبين بالإضافة إلى **الجاحظ** سابقا هما **أبو هلال العسكري** و**حازم القرطاجني**، ولعل السبب وراء هذا الاختيار هو أنهم "وظفوا الحجاج بمؤلفاتهم وشكّل بنية أساسية في ابداعاتهم ف**أبو هلال العسكري** قد ربط الحجاج بالشعراء إذ في اعتقاده أن للشعر وظيفة حجاجية كبيرة لأن الشاعر يقول كلاما يحسّ به ويشعر به دون غيره لذلك فهو يريد أن يصل إلى مرام وأهداف حجاجية من خلال شعره"[1]، أي أن شعره مقصود يبغي به إقناع مخاطبه بشيء ما.

وقد أشار **أبو هلال العسكري** (ت395هـ) إلى مفهوم الحجة إذ يقول: "وأما قوله «وقصد إلى الحجة» وقد ذكرنا الكلام فيه وقال **محمد بن علي** رضي الله عنهما: البلاغة قول مفقه في لطف، فالمُفقه: المُفهم واللطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبية المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب من غير أن تهيجه وتقلقه وتستدعي غضبه وتستثير حفيظته"[2]، وبهذا فإن البلاغة في رأيه تكمن في مجموع الآليات الحجاجية المستعملة في الشعر، والشاعر البليغ أو المحجاج في نظره هو فقيه من حيث كونه مستعملا لكلام مفهوم بسيط فيستعطف به السامع ويحيطه بمفهوم قوله، ويقنعه ويستميله لأطروحته، وبهذا يبلغ المخاطب حاجته وتقام حجته.

[1]- حسين بوبلوطة، الحجاج في المتاع والمؤانسة، لأبي حيّان التوحيدي، إشراف: اسماعيل زردومي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010، ص17.

[2]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م، ص51.

الحجاج عند حازم القرطاجني:

يقسّم **حازم القرطاجني** في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء الكلام إلى قسمين: أولهما إخبار واقتصاص وثانيهما حجاج واستدلال إذ يقول: "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"[1].

من خلال قول حازم القرطاجني السابق فإن ربطه للحجاج بمصطلح الاستدلال واضح وجلي، بل إنه جعل عملية الإقناع تعتمد على تتبع الدليل وطلبه من أجل استدراج المخاطب إلى قضية معينة وهذا ما يسمى استدلالا حجاجيا، ومثال ذلك قولنا:

- رئيس الجمهورية قائد أركان الجيش الوطني.
- هواري بومدين رئيس الجمهورية.
- هواري بومدين قائد أركان الجيش الوطني.

4.2. الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة:

بعد أن تطرقنا إلى مفهوم الحجاج في الموروث البلاغي القديم اليوناني منه والعربي الذي تراوحت مفاهيمه بين الجدل والمناظرة والحوار والاستدلال والمناقشة... إلخ، سنقف فيما سيأتي عند دِلالاته في البلاغة الجديدة. هاته الأخيرة التي: "تعرّف بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية التي تسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الأثار الناجمة عن ذلك التطور"[2]. ونشير إلى أن الدراسات البلاغية الجديدة لم تأتي من عدم، فهي انبثقت من رحم البلاغة القديمة خاصة منها الأرسطية، إن لم نقل هي امتداد للدّراسات البلاغية التي سبقت.

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق و تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دس، ص62.

[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2008، ص15.

إن "التعريف الذي سبق يبيّن إلى أي مدى تمثل البلاغة الجديدة استمرارا للبلاغة الكلاسيكية، وإلى مدى تختلف عنها في التقاليد الغربية طبعا، وربما انسحب ذلك على مسار البلاغة العربية بوجه من الوجوه، وبذلك فإن البلاغة الجديدة تواصل بلاغة **أرسطو** من حيث توجهها إلى جميع أنواع السامعين، فهي تحتضن ما يسميه القدامى فن الجدل (طريقة النقاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة، المهتمة خاصة بالمسائل الظنية) وقد سميت نظرية الحجاج هذه بالبلاغة الجديدة لأن **أرسطو** ورغم الصّلة التي يعقدها بين البلاغة والجدل قد طوّر الأولى فقط على أساس المستمعين/المخاطبين"[1]، وربما يعود السبب إلى ذلك في أن الحجاج الجدلي يقوم على الاستدلال والإثبات من طرف المتكلم، أما البلاغة أو الحجاج الخطابي فإنه يهدف بصفة مباشرة إلى التأثير في المستمع واستمالته وهذا ما أكدته **ذهبية حمو الحاج** بقولها: "وإن قُسّم الحجاج إلى قسمين: حجاج جدلي وحجاج خطابي ذلك يعني قيام الأول على الاستدلال واثبات ما يذهب إليه المخاطب (الحجاج في القرآن مثلا)، واستناد الثاني على التغيير في الغير أو الجمهور سواءً من الناحية العاطفية أو من الناحية الانفعالية لكسب ثقته واستمالته، حتى وإن تمّ ذلك بخداعه والتحايل عليه"[2]، ولعل القسم الثاني «الحجاج الخطابي» هو الأقرب إلى الحجاج كونه يعتمد على الاقناع، أما الحجاج الأول فهو استدلال برهاني محض.

لهذا السبب "شدّت البلاغة الجديدة الرباط مع الخطابة الأرسطوطالية ودخلت في قطيعة واضحة مع المنطق البرهاني والبديعيات الأرسطية وذلك بهدف فتح مجال حجاجي منطقي غير نمطي. تأسست البلاغة الجديدة على كل خطابة حجاجية، ولكن أيضا على التقليد الأرسطي الذي لا يتقبل منه سوى البرهان المنطقي، وبذلك يلم بكل المجال الخطابي الذي يهدف إلى الإقناع والتأثير"[3] في المخاطب بمختلف التقنيات.

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص15-16.

[2]- ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2105، ص276.

[3]- المرجع نفسه، ص277.

لقد "شهدت الدراسات الحجاجية منذ 1958م تطورا كبيرا وذلك منذ صدور «مصنّف في الحجاج» و«البلاغة الجديدة» **لبيرلمان** و **تيتكا**، ولئن كان لهذا التأليف فضل في إخراج الحجاج من أسر المقاربة الأرسطية التي جعلته رهين محبسين هما: المقاربة الخطابية من جهة والمقاربة المنطقية من جهة ثانية، فإننا لا نعدم دراسات أخرى قد تناولت الحجاج تناولا خاصا كان كتاب **بيرلمان** و**تيتكا** منطلقا لها. ونعني بذلك مصنفين هما: «استعمالات الحجاج» **لتولمين** الذي نقله إلى الفرنسية و**باربنتار**. والمصنف الثاني هو «الحجاج في اللغة» **لديكرو** و**أنسكومبر**"[1].

وبهذا يصبح لدينا ثلاثة تيارات في الدرس الحجاجي الغربي الحديث يأخذ كل واحد منها اتجاها مختلفا عن الآخر " فلئن كان مصنف استعمالات الحجاج يمكننا من وضعه ضمن خانة المقاربة المنطقية للحجاج، فإن مصنف الحجاج في اللغة يندرج ضمن التناول اللّساني للحجاج، وعليه يمكن القول بصيغة تأليفية تجريدية جدّا:إن الحجاج منذ كتاب **بيرلمان** و**تيتكا** قد تعرّض إلى ثلاث مقاربات هي بمثابة الرجّة في الدرس الحجاجي. فالمقاربة البلاغية يمثلها **بيرلمان** و**تيتكا** بكتابهما المذكور آنفا، والمقاربة المنطقية يمثلها كتاب **تولمين** بما احتواه من مناويل وفقها تكون العملية الحجاجية سالمة من اللحن، والمقاربة الثالثة هي المقاربة اللسانية ويمثلها **ديكرو** في كتابه «الحجاج في اللغة»"[2]. سنشير فيما سيأتي لأهم المفاهيم الحجاجية في كل عمل من أبحاث هؤلاء:

الحجاج عند بيرلمان وتيتكا:

ذكرنا سابقا أن مقاربتهما مقاربة بلاغية وقبل التطرق إلى مفهوم الحجاج عند **شاييم بيرلمان** ينبغي الإشارة إلى أنه مستحدث مصطلح البلاغة الجديدة، حيث سعى في كتابه المشهور: «البلاغة الجديدة» إلى الكشف عن جوانب عميقة من الدراسات البلاغية القديمة وتقديمها من منظور حديث، ولاسيما الاعتقاد السائد حول صعوبتها ومفاهيمها المعقدة، فجهد **بيرلمان** يرمي إلى تبسيط

[1]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص23.
[2]- المرجع نفسه، ص23.

المادة البلاغية لتلائم فهم القارئ أو المتلقي البسيط. وهذه حاجة تدعو إلى إعادة القراءة في مفاهيم البلاغة الكلاسيكية.

إذ "يقدم **بيرلمان** تعريفا جديدا للحجاج خاصة وأن معظم أنواع الخطاب بوظيفة الحجاج، الذي يمثل في جوهره حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع، فمصطلح الحجاج عنده قائم على الإقناع، معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيّئه للقيام بالعمل"[1] الذي رغب المتكلم قيامه به.

وقد أورد كل من **بيرلمان** و **تيتكا** في العمل المشترك الذي قدماه «دراسة الحجاج» بأن مفهوم الحجاج يتمثل في درجة تأثير المخاطِب على المخاطَب واستمالته لأطروحته محل الجدل لإذعانه من خلال تقديم آراء ومواقف مختلفة والتي تمثل حججا في الغالب.

وقد درسا في نفس الكتاب التقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها أو تزيد في درجة ذلك التسليم، والحجاج في نظرهما يتجاوز فيما هو حقيقي مثبت محدد إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، مع العلم أنه قائم على الاختلاف، إلا أن شرطه عندهما يقوم على موضوعية الحوار القائم على التعاون بين المحاجِج والمحاجَج لا يقف فيه المتكلم موقف الخصم العنيد، ذلك أن غايته مبنية على استمالة المتلقي لما يعرض عليه بواسطة وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه. وعلى سبيل الذّكر لا الحصر فإن منطلقات الحجاج عند **بيرلمان** كما يلي:[2]

- التأثير في المخاطبين بمختلف مستوياتهم.
- الابتعاد عن المغالطات والتحريض.

[1]- بيرلمان و تتيكا، مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، ج1، 1981، ص13، نقلا عن: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحدي، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص21

[2]- ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، دط، 2008، ص108

– التأثير العلمي القائم على أسس عقلية.

وقد قسم وظائفه إلى:

– الإقناع الفردي الخالص.
– الإعداد لقبول أطروحة ما.
– الدفع إلى الفعل.

ويتميز الحجاج عند **بيرلمان** بخمسة ملامح رئيسية:

– أن يتوجه إلى مستمع.
– يعبّر عنه بلغة طبيعية.
– أن تكون مسلماته لا تعدو كونها اجتماعية.
– ألا يقتصر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
– أن تكون نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية).

وفي إطار بحثه عن هذه الآليات نجده يقسّم الحجاج إلى قسمين بحسب نوع الجمهور:[1]

الأول: الحجاج الإقناعي (**L'Argumentation persuasive**): هدفه إقناع الجمهور الخاص، ولا يتحقق الإقناع إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة وهو ما يضيّق من هامش فرصة العقل وحرية الاختبار.

الثاني: الحجاج الاقتناعي (**L'Argumentation convaincante**): يقوم على العقلنة والحرية.

وهكذا جعل **بيرلمان و تيتكا** للحجاج بعدين أحدهما عقلي والآخر حسي.

[1]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص108-109.

الحجاج عند تولمين:

أما **تولمين** صاحب المقاربة المنطقية في الحجاج "فإن تعريفه للحجاج كان مغايرا تماما، فقد اعتبر الحجاج بمثابة المسار الذي يسلكه الباث لإقناع المتقبل بنتيجة ما، بل إن وظيفة الحجة عنده تكمن في الإقناع فقط وما سوى الإقناع فيعدّ وظائف هامشية ثانوية طفيلية **secondaires et parasitaires**، والمفيد من تعريف **تولمين** أنه تفطّن إلى أنه ثمة استراتيجية **Stratégie** في صوغ الحجة، وعن هذه الاستراتيجية نتجت مجموعة من المناويل ينبغي للمحاج توخيها لايصال حجته مقنعة، ولعل هذه المناويل وتراكمها وتراتبيتها هو ما صوّغ لنا اعتبار مقاربة **تولمين** للحجاج مقاربة منطقية، وذلك أيضا بناء على عملية الانتقال من المعطى إلى النتيجة التي تذكرنا بالقياس وبمقدماته وبنتائجه"[1]. وفي نفس السياق دائما "حاول **تولمين** إعادة صياغة المنطق ويتأسف في هذا الميدان بالذات لتوسع المنطق بعيدا عن المحادثة العادية، كما يتأسف للمسافة التي أقيمت بين المنطق الصوري ومحاولاتنا اليومية لإثبات واعطاء الأسباب لآرائنا وموضوعاتها المختلفة"[2]، فالمنطق (الأرسطي الصوري) معروف عنه بأنه عقيم كونه مجموعة من القواعد التي تعصم فكر الإنسان من التناقض والوقوع في الخطأ، وبهذا فإن الاقتناع حتمي كون الأدلة موجودة، في حين أنه لإثبات آرائنا أثناء محاولاتنا اليومية لا يشترط أن يكون هناك استدلالا منطقيا فيها حتى يتأثّر المتلقي أو المستمع بالموضوع الأساسي.

وقد قدّم **تولمين** المثال التالي:[3]

- Anne إحدى أخوات Jacques

[1]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، ص24-25.

[2]- ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ص277.

[3]- Philippe Breton et Grilles Gauthier : Histoire des théories de l'argumentation, la découverte, paris, 2000, p55.

نقلا عن: ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ص277.

- لكل أخوات Jacques التي تمكنا من رؤيتها لحدّ الآن شعر أشقر.
- إذن من المحتمل أن يكون لـ Anne شعر أشقر.
- ولو تأملنا في هذا المثال لوجدنا الجملة الأولى والثانية عبارة عن مقدمات، أو هي بمثابة معطيات أولية تحيلنا في نهاية المطاف إلى نتيجة محتملة وهي أن شعر Anne أشقر. ويعتبر هذا المسار الذي يسلكه المتلقي في إقناع سامعه بهذه الأطروحة في رأي **تولمين** بمثابة منوال وهو استراتيجية منطقية في عملية الحجاج كونها تعتمد على مجموعة من المعطيات للوصول إلى النتائج.

الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

قدّم الاثنين معا كتابا لهما عنوانه: l'argumentation de la langue وقد "عرضا فيه مفهوم الحجاج وآلياته بصورة تختلف عن ما سبق من المفهومات التي تصبّ في إطاره لأنه حجاج لساني (لغوي) بحت، وقد حصراه في اللغة ودراستها دون الاهتمام بما هو خارجها"[1] وتسمى هذه المقاربة اللغوية بالمقاربة اللسانية التي هي محور المبحث الثالث من هذا الفصل «الحجاج في اللغة» هذا الأخير الذي حظي بمكانة ذات أهمية كبرى في الدراسات البلاغية الجديدة والمعاصرة.

المبحث الثاني: الحجاج في الخطاب

كثيرا ما يتداخل مفهوم الحجاج في الخطاب مع مفهوم الحجاج في اللغة وربما يعود السبب في ذلك إلى كون "تحليل الخطاب هو تحليل للغة ذلك الخطاب، فهو دراسة الاستعمال الفعلي للغة"[2].

وبما أن "الحجاج يكتسي اليوم أهمية قوية في تحليل الخطاب بمختلف أنواعها فإنه يمنح للدارسين خلفيات نظرية عميقة وآليات مقاربة فعالة تسعفهم في فهم الخطابات وتفسيرها، وتظهر كفاءة التحليل الحجاجي أكثر في كشفه لمقصديات الخطاب ولطرق اشتغال المقومات الإقناعية فيها"[3]،

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط2، 2012، ص89.
[2]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص9.
[3]- عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب مقاربة تطبيقية، مؤسسة آفاق،مراكش، المغرب، ط1، 2017، ص5.

وبهذا فإن مفهوم الحجاج يتشكل من تيارين الأوّل جدلي مرتبط بملكة التفكير، والثاني إقناعي يرتكز على لغة الخطاب وأسلوبه بصفة أساسية.

وفي إطار الرّبط بين الخطاب والحجاج أشار **دومينيك مانغونو** إلى أن: "كل التيارات التداولية تشدّد على أن سلوك الأفراد إزاء الخطاب مرهون بحجة صاحبه أي المتلفّظ به، وكذا على المشروعية المرتبطة بالمنزلة المعترف بها، إذ أن ما يدعى بـ «التفكير بالحجة» هو تحديدا التفكير حيث تتأتى قيمة الجملة من حجة صاحبها"[1]، والمعنى من وراء قوله هذا هو أن مدى فاعلية الخطاب الحجاجي مرتبطة بـ"منزلة المشاركين في التخاطب (متلق ومستمع) وطبيعة الإطار المكاني والزماني أيضا يلعبان دورا أساسيا"[2]، تسمى هذه العناصر مجتمعة بالسياق، والإبانة عنها هو إبانة عن السياق.

يشير **فينو** إلى أن "الخطاب الحجاجي خطاب غائي وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة لأن هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة لا تهدف إلى إقناع الآخر، والخطاب الشعري وبعض أنواع السير الذاتية والمذكرات والكتابات الحميمية أمثلة لخطابات غائية ليست حجاجية إذ يفترض في الخطابات الحجاجية الغائية:

- تكون مبنية من قضايا وأطروحات تكون استدلالا ،وتترجم بكيفية مباشرة أو غير مباشرة، وموقف الخطيب من اثباتات وأحكام وانتقادات.
- تحيل دائما على آخر وُسم أم لم يوسم في الخطاب (فرد، مجموعة، حالة اجتماعية، رأي عام).
- كما يمكن أن يتحدد الخطاب الحجاجي عن كائن إحالي يوجد خارج الخطاب"[3].

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص12.

[2]- المرجع نفسه، ص13.

[3]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مكتبة الأدب المغربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص90-91.

وباعتبار الخطاب أنواعا ونماذج فقد اخترنا في هذا المبحث أن يكون الخطاب الديني القرآني وبالتحديد سورة الغاشية هو الوجهة التطبيقية التي نتقصى فيها الأبعاد الحجاجية الخطابية كنموذج على ذلك.

1.التعريف بالسورة: سورة الغاشية "سورة مكية بالاتفاق وقد سميت في المصاحف والتفاسير بـ «سورة الغاشية» وكذلك عنونها **الترمذي** في كتاب التفسير من جامعه، لوقوع لفظ «الغاشية» في أوّلها"[1].

وفي تسميتها اختلاف "فقد ثبت في السنّة تسميتها «هل أتاك حديث الغاشية»، ففي الموطأ أن **الضحاك بن قيس** سأل **النعمان بن بشير**: بم كان رسول الله يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: هل أتاك حديث الغاشية، وهذا ظاهر في التسمية لأن السّائل سأل عمّا يقرأ مع سورة الجمعة فالمسؤول عنه السورة الثانية، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، أما **بن عطية** فقد عنونها بـ «سورة هل أتاك» بدون كلمة «حديث الغاشية» في تفسيره وهو اختصار، وقد نزلت سورة الغاشية بعد سورة الذاريات وقبل سورة الكهف آياتها ست وعشرون"[2].

2.أغراض السورة:

لكل سورة من القرآن الكريم غرض وراء نزولها بل ولكل آية حكمة وموعظة من نزولها، وقد "اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب قوم مشوّهة حالتهم، ومن ثواب قوم ناعمة حالتهم وعلى وجه الإجمال المرهّب أو المرغّب، والايماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله وهي نصب أعينهم، على تفرده بالإلهية فيعلم السامعون أن الفريق المهدّد هم المشركون، وكذا على إمكان إعادته بعض مخلوقاته خلقا جديدا بعد

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج30، ط1، 1984، ص293.
[2]- المرجع نفسه، ص293.

الموت يوم البعث، وكذا على تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على الدعوة إلى الإسلام وأن لا يعبأ بإعراضهم، فوراءهم البعث فهم راجعون إلى الله وهو مجازيهم على كفرهم وإعراضهم"[1].

ولو تأملنا في أهداف هذه السورة وما احتوته من مقاصد لوجدناها خطابات تهويلية يحاجج فيها الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمشركين بآياته البيّنات من خلال إخباره تعالى بمصير كل فريق منهما، هذه الخطابات الموجهة لكل صنف (مؤمنين ومنافقين) تتضمن مقاصد من مخاطِب (الله عزّوجل) إلى مخاطَب (صالحين/ طالحين)، وكذا الظروف الملابسة (أهوال هذا اليوم) بالإضافة إلى السياق بما تضمنه من أحوال المخاطبين.

3.آليات الإقناع في سورة الغاشية:

يتكئ كل خطاب على آلية الاقناع والنص القرآني كذلك إذ "يقوم على دعوى يروم إقناع المخاطَبين بها، فيسعى من جهة في مقابلة للكفار إلى تغيير وضع قائم، من خلال دعوتهم إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته والعالم الآخر والثواب والعقاب وغيرها من المعتقدات والمعاملات والقيم، أو يسعى من جهة أخرى في مخاطبته للمؤمنين إلى تثبيت وضع وتدعيمه. وفي الحالتين يضطلع الخطاب القرآني بالحجاج سواء في صيغته العقلية أو العاطفية"[2]. وبمعنى آخر فإننا "نجد مختلف الحجج العقلية التي اصطلح عليها باللوغوس، على نحو ما نجد فيه مختلف الحجج العاطفية والخلقية المتمثلة في كل ما يحيل تارة إلى صورة الذات المتكلمة بوصفها صورة خطابية حجاجية (الإيتوس)، وتارة إلى صورة المخاطَب بوصفها خطابية حجاجية أيضا (الباتوس)"[3]. كل هذه العناصر الخطابية هي بمثابة أركان أساسية للنص الحجاجي من جهة، كما أنها تسهم في الكشف العام عن هذا الخطاب وكذا درجة تأثير كل طرف (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس) في عملية الإقناع من جهة أخرى.

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص293-294.

[2]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2016، ص243.

[3]- المرجع نفسه، ص244.

وقد ركّز **أرسطو** على هذه الثلاثية الخطابية بقوله: "من بين وسائل الإقناع المقدمة بواسطة الخطاب هناك ثلاثة أنواع: فبعضها يكمن بالفعل في خُلق من يتكلم (الإيتوس)، والأخرى في عملية جعل السامع في هذه الحالة أو تلك (الباتوس)، والأخرى في الخطاب (اللوغوس) نفسه بواسطة كونه يبرهن أو يظهر أنه يبرهن"[1]. وسنتناول هذه الثلاثية من خلال إسقاط عناصرها على الخطاب القرآني المتمثل في سورة الغاشية.

1.3. الإيتوس في سورة الغاشية:

أشرنا سابقا إلى تعريف الإيتوس بأنه "أخلاق القائل"[2]، إذ على المخاطب أن يتلطف بالسامع فيعمل على استدراجه لقبول أطروحته بأفضل الطرق الممكنة وهو تعريف **لأرسطو** طوّره **ديكرو** واعتبره صورة للذات المتكلمة.

يعرّف **أرسطو** الإيتوس بأنه: "ما يكون بكيفية المتكلم وسمته... والسمت أن يكون الكلام بنحو يجعل المتكلم أهلا أن يصدق ويُقبل قوله، والصالحون هم المصدقون سريعا بالأكثر في جميع الأمور الظاهرة"[3].

وقد شكّل "الإيتوس إحدى الاستراتيجيات الخطابية الحجاجية في بلاغة النص القرآني، كما تكشف عن ذلك العديد من التأويلات البلاغية القديمة، لكن هل يمكن الحديث عن الإيتوس بوصفه نصا دينيا على وجه الدّقة والتحديد في سورة الغاشية؟ وكيف تجسد ذلك؟ وكيف يؤثر الله عزّوجل بوصفه متكلما؟ هل بصورته أو بالمظاهر التي تجلى بها في سورة الغاشية؟"[4]

---

[1]- الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص213.

[2]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص144.

[3]- أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمان بدوي، الترجمة العربية القديمة، دار القلم، بيروت، ط1، 1979، ص10.

[4]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص244-245. بتصرف

القرآن الكريم هو كلام الله عزّوجل والذات المتكلمة في سورة الغاشية هي الذات الإلهية (الله عزّوجل)، إذ يخاطب الله في هذه السورة فئتين من الناس، فئة مؤمنة به وفئة أخرى كافرة، وما ستلقاه كل منهما يوم الغاشية، و"الغاشية من أسماء يوم القيامة لأنّها تغشى الناس وتعمهم"[1] لما يقع من أحداث في ذلك اليوم، والغاشية كلمة مشتقة من الغشيان وهو غياب العقل من شدة الهول.

وقد افتتح الله عزّوجل (بوصفه مخاطبا في هذا النص القرآني) سورة الغاشية "بالاستفهام عن بلوغ خبر الغاشية لتشويق المخاطبين إلى معرفة هذا الخبر لما يترتب عليه من الموعظة"[2]، إذ يقول جلّ في علاه ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ الآية 01 سورة الغاشية. هذا "الاستفهام بـ «هل» المفيدة معنى «قد» فيه مزيد من التشويق فهو استفهام صوري يكنّى به عن أهمية الخبر بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع"[3] المتمثل في صنفين من أنواع الناس يوم الحشر.

يشكّل هذا الخبر خطابا صادرا من "الذات الإلهية بوصفها إحدى الذوات المتكلمة وصورتها راسخة في الأذهان"[4]، هذه الأخيرة التي تمثل (الباتوس) صورة السامع اتجاه ما يطرحه الخطيب (الإيتوس) الذي يفترض أن يكون ذا أخلاق نبيلة كونه المقنع الأول ومحل الثقة الأساسي في الخطاب، لا يمكن حملها أو إسقاطها على الخطاب الدّيني فحديث الله عزّوجل عما يلحق المؤمنين والمشركين من نعيم أو عذاب "ينطلق من مبدأ أن تصديق دعوى القرآن تمرّ عبر تصديق المتكلم، أي توثيق الصلة بين الحجاج والمحاج، فالإيمان بدعوى القرآن والاقتناع برسالته يقتضيان الإيمان بالذات الإلهية والاقتناع بصفاتها، وقد انبنى النّص في القرآن الكريم على استراتيجية حجاجية تقوم على تشكيل صورة للذات الإلهية جديرة بالإيمان والتصديق والثقة، إذ اعتمدت على توجيه المتلقي إلى المظاهر التي تتجلى بها في النص لخدمة الدعوى الدّينية وهي الإيمان بصدق الرسالة السماوية والعقيدة

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج8، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ص384.

[2]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص294.

[3]- المرجع نفسه، ص294.

[4]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص245.

الإسلامية"[1] التي تدعو إلى الإيمان إيمانا جازما بربوبية الله عزّوجل وصفاته وأسمائه وكتبه ورسله دون جدال، "فوحدانية الله ووجوده حقيقة لا تقبل النقاش لأنها ضرورة تسري في الأحاسيس والمشاعر وتتغلغل في أعماق النفس الانسانية"[2]، كذلك هو الحال في التصديق بالبعث والجزاء الذي هو موضوع سورة الغاشية، فما جاءت به السورة من أنباء للمستمعين وما ترك في نفوسهم إزاء تلقيهم لأهوال هذا اليوم العظيم إنما هو لدليل على وجود استدلال خطبي نابع من قوة الإيمان لدى الباتوس بهذا الإيتوس.

وقد تضمنت السورة بالإضافة إلى أخبار يوم الحشر "أدلة وبراهين على وحدانية ربّ العالمين، وقدرته الباهرة في الخلق، وختمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء"[3]، وسنمثل لما ذكرنا بآيات من سورة الغاشية.

أهوال يوم القيامة وما يلقاه الكافر من عذاب: فيما يأتي ذكر و شرح للأيات التي وصف فيها سبحانه وتعالى الفئة الظالة من عباده بهدف تهويلهم و تخويفهم وترهيبهم:[4]

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)﴾: أي وجوه في ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ(3)﴾: هذه الآية للكفار يتعبون ويشقون من جرّ السلاسل والأغلال.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً(4)﴾: أي تدخل نارا مسعّرة شديدة الحرّ.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(5)﴾: أي يسقون من عين متناهية الحرارة.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ(6)﴾: طعام يقدّم للكفار مثل الزّقوم وهو شجر يسيل منه الغسلّين.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ(7)﴾: أي لا يفيد القوة والسمن في البدن.

---

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص245.

[2]- زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، المكتبة الالكترونية: مكتبة الكتب، ط3، 1404هـ، ص133.

[3]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981، ص551.

[4]- المرجع نفسه، ص552.

كل هذه الآيات هي إخبار من المخاطِب الله عزّوجل إلى المخاطبين عباده عما يلقاه الكافر من جزاء في ذلك اليوم، وكلها حجج ذات وصف دقيق تجعل الصورة التي أرادها الله سبحانه وتعالى وهي الترهيب والوعيد أن تتشكل في ذهن المتلقي (بوصفه باتوسا)، فيتأثر ويتجنب ما قد يلحقه من الجزاء وهو العذاب.

أهوال يوم القيامة وما يلقاه المؤمن من نعيم: أما في الآيات الآتية وصف الله عزوجل الحال الذي سيكون عليه الأخيار من عباده:[1]

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ(8)﴾: ويقصد بها وجوه المؤمنين يوم القيامة مشرقة لما هم فيه من نعيم.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)﴾: قد رضيت عملها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10)﴾: رفيعة بهية في الغرفات آمنون.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً(11) ﴾: لا يسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12)﴾: أي سارحة وليس المراد بها عين واحدة بل عيون جاريات.

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13)﴾: جمع أسرة ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السُّمك عليها الحور العين.

﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14)﴾: أواني للشرب معدة موضوعة لمن أرادها من أربابها.

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(15) ﴾: وسائد مصفوفة إلى بعضها البعض.

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(16) ﴾: زرابي هنا وهناك لمن أراد الجلوس عليها.

كذلك هو الحال في هذه الآيات الكريمات يخاطب الله عزّوجل في هذا الجزء من السورة عباده عما تلقاه الفئة المؤمنة منهم، فيحصل التصديق جرّاء لما قدم لهم من أوصاف حول نعيمهم، والفئة

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999م، ص386.

المخاطبة وإن لم تكن حاضرة في النص إلا أن هناك تواصلا "فالتصور البلاغي للإيتوس يقتضي النظر إليه بوصفه نتاج حوار بين متكلم ومخاطب، بكل ما يقتضيه من تقريب المسافة بين طرفي التواصل، والظهور بالمظهر الذي يحمل المخاطب على الإقتناع، فإنّ المسافة اللامحدودة بين منزلة الذات الإلهية وبين منزلة المخاطب تجعل الحجاج في النص الديني المقدس يتميز عنه في باقي الخطابات البشرية، فالمخاطب المؤمن في النص القرآني لا يملك حرية الاختيار أمام خطاب يملك فيه المتكلم سلطة مطلقة. وفي هذه الحال ينبغي أن ننظر إلى الإيتوس في النص القرآني بوصفه ضربا من الحجاج القسري الذي يقوم على الترغيب والترهيب"[1]، وهذا ما تضمنته السورة من الآية رقم (1) إلى الآية رقم (16).

التذكير بقدرة الله في خلقه:[2]

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)﴾: أي أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تفكّر واعتبار إلى الإبل-الجمال- كيف خلقها الله خلقا عجيبا بديعا يدّل على قدرة خالقها، من ذلك انقيادها لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الرّكوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها.

في هذه الآيات دلالة واضحة على حضور الذّات الإلهية، فالدّعوة إلى التدبّر والتفكّر في مخلوقاته حجة واضحة ودلالة على وجوده ووحدانيته، ونشير في هذا الصدد إلى أنّ "حضور الذات الإلهية في النص القرآني، أي بما قاله الله عزّوجل عن ذاته تتشكل تارة بواسطة الإحالة إلى الذّات عبر أقوال في صيغتي ضمير المتكلم أو ضمير الغائب، أي بما قاله الله عزّوجل عن ذاته، وبالصّفات التي أسندها إليها وهو ما اصطلح عليه بالإيتوس المقول"[3]، أما في سورة الغاشية وبالتحديد في الآيات

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص247.

[2]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص553.

[3]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص247.

التي ذكرناها سابقا فإن الذات الإلهية حضرت في النص من خلال الرجوع إلى دلائل قدرة الله ووحدانيته ووجوده.

التذكير بالرجوع إلى الله للحساب والجزاء: ورد في أواخر سورة الغاشية آيات تضمنت عبارات التذكير بيوم القيامة وهو يوم يرجع فيه الناس جميعا إلى الله عزوجل هذه الآيات هي:[1]

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21)﴾: أي عظهم يا محمد وخوّفهم ولا يهمنّك أنّهم لا ينظرون ولا يتفكرون فإنما أنت واعظ ومرشد.

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ(22) ﴾: أي لست بمسيطر عليهم ولا قاهر لهم حتى تجبرهم على الإيمان.

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ(23) ﴾: أي من أعرض عن الوعظ والتفكير وكفر بالله العلي القدير.

﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24)﴾: أي فيعذبه الله بنار جهنم الدائم عذابها.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25)﴾: أي إلينا وحدنا رجوعهم بعد الموت.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (26)﴾: أي ثم علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم.

يَعد الله عزّوجل في آخر سورة الغاشية فئة الفجّار بالعذاب وما سيلقونه من عناء وبلاء منه جلّ في علاه، وقد اختار الله عزّوجل في هذه الآيات صفات منها المنتقم ممن آمن بغيره وربما تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾، وكذا كونه وعدهم بالرجوع إليه بعد مماتهم فإنه المعيد لهم ليحاسبهم حساب الحق فهو حسيب رقيب، كل هذه الصفات التي تتعلق بالذات الإلهية هي صفات ملموسة حقيقية ،إذ "يفترض في الحديث عن مفهوم الإيتوس الدّيني أو عن الصورة التي تشكلت بها الذّات الإلهية في النص القرآني نفي ثنائية «الإيتوس الخطابي» و «الإيتوس ما قبل الخطاب»، أي نفي أن يفصل المتلقي في تمثله للذات الإلهية بين ذات ملموسة توجد في العالم الخارجي للنص باعتبارها كائنا يشغل حيّزا في الكون، وبين صورتها الخطابية باعتبارها مظهرا مشكلا

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص554.

بوساطة المكونات اللغوية، لأنها ثنائية تتعارض مع العقيدة الاسلامية التي لا تقوم على الفصل بين الوجود الحقيقي (l'etre) للذّات الإلهية، وبين مظهرها الخطابي (le paraitre)، فالمظهر الذي يتجلى به الله عزّوجل هو وجوده، والصّفات التي يحاجج بها هي حقيقته، وبناءً عليه تنتفي تلك الثنائية المشار إليها عند البلاغيين والتداوليين ومحللي الخطاب، ففي النص القرآني لا وجود سوى لإيتوس خطابي تندمج فيه حقيقة الذات الإلهية المتكلمة بمظهرها"[1] الذي يتلاءم مع ما صرحت به من خطابات.

في هذا السياق دائما نشير إلى "أننا نجد في أي نص منطوق أو مكتوب الطرف المنشئ للخطاب (منتج الخطاب) والطرف المتلقي له أو المستهلك للخطاب، غير أن المنتج للخطاب هو الذي يخلق خطابه إلى جانب خلقه لمتلقيه، إذ يجعل له حدوده وصورة مميزة تتلاءم مع جريان الحديث بينهما، فالخطاب موضوع من إنتاج الذّات المنتجة على أساس صدوره عن هذه الذات بوساطة اللغة التي تحمل ما يرغب فيه المرسل المتكلم من كلام: أمر، استفهام، إعلان...ويثير في المتلقي سلوكا مطابقا فيحدث ما يسمى بمثير واستجابة"[2]، أو بمصطلح آخر الفعل ورد الفعل هذا عن علاقة الإيتوس بالباتوس.

أما عن علاقته باللّوغوس فإنه حتما يخضع للمقام إذ لا شك أن "انتقاء المتكلم لصفاته وأفعاله التي يظهر بها في الخطاب يخضع للمقام التواصلي الحجاجي، وهذا يفترض أن الصفات والأفعال التي تجلت بها الذات الإلهية في النص القرآني خضعت لمقتضيات المقام والاعتبارات الخطابية، والحق أنه ليس في هذا المبدأ أي تعارض مع العقيدة الإسلامية، لأن الأمر يتعلق باختيار ما يمكن قوله في سياق معين وليس بإحداث صفة، أي اختيار صفات للتأثير وهي صفات قائمة وليست محدثة"[3]، وفي سورة الغاشية استعمل الله سبحانه وتعالى الألفاظ التي تتناسب مع كل أسلوب سواءً أكان ترغيبا أم ترهيبا

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص246.

[2]- ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ص97.

[3]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص247.

فكانت العبارات من قبيل: خاشعة، تصلى نارا حامية، طعام من ضريع، لا يغني من جوع، وُظفت في المقام المناسب لها،وهوتعبير عما ستلقاه الفئة المنافقة من مذلّة وعذاب وإهانة.

كذلك هو الحال بالنسبة للفئة المؤمنة التي وصف الله سبحانه وتعالى وجوههم بالناعمة (وجوه يومئذ ناعمة)، (في جنة عالية)، (فيها عين جارية)...، وهي ألفاظ وعبارات محبوبة إلى أذن المتلقي تجذبه لسماعها، على عكس ما توجه به جلّ في علاه لأصحاب الوجوه الخاشعة من ترهيب ووعد ووعيد.

2.3. الباتوس في سورة الغاشية:

إذا علمنا أن "الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا"[1] فإنه لا يصح لنا الحديث عن الإيتوس في الخطاب الإقناعي باعتباره صادرا من متكلّم دون الحديث عن الباتوس باعتباره "لفظ عام يدّل على مجموعة من الأهواء التي يثيرها الخطيب في السامع لحمله على قبول دعواه أو وجهة نظره، وتعدّ إثارة أهواء المخاطب (الباتوس) إحدى الاستراتيجيات الخطابية الحجاجية الثلاث التي تناولها **أرسطو** في نظريته البلاغية"[2]، وقد أشرنا لهذا سلفا فهو وسيلة الإقناع الثانية وقد "لخص **أرسطو** حديثه عنه قائلا: هناك إقناع بواسطة السامعين حين يدفعون بواسطة الخطاب إلى الإحساس بانفعال ما لأننا لا نصدر أحكامنا على نفس الشاكلة بحسب ما إذا كنّا مملوئين غمّا أو فرحا، ودّا أو كراهية"[3].

وبهذا فإن الممارسة الخطابية عموما "تقتضي ثلاثة عناصر هي المتكلم والمخاطَب وموضوع الخطاب أو الكلام، ويمكن تعويض هذه التسميات بأخرى، متمتعة بقدر من الاصطلاحية فنقول: الباث والمتلقي والمرجع، ولعل **أرسطو** من أوائل من استعملوا هذه الصيغة غير أنه استعمل مقابل هذا

[1]- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون، وأرسطو، وشاييم بيرلمان، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص11.

[2]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص257.

[3]- الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص215.

المصطلحات التالية: الإيتوس، الباتوس، اللوغوس، غير أن اختلاف المصطلحات يخفي هنا اختلاف في المفاهيم، ولكن فلنسلم بدءا بأن الإيتوس يقابل المتكلم، والباتوس يقابل المخاطِب واللوغوس يقابل الموضوع أو الخطاب"[1]، ولكن ليس بصورة متطابقة تماما، فمثلا الباتوس عبّر عنه **أرسطو** بأنه الحالة التي ترك عليها المتكلم مخاطبه سواءً كان ذلك الانطباع المتروك إيجابيا أم سلبيا.

يشكّل الباتوس إحدى أهم الاستراتيجيات الخطابية الحجاجية في النص القرآني كونه عنصرا أساسيا من أركان العملية التخاطبية، فالخطاب القرآني يتوجه بمجموعة من الحجج والأدلة والبراهين للناس حتى يهتدوا إلى الحق فيحدث بذلك الإقناع والتأثير لدى المستمع فيسمى هذا باتوسا.

أشرنا فيما سبق إلى الإيتوس في سورة الغاشية وسنشير الآن إلى الباتوس وكل ما تعلق بما تركته هذه الآيات الكريمات في نفس السامع، والتي يمكن وصفها مجموعة من الانفعالات التي تركها الخطاب القرآني المتمثل في سورة الغاشية في نفس متلقيه أو قارئه.

ونبدأ بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ الآية رقم (1) سورة الغاشية. تناولنا هذه الآية فيما سبق على أنها استفهام غير أنه لا ينتظر من وراءه إجابة من طرف المستمع بل هو "استفهام التشويق إلى استماع الخبر، وللتنبيه والتفخيم بشأنها، أي هل جاءك يا محمد خبر الدّاهية العظيمة التي تخشى الناس فتعمهم بشدائدها وأهوالها وهي القيامة"[2]، فالباتوس هنا هو الحالة التي سيكون عليها السامع بعد سماعه هذا الاستفهام التشويقي، بحيث أثار انفعالاته بمعرفته لما سيحدث في هذا اليوم العظيم من أهوال وأحداث.

يشير **محمد مشبال** إلى أن الباتوس هو: "الأحوال التي يكون عليها السامعون عندما يثير الخطاب افعالاتهم، هذه الأخيرة –الانفعالات– هي كل التغيرات التي تجعل الناس يغيّرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم، وتكون مصحوبة باللّذة والألم مثل: الغضب، والرحمة، والخوف، وكل الانفعالات

[1]– محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، ص12.

[2]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص551–552.

المشابهة وأضدادها"[1]، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (6) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (7)﴾ سورة الغاشية، كلها آيات مبنية على ترهيب وتهويل المستمع المتمثل في الفئة المكتبرة عن عبادته عزّوجل، والوصف الدقيق لهذه الفئة والإخبار عما سيحلّ بهم سيترك لا محالة تأثيرا على متلقي هذه الآيات الكريمات.

فالخطاب الذي حمل عبارات وألفاظ من قبيل "وجوه ذليلة خاضعة مهينة، تصلى نارا حامية مسعرة شديدة الحرّ، طعامهم من ضريع ..."[2] يحدث باتوسا دون شك، فكلها معان توجه أهواء المخاطَب بل وتؤثر في نفسيته، فتبعث فيه الخوف وكل الانفعالات المشابهة لها، كتجنب الوقوع في المعاصي والرهبة من عذابه عزّوجل، والاقتناع بوجود الله ووحدانيته ووجوب عبادته، وأنّ الإعراض عن طريقه مهلكة لصاحبه.

- أما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (8) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) ﴾ كلها آيات يخبر فيها الله عزّوجل المؤمنين بما سيحضون به، وما يتبادر في بادئ الأمر لدى السامع هو أن هذه الآيات معطوفة على الآيات الأولى الموّجهة للمنافقين من عباده، وفيما يلي توضيح لذلك:

أحوال البررة	أحوال الكفرة
وجوه يومئذ خاشعة	وجوه يومئذ ناعمة
عاملة ناصبة	لسعيها راضية
تصلى نارا حامية	في جنة عالية
تسقى من عين آنية	فيها عين جارية

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص258.

[2]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص552.

فكما وصف الله عزّوجل جهنم وما فيها من أهوال "وصف محاسن الجنة وما فيها من أثاث وقصور، فضمير فيها عائد للجنة باعتبار أن ما في قصورها هو مظروف فيها بواسطة"[1]. وليس الحديث والإخبار بالتفصيل عن أحوال كل صنف (مؤمنين وغير مؤمنين) يوم الغاشية إلا بهدف إقناع السامع وترغيبه فيما عليه فعله حتى يكون من أصحاب الجنّة، وقد صدق قول القائل « لكل مقام مقال»، فلدى حديثه عزّوجل عن جهنم وما هو موجود بها نجد الألفاظ المرهّبة والمنفّرة منها، في حين نجد أساليب الترغيب والتحبيب إلى أذن السامع وأهواءه باستخدام ألفاظ وعبارات مؤلفة للقلوب في الأوصاف المتعلقة بالجنة، علما أن كل من الترغيب والترهيب له وقع في نفس المتلقي للخطاب. وهنا تتجلى علاقة الخطيب بالمستمع "في بسط الخطاب للمسافة الفاصلة بينهما، وتسوق العملية التواصلية نحو الاعتقاد بالقضية موضوع المحاجة، أو تعديل رأيه بصددها، والخطاب في الحالتين يحثّ على العمل بمقترحه ويفرز بعدا تفاعليا بالضرورة، بما أن مجال القول هنا ليس إلزاميا، أو أنه يبدو كذلك"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾ يخبر الله عزّوجل المؤمنين بما سيلقونه من جزاء ونعيم في الدّار الآخرة كما أشرنا سلفا، حتى أنه يصف لهم ما في الجنة من أسرة وأكواب...وهو تذكير في الوقت نفسه للكفرة حتى يحدث فعل التأثير على عقولهم فيهتدوا إلى طريقه وهو طريق الحق.

وقد "أعيد قوله «فيها» دون أن يعطف «سرر» على «عين» عطف المفردات، لأن عطف السرر على عين يبدو نابيا على الذّوق لعدم الجمع بين عين الماء والسرر في الذهن، لولا أن جمعها الكون الجنة فلذلك كرّر ظرف «فيها» تصريحا بأن تلك الظّرفية هي الجامع، ولأن بين ظرفية العين

[1]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص310.

[2]- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص22.

الجارية في الجنة وبين ظرفية السرر وما عطف عليه من متاع القصور والأثاث تفاوتا، ولذلك عطف وأكواب، ونمارق، وزرابي، لأنّها متماثلة في أنّها من متاع المساكن الفائقة"[1]والقصور الفخمة.

في هذا السياق نستحضر إحدى قواعد تشكيل الأهواء والتي هي "وصف الأشياء والأفعال المثيرة والناس المتأثرين، وتفخيم هذه المعطيات المثيرة باستعمال لغة تميل إلى إذكاء نار الوقائع المشينة والقاسية والشنيعة، بل يعمد الوصف العاطفي إلى إضفاء البعد الدرامي على الأشياء العادية وجعلها مثيرة، وقد يعمد الخطيب في إنتاج الأهواء إلى إقامة تماثل بين الحالة الحاضرة وحالة أخرى مشهورة"[2]، وربما يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾، وهي حالات مشهورة استدّل بها الله عزّوجل على قدرته في الخلق "فإذا نظرنا إلى الإبل فإنّها في غاية القوة والشدّة تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرها، ويشرب لبنها، وقد نبّه الله عزّوجل بالإبل لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وإلى السماء كيف رفعها الله عزّوجل على الأرض هذا الرّفع العظيم، ولو تدبّرنا في الجبال كيف نصبت أي جعلت قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل ما فيها من المنافع والمعادن، كذلك هو الحال إلى الأرض كيف سطحت وبسطت ومدّت ومهدت"[3] لأدركنا أن الله عزّوجل إنّما يستشهد بهذه الدلائل الخلقية للتذكير بها من جهة ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾، ومن جهة ثانية ليحدث التأثير في باتوس السامع، فينفعل هذا الأخير بصور عاطفية مختلفة كالخوف، وخشية الله، والحب، والرغبة في العيش بفردوس الجنة، والرّهبة من لقائه وعذابه.

يشير **محمد مشبال** إلى أنّه "من صور بناء الباتوس أو الوسائل الخطابية اللّسانية منها والسيميائية التي تسمح ببعث الأهواء، الظهور بمظهر الهوى أو الانفعال الذي يروم توصيله أو إثارته في المخاطب، وهي استراتيجية تستنفر عدة وجوه بلاغية كالاستفهام والتعجب التي تقوم شاهدا على

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص301.

[2]– محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص268-269.

[3]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص387.

حقيقة انفعال الذات المتكلمة، ويقول **ميشال لوجيرن**: إن أفضل وسيلة لإثارة الأهواء في السامعين هي أن يشعر بها الخطيب نفسه حتى وإن كانت غايته تأثيرية وليست تعبيرية"[1]، فهناك علاقة بين الباتوس والإيتوس "باعتبار أن المتكلم متضمن في هذه العملية فكيف نميّز بين الإثنين؟ إنّ للإيتوس أيضا بنية عاطفية حيث إن الهوى المتجلي في الخطاب ينعكس بالضرورة على المصدر الذي اضطلع بتشكيله، وهذا من شأنه أن يقيم أول صلة بين الإيتوس والعواطف. إن المتكلم يشعر بما نشعر به نحن"[2] لذا يثير في السامع بل ويستثيره، فهو يروم إقناعه بقضيته.

وبما أنه يمكننا تعداد سورة الغاشية خطابة دينية من الله جل في علاه توجه بها لفئات مخصوصة من عباده فإن أهم مانجده في نصوص القرآن عامة و سورة الغاشية خصوصا مايلي:[3]

- الدعوة إلى الطاعة والاجتهاد في أداء الواجب الديني.
- الوعد بالجنة وحسن الثواب.
- التهديد بعذاب الله ونقمته وكذا الوعيد بنار جهنم للعصاة من عباده.

هي من أهم القضايا التي تضمنتها سورة الغاشية، والتي عمد فيها الله عزّوجل "اتفاقا مسبقا بينه وبين المخاطب على جملة من الأفكار المتعلقة بزوال الدّنيا وبقاء الآخرة، وهي أفكار سائدة في الثقافة العربية الإسلامية، وتشكل جزءًا من المتخيل الدّيني الإسلامي للمستمعين"[4]، وحسبنا أن نشير هنا إلى نوعين من الباتوس يتعلق الأول عند سماع هذه الآيات الكريمات لأول وهلة، بعد نزولها على سيد الخلق وقراءته لها على قريش آنذاك، ويتعلق الباتوس الثاني بشخص ولد في بيئة إسلامية بالفطرة يحمل مكتسبات حول العقيدة الإسلامية وأهم مبادئها، فهنا نلحظ اختلاف في أهواء السامعين

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص268-269.
[2]- المرجع نفسه، ص269.
[3]- ينظر:محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص58-59.
[4]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص297.

مثلما هناك أيضا اختلاف في درجة إقتناعهم وتأثرهم، ولو أن خشية الله عزّوجل لا تتحدّد بمكان ولا زمان، إنّما هي إيمان قارّ في قلب كل مؤمن.

وقد نبّه **محمد مشبال** في كتابه «في بلاغة الخطاب الدّيني» إلى "ضرورة مراعاة أفهام المخاطبين كونها أحد أهم الأبعاد الحجاجية في الخطاب الدّيني التي يترتب عنها قوة حجاجية تؤدي إلى الإقناع"[1]، فعلى غرار النص القرآني –سورة الغاشية– نجد ثلة غير قليلة من العلماء والمفسرين الذين فتشوا في ثنايا الآيات القرآنية لتقديم شرح واف وكاف ومبسط لجمهور المتلقين "وأول مسألة تطفو على السطح هي مسألة اللغة التي تعتبر عماد الحجاج إن لم تكن الطريقة الوحيدة لتحقيقه"[2]، إذ هي ما يكوّن الخطاب ولبّه، وقد عبّر عنه **أرسطو** بمصطلح «اللوغوس» إذ هو الخطاب نفسه أو الكلام بحد ذاته.

3.3. اللوغوس في سورة الغاشية:

يعتبر اللوغوس وسيلة الإقناع الثالثة بعد الباتوس والإيتوس. يقول **أرسطو** في هذا الصدد: "فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنّها أنواع ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وصمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"[3] ومحل اهتمامنا هنا هو ما تعلق بالكلام نفسه.

أشار **أرسطو** إلى مفهوم اللوغوس في كتابه «الخطابة» باقتضاب بقوله: "...وأخيرا فإنّ الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"[4]، ولعلّه مزج في تعريفه هذا بين ما هو حجاج تأثيري نظري عقلي قائم على المنطق، وحجاج من نوع آخر شبه حقيقي ألا وهو الحجاج العاطفي، الذي يرتكز أساسا على أهواء

[1]– محمد مشبال، بلاغة الخطاب الديني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص123.

[2]– المرجع نفسه، ص123.

[3]– أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمان بدوي، الترجمة العربية القديمة، دار القلم، بيروت، ط1، 1979، ص10.

[4]– أرسطو طاليس، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986، ص30.

المخاطَبين. وقوله حجج مناسبة للحالة المطلوبة يوحي لنا بضرورة مراعاة أحوال المخاطبين قبل بناء اللوغوس أساسا.

إن اللوغوس هو: "الحجج المستندة إلى الخطاب نفسه أو الموضوع، ويشكل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي. إن هذا النوع من الحجج تربطه بالمنطق وشائج، بل إنّها تخضع إلى منطق قد تمّ تبسيطه عن قصد وتكييفه حسب مستوى الجمهور أي حسب الحسّ المشترك والرّأي الشائع"[1] بغرض إفهام المخاطبين.

في مدونتنا –سورة الغاشية– تمثّل اللوغوس في عرض الله عزّوجل أحوال الناس يوم الحشر مستنبطا إيّاها من أعمالهم، وقد وجّه جّل في علاه هذا الخطاب لصنفين من الناس المؤمنين منهم والمنافقين، فكان الخطاب للفئة الأولى خطاب ليّنا يدعو إلى طاعته عزّوجل، بينما حمل الخطاب الثاني التخويف من عدم الإمتثال لطاعة الله وجزاء ذلك.

وقد استدلّ الله عزّوجل بمخلوقاته في بناء اللوغوس، ودعا إلى ضرورة التأمل في طبيعة تكوينها ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ20) ﴾ هذا التدبر سيصل بالإنسان إلى الإقتناع والخضوع لأوامره عزّوجل، واجتناب نواهيه، وكذا الإستجابة لدعوته المتمثلة في توحيده وعبادته وحده لا شريك له. وحسبنا أن نشير هنا إلى أن الله قدّم هذه الأمثلة من الطبيعة كأدلة على وحدانيته في هذا الكون.

والمثال هو أحد مسائل الاستدلال "إذ يبقى في إطار الخاص بالخاص أي أننا نستخلص شيئا متعلقا بحالة خاصة إنطلاقا من حالة خاصة أخرى من نفس جنسها لكنها أشهر من الأولى، وقد وضّح **أرسطو** ذلك قائلا: وهو ليس علاقة جزء إلى كل ولا كل إلى جزء، ولا كل إلى كل، بل علاقة

[1]– عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص88–89.

جزء إلى جزء وشبيه إلى شبيه حين يندرجان تحت جنس واحد، ولكن أحدهما معروف أكثر من الآخر"[1].

أما في سورة الغاشية جعل الله عزّوجل مثال خلق الإبل يشبه ثبوت الجبال وهو شبيه أيضا ببسط الأرض وكيف أنها خلقت مسطحة بالإضافة إلى هذه الأمثلة الثلاث زيد مثال آخر وهو قدرة الله في رفع السماء عن الأرض ، وكلها تندرج ضمن القضية نفسها، القضية الكلية ألا وهي "إستعمال الأمثلة براهين، لأن الإقناع يتم بها باعتبارها بنية وشهادة وثيقة"[2] تسهم في بناء اللوغوس الحجاجي للمتكلم.

انطلاقا مما سبق فإن الخطاب الدّيني وضمنه الخطاب القرآني عموما وسورة الغاشية خصوصا "خطاب احتمالي مؤثّر ينشد التأثير في المتلقي الفعلي والمحتمل بإستمالته ومجادلته ومحاورته، أو هو بعبارة حازم القرطاجني حمل النفوس على فعل شيء أو إعتقاده أو التخلي عن فعله وإعتقاده، فلا هو خطاب إعتباطي عرفاني من حيث إستقالة العقل، ولا هو خطاب برهاني بمقتضياته الصلبة ومعطياته المخبرية، بل خطاب بلسان عربي مبين يقتضي التأثير في الجاحدين من كفار قريش وإقناعهم بأن النبي ليس بشاعر ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون، بل نبيّ ورسول من الله تعالى أوحى إليه القرآن من خلال الملك جبريل، وبلسان عربي قصد إخراج الناس كافة بدءًا بالعرب وإنتهاء عند العالمين من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام"[3] وهو طريق الحق.

وقد اختتم الله عزّوجل السورة بقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24) ﴾ وهو خطاب يحمل تذكيرا ووعيدا، فالتذكير طُلب من الرسول صلى الله عليه وسلم القيام به إذ عليه إبلاغ الناس برسالته،

[1]– الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص224.

[2]– محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص82.

[3]– إدريس جبري، البلاغة وحدودو التأويل في الخطاب القرآني عند محمد عابد الجابري، ضمن كتاب محمد مشبال بلاغة الخطاب الديني، ص171.

والفاء في «فَذَكِّرْ» "فصيحة تفريع على محصّل ما سبق من أول السورة الذي هو التذكير بالغاشية وما اتصل به من ذكر إعراضهم وإنذارهم، رَتّب على ذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالدّوام على تذكيرهم وأنه لا يؤيسه إصرارهم على الإعراض وعدم اذكارهم بما ألقى عليهم من المواعظ، وتثبيته بأنه لا تبعة عليه من عدم إصغائهم إن لم يُبعث مُلجئا لهم على الإيمان"، فالأمر مستعمل في طلب الإستمرار والدوام، ومفعول «ذَكِّرْ» محذوف هو ضمير يدل عليه قوله بعده «لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ»"[1] أي "لست عليهم بجبار"[2] إنما أنت نذير.

ثم إنّ "جملة «إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ» تعليل للأمر بالدوام على التذكير مع عدم إصغائهم لأن «إِنَّمَا» مركبة من (إنّ) و (ما) وشأن (إنّ) إذا وردت بعد جملة أن تفيد التعليل والقصر المستفاد (إِنَّمَا) قصر إضافي أي أنت مذكر لست وكيلا تحصيل تذكرهم فلا تتحرج من عدم تذكرهم فأنت غير مقصِّر في تذكيرهم وهذا تطمين لنفسه الزّكية"[3]. ولعلّ هذا التطمين علته هو أنّ "تنوع المخاطبين واختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية والحضارية وكذا درجات قبولهم أو رفضهم الدّين الجديد كان رفضهم من الطبيعي، لذلك تنوعت أساليب المخاطبة وآليات التأثير قصد الإذعان، فالإقناع وتلك من مهمات البلاغة وعلى سبيل المثال في القرآن المكي [13 سنة] يخاطب القرآن من خلال النبي صلى الله عليه وسلم المشركين والمسلمين القدامى والجدد، فيما يخاطب في القرآن المدني [10 سنوات] مخاطبين متنوعين وعلى رأسهم أهل الكتاب من يهود ونصارى(ومنافقين فئة مستجدة) وأعراب ومؤمنين صادقين وآخرين مرتدين وهكذا، والغرض من كل هذا هو إقناعهم بالدّين الجديد وتبعاته"[4] بلوغوس مختلف الأساليب لقضية واحدة وهي الدعوة إلى الله.

أما قوله عزّوجل: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ "هو نفي لخبر مستعمل في غير الإخبار، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم بأنه لم يكلّف لإكراههم على الإيمان، فالخبر بهذا النفي مستعمل كناية عن

[1]– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص306.

[2]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص388.

[3]– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنزير، ص307.

[4]– إدريس جبري، البلاغة وحدود التأويل في الخطاب القرآني عند محمد عابد الجابري، ص171-172.

التطمين برفع التبعة عنه من جراء استمرار أكثرهم على الكفر، فلا نسخ لحكم هذه الآية بآيات الأمر بقتالهم كون وجوب القتال جاء بتسلسل حوادث كان المشركون هم البادئين فيها بالعدوان على المسلمين إذ أخرجوهم من ديارهم، فشُرّع قتال المسلمين بحصد شوكتهم وتأمين المسلمين من طغيانهم"[1]. وبالتالي فإن التذكير بالتطمين في هذا السياق سيكون حجة عليهم يوم الحشر لا لهم.

ثم قوله عزّوجل:﴿ إلا من تولى وكفر(23) فيعذبه الله العذاب الأكبر(24)﴾ فكلها جمل يوجّه بها متلقي الخطاب نحو النتيجة الحتمية وهي العذاب، وقد وصف الله عزّوجل العذاب هنا بالعذاب «الأكبر» وهي صيغة تفضيل فلم يقل العذاب الكبير وقال الأكبر ليستدل المخاطب على أن العذاب المنتظر هو عذاب يتجاوز العقل في قوته.

وآخر آيتين من سورة الغاشية كانتا: ﴿إن إلينا إيابهم (25) ثم إن علينا حسابهم (26)﴾ والإيّاب معروف وهو الرجوع وفي معنى الآية إن إلينا إيابهم "أي مرجعهم ومنقلبهم"[2]، وهو أيضا "الرجوع إلى المكان الذي صدروا عنه أو خرجوا منه وإعادة خلقهم وإحضارهم لديه، وتقديم خبر إنّ على اسمها يظهر أنه لمجرد الاهتمام، تحقيقا لهذا الرجوع لأنهم ينكرونه وتنبيها على إمكانه، بأنه رجوع إلى الذي أنشأهم أوّل مرة واستعمال لفظ إلينا الذي أتى مركبا مع ضمير المتكلم «نا» دلّ في الآية على طريقة الإلتفات من خلال أسلوب التكلّم المستخدم ضمنه"[3].

ثم اختتمت السورة بعطف" ﴿ثم إنّ علينا حسابهم(26)﴾ بحرف «ثم» لإفادة التراخي الرتبي ذلك أن حسابهم هو الغرض من إيّابهم وهو أوقع في تهديدهم على التوالي، وأن تأخير عقابهم إنّما هو إمهال فلا يحسبوه انفلاتا من العقاب"[4] الذي يمثل في السورة جزاء الكافرين وهو نتيجة لحجج سبق ذكرها في هذا الخطاب القرآني، بالإضافة إلى أدلّة وُظفت واستدّل بها لإثبات وحدانيته عزّوجل

[1]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص307.
[2]- بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص389.
[3]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص308.
[4]- المرجع نفسه، ص309.

وقدرته والتي هي الأطروحة الأساس في السورة المدافع عنها. وهذه الأدلّة هي اللوغوس بحد ذاته على خلفية إعتباره الخطاب نفسه بما يحمله من حجج تستند إلى موضوعه بالأساس.

وننتهي إلى أنّ اللوغوس بإعتباره أحد آليات الحجاج الخطابي "هو الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الإستدلال، والبناء الحجاجي لا يوجد بمعزل عن استراتيجية الإيتوس الذي يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب أو هو الصورة التي يقدمها الخطيب عن نفسه، إذ يظهر كفئا وشريفا ويتكيّف عن المقامات فيكون شديدا أو مرحا، عنيفا أو متفهما، رحيما أو قاسيا، كما لا يوجد كل من اللوغوس والإيتوس بمعزل عن الباتوس كإستراتيجية ثالثة والذي هو مجموع الإنفعالات التي يرغب الخطيب في إثارتها لدى مستمعيه (رحمة، كراهية، غضب، خوف...)"[1].

إن هذه "الوسائل الثلاث متصلة ببعضها البعض في الخطاب الحجاجي، فهو لحظة إلتقاء المتكلم والخطاب والسامع لإنتاج الفعل البلاغي، إنها لحظة ينصهر فيها العقل بالوجدان أو اللوغوس والإيتوس والباتوس"[2]، هذا الانصهار يمرّر به المتكلم دعواه فيتحقق الإقناع لدى المستمع بوساطة حجج عقلية أثارها المخاطِب في نفس متلقيه فحرك نوازعه وأحاسيسه.

إن "الخطاب الحجاجي يسم موقف الخطيب اتجاه موضوع أو مجموعة من المواضيع، وهو موقف يحدد مكان الخطيب داخل التشكيلة الاجتماعية، ويتحدد دائما بالآخر كمرجع تحديدي يحدد قضايا الخطاب"[3] فيبنى على إثر آرائه مواقف تترجم للخطيب مدى قبول أطروحته والاقتناع بها، أو عدم حدوث ذلك.

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مكتبة الأدب المغربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ط1، ص18.

[2]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص76.

[3]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص91.

المبحث الثالث: الحجاج في اللغة – خطابات عبد العزيز بوتفليقة نموذجا –

1.مفاهيم الحجاج في اللغة:

يعود أول ظهور لمصطلح الحجاج في اللغة إلى اللغوي الفرنسي **أوزفالد ديكرو** فقد "أشار إلى الحجاج داخل اللغة من خلال كتابه «الحجاج في اللغة» الذي شاركه في تأليفه **جون كلود أنسكومبر**، إذ تركّزت الدّراسة في هذا الكتاب في أديم لساني بحث، ويحتوي على حجاج مختلف عند **بيرلمان** فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها، بينما الحجاج عند **بيرلمان** و**تيتيكا** من خلال الكتاب المعنون ب:. «مصنف في الحجاج traite d'argumentation» الذي شكّل ظهوره فتحا جديدا وأساسيا في عالم الخطابة الجديدة، قد مثّل نظرة منطقية للحجاج وكان حريصا على الظهور بمظهر المنطقي المتمكن من آليات التفكير وهذا ما ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره"[1] اللذين يعتبران محورا العملية التواصلية القائمة أساسا على الوظيفة الحجاجية.

إن نظرية الحجاج التي أرسى دعائمها **أوزفالد ديكرو** كما أشرنا سابقا "تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير وهي تحاول أن تبيّن أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشّر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وفي الظواهر الصّوتية والصّرفية والمعجمية والتركيبية والدّلالية"[2]، بمعنى أن نظرية الحجاج في اللغة هي دراسة كيفية تأثير المتكلم على المخاطبين من خلال دراسة شاملة لمستويات التحليل اللغوي انطلاقا من المستوى الصّرفي مرورا بالمستوى النّحوي والمعجمي وصولا إلى المستوى الدّلالي، فلربّما كان الحجاج على مستوى صوت أو صفته أو عاملا نحوي، أو رابط دلالي...إلخ.

[1]– عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع9، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013، ص271.

[2]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات صور الأوزبكية، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص8.

يعرّف كل من **ديكرو** و**أنسكومبر** الحجاج قائلين: "إن المتكلم إذ يحاجّ إنما يقدم قولا أوّلا «ق1» أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان والتسليم بقول آخر «ق2» أو مجموعة من الأقوال الأخرى، ويمثل «ق1» أي الحجة عند **بيرلمان** قضايا الانطلاق Les propositions du départ فالقول أو الأقوال المنطلق تكون صريحة، أما «ق2» أو النتيجة فقد تكون صريحة أو ضمنية implicite وأطراف الحجاج وأكثره اتقانا ما كانت النتائج فيه ضمنية. والمركّز بل والمفيد من كل هذا أن الحجاج هو ذلك الانتقال من «ق1» إلى «ق2» أي من المعطى إلى النتيجة على حدّ عبارة **تولمين** أو من المقدمات إلى الحقيقة باصطلاح **بيرلمان**"[1]؛ والملاحظ أن هذه التعريفات متطابقة من حيث المضمون لكنها مختلفة من حيث تسمية المصطلحات.

ومثال ذلك قول **عبد العزيز بوتفليقة:**"إن الجزائر التي واجهت الإرهاب بأمقت أشكاله وأبشعها بكل شجاعة وصمود، لمستعدة لمشاطرتكم ما استخلصته من تجربتها الأليمة من عِبر"[2]. انتقل المخاطب من القضية الأولى وهي: «مواجهة الجزائر للإرهاب بشجاعة وصمود وانتصار» وهو دليل وحجة على أنّ لها من المؤهلات مايجعلها مجال استفادة غيرها من الأمم التي تعايش ماعاشته أو تقاربها في ذلك، وهي القضية الثانية أو النتيجة التي سيصل المتلقي إليها بعد سماعه لهذا الخطاب،وقد جاءت هنا بصيغة صريحة«لمستعدة لمشاطرتكم ما استخلصته من تجربتها الأليمة من عبر».

إن هذا "الانتقال من «ق1» إلى «ق2» هو بؤرة التعريف التقني وهو ما عبّر عنه الباحثان **ديكرو** و **أنسكومبر** بفعل التوجيه L'orientation فما تحدثا عن الحجاج إلاّ وكان حدث التوجيه من «ق1» إلى «ق2» هو آلية التعريف، والتوجيه الذي يقصدانه هو ذاك الانزياح أو الحركة من وضع أول معلوم إلى وضع ثان قد يكون معلوما أي صريحا وغير معلوم أي ضمنيا، وهو النتيجة التي يروم الباث إذعان المتقبل لها، ثم إن التوجيه الذي صاغه الباحثان ليس بالمعنى الذي تحدّث عنه **بيرلمان**

[1]– عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، تقديم المنصف عاشور، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص27.

[2]– ابراهيم رماني، مختارات من خطب الرئيس عبد العزيز، ص771.

فيما يخصّ الموجهات التعبيرية Les modalités d'expression، ونلاحظ هنا هو أنّ التوجيه مع **ديكرو** كان بمعناه العام ومع **بيرلمان** بمعناه الاصطلاحي اللساني رغم ما بينهما من تشابه، إذ يمكن أن تحقق الموجهات التعبيرية توجيها معطى إلى النتيجة"[1].

يشير **أبو بكر العزاوي** إلى أنّ نظرية الحجاج في اللغة "قد انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها **أوستين** و **سورل**، وقد قام **ديكرو** بتطوير آراء وأفكار **أوستين** بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند **أوستين** و**سيرل** قد واجهتها صعوبات عديدة (عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية مثلا) فقد قام **ديكرو** بإعادة تعريف مفهوم التكليم أو الانجاز L'illocutoire مع التشبّث دائما بفكرة الطّابع العرفي للغة Conventionnel"[2]، والمقصود بعبارة الطّابع العرفي للغة هو أن اللغة التي يستعملها أفراد المجتمع الواحد إنّما هي من اصطلاحاتهم وتواضعهم مما يجعلها ذات خاصية اجتماعية.

يعرّف **ديكرو** الفعل الإنجازي بأنه "فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره"[3] لتحقيق وجهة حجاجية إنجازية محددة.

غالبا ما يتداخل مصطلح الاستدلال raisonnement مع مصطلح الحجاج argumentation بالرغم من "أنهما ينتميان إلى نظامين جد مختلفين، نظام ما نسميه عادة بالمنطق ونظام آخر هو نظام الخطاب، فالأقوال التي يتكون منها استدلال مستقلة عن بعضها البعض، بحيث أن كل قول منها يعبّر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضع من أوضاع العالم باعتباره وضعا واقعيا متخيلا، ولهذا فإن

[1]- ابراهيم رماني، مختارات من خطب الرئيس عبد العزيز، ص28.
[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص15-16.
[3]- المرجع نفسه، ص16.

تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها ولكن مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم، في حين أن الحجاج هو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"[1] على نحو يشدّ به المتكلم ذهن المخاطَب.

لقد اهتم **ديكرو** و **أنسكومبر** بظاهرة الرّوابط والعوامل الحجاجية، ذلك أن "نظرية الحجاج في اللغة التي اعتمدها ديكرو وأنسكومبر نظرية لسانية تهتم بالوسائل والإمكانات اللغوية التي تمدّنا بها اللغات الطبيعية لتحقيق بعض الأهداف والغايات الحجاجية فاهتمام الباحثين لم يكن منصبّا حول بناء الحجاج على الأسس الفلسفية أو المنطقية أو البلاغية ومن ثم لم ينشغلا بوقائع الإقناع، بل بحثا الدّور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع، ولذلك انتهيا إلى أن اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا كاملا في صميم بنيتها الداخلية، مسجلا فيها وليس عنصرا مضافا إليها، ومن ثم فمعنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي"[2]، هذا المعنى الذي يتشارك في تكوينه كل من الصوت والصرف والدّلالة والمعجم للحصول على تركيب حجاجي ذا طابع إقناعي.

في هذا السياق دائما يرفض **ديكرو** و **أنسكومبر** "التصنيف التراتبي/الخطي الذي تعتمده النظريات اللسانية التقليدية في مقاربتها للملفوظات، بحيث تقسّمها إلى مستويات متتالية تبدأ بالتركيب وتتبع بالدلالة وتنتهي بالتداول"[3]، إذ من خلال هذه المنظومة اللغوية المتكاملة تحضى العبارة الخطابية بقيمتها الحجاجية المراد تبليغها،كما لا ننسى أنه لمجموع القرائن التي تشكل أبنية هذه الجمل دور أساسي في كساء القوالب اللغوية وظيفة حجاجية،وتنقسم القرائن إلى روابط حجاجية وعوامل حجاجية:

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص17.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة ص95. (بتصرف)

[3]- المرجع نفسه، ص96.

2.العوامل الحجاجية: Les opérateurs Argumentatifs

قبل أن نتطرق إلى مفهوم العامل الحجاجي وذكر بعض هذه العوامل نشير إلى أنّه "ليس هناك تعريف أو تحديد أوّلي وقع بين أيدينا يسمها بكونها أنّها حجاجية، بل إنّ جلّ من درس الحجاج لم يتعرض لها، وإن تعرّض لها بطريقة عرضية أو غير مقصودة وغير متأنية على غير ما نجده في كتابات **بيرلمان** و**تولمين** و**بلونتان** و**ريبول** و**موشلار** ،والأمر يكاد يشمل أيضا كتابات كل من **ديكرو** و**أنسكومبر** الذين أخذنا كثيرا من مفهومهما للعامل الحجاجي"[1] بخاصة و نظرية الحجاج بصفة عامة.

إن العوامل الحجاجية "هي عناصر لغوية اسنادية نحوية أو معجمية، تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر والنفي والشرط... ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجية Potentialités لمحتوى الملفوظات وتحويلها"[2]، أو بتعبير آخر "إن الجملة عند **ديكرو** و**أنسكومبر** (أي المستوى الإعرابي والمعجمي) تتضمن وجهة حجاجية تحدّد معناها قبل أي استعمال لها، ولكن القول (أي استعمال الجملة في المقال) يفرض ضربا من النتائج دون غيرها، وهذا يستلزم أن القول لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلا بموجب الوجهة الحجاجية فيه، ومأتى هذه الوجهة الحجاجية هو المكوّنات اللغوية المختلفة للجملة التي تحدد معناها أو تضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية وهذه المكونات اللغوية هي التي تحدد طرق الرّبط بين النتيجة وحجتها"[3]، وهذا يدل على مدى فاعلية القرائن اللغوية الرّوابط منها والعوامل كونها تضفي صبغة حجاجية إقناعية على الجملة أو القول.

[1]– عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، الصفاقص، ط1، 2011، ص15.

[2]– عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ص100.

[3]– شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، اشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، منوبة، تونس، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص375.

العامل «لن...إلا...»:

فمثلا إذ عدنا إلى **قول الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة في القمة 09 لمنظمة المؤتمر الاسلامي الدوحة قطر 2000/11/14**:[1]

...لن يتأتى لإسرائيل السلام إلا بإعادة الجولان إلى سوريا، وإتمام الانسحاب من جنوب لبنان، والخروج من الضفّة الغربية وغزّة، والإعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين، بما في ذلك إقامة دولتهم وعاصمتها القدس وعودة كل اللاجئين إلى ديارهم.

يضم الخطاب الحجاجي الذي بين أيدينا مقدمات ونتائج أو ما يسمى بالمعطيات ونتائجها، غير أن النتيجة في هذا القول قد سبقت المقدمات بحيث أن حلول السلام على إسرائيل لن يتأتى إلى شريطة إعادة الاحتلال الصهيوني الجولان إلى سوريا، والانسحاب نهائيا من جنوب لبنان، وكذا الخروج من الأراضي الفلسطينية والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني.

وقد استعمل في هذا الخطاب العامل الحجاجي «لن» للربط بين مكونات القول من خلال نفي حلول السلم والسلام على الكيان الصهيوني ما لم تتحقق الشروط المذكورة في الجزء الثاني من القول التي دخل عليها الحصر مع العامل «إلا» (... إلا بإعادة الجولان إلى سورريا، و...، و ...،).

العامل «منذ»:

وفي خطاب آخر للرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بصفته وزيرا للخارجية سنة 1964م **بمناسبة إمضاء اتفاقية حول الصراع المالي الفرنسي 23 ديسمبر 1966م:**

[1]- ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص368-369

"**Les accords que nous venons de signer constituent les premiers fruits de négociations qui durent depuis le mois de mars dernier** ".[1]

إنّ الإتفاقية التي نحن بصدد إمضائها تشكل الثمار الأولى للمفاوضات التي استمرت منذ شهر مارس الفارط.

ما يظهر على مستوى هذا الخطاب هو احتوائه على مقدمة ونتيجة بصيغة صريحة غير ضمنية، فقوله: إن الإتفاقية التي نحن بصدد إمضائها هو مقدمة واضحة لمعرفة سابقة هي استمرار المفاوضات منذ شهر مارس الماضي، هذه المعرفة السابقة هي معلومة سابقة استدّل بها الخطيب كحجّة على نجاح هذه الإتفاقية كونها أخذت مدة أكبر في المفاوضات بين الطرفين.

وهذا ما جعل هذا الخطاب يصل إلى نتيجة مفادها أن إمضاء هذه الاتفاقية يشكل اللبنة الأولى للمفاوضات (...يشكل الثمار الأولى للمفاوضات...)، كل هذه الممارسة الحجاجية أتت بمساندة مجموعة من العوامل الحجاجية إلى جانب العامل منذ الظرفية،إنّ :التوكيدية.

ولتوضيح دور العامل الحجاجي نغيّر في المثال السابق:

- إن الاتفاقية التي نحن بصدد إمضائها تشكل الثمار الأولى للمفاوضات التي استمرت منذ شهر مارس الفارط ≠ إن الاتفاقية التي نحن بصدد إمضاءها لا تشكل الثمار الأولى للمفاوضات التي استمرت منذ شهر مارس الفارط.

عند إدخال العامل الحجاجي «لا» على المثال الثاني لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين عدا القيمة الإخبارية أو الإعلامية لهذه الجملة، فقد أثّر هذا التعديل على القيمة الحجاجية لكون النتيجة في الجملة الأولى والجملة الثانية تختلفان حتما.

[1]– L'âge d'or de la diplomatie algérienne 1963-1979, Centre national de documentation de la presse et d'information 2014, p12.

العامل «لم»:

وفي خطاب آخر للرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة في ذكرى مجازر 8 ماي 1945م بسطيف يوم 08 ماي 2012 بصفته رئيسا:

"لقد علمتنا منطقة سطيف على غرار كل مناطق وطننا بأنها عبر التاريخ قلعة من قلاع الصمود والمقاومة"[1] ≠ **لم** تُعلمنا منطقة سطيف على غرار كل مناطق وطننا إلاّ بأنّها عبر التاريخ قلعة من قلاع الصمود والمقاومة.

إن القول الأوّل مقبول تماما كونه سليما من النّاحية اللغوية، أما عن الخطاب الثاني فبنيته اللغوية تبدو غريبة وغير مألوفة نوعا ما، وهو خطاب معقد بالنسبة لمتلقيه بحيث ينبغي له أن يدقّق في تأويله، فهو يضمّ إمكانات حجاجية كثيرة، احتمال فهمها أوّل مرّة بعد سماعها ضئيلة، بخلاف القول (لقد علمتنا منطقة سطيف على غرار كل مناطق الوطن بأنّها عبر التاريخ قلعة من قلاع الصمود والمقاومة) يدعو فيه المتكلم إلى التذكير لما تعرض له شعب هذه المنطقة من مجازر واضطهاد من قبل المستعمر، وكذا جعل كفاح هذا الشعب رمزا من رموز السيادة الوطنية في نظر جمهور المخاطبين... بالإضافة إلى مفاهيم أخرى من هذا القبيل والتي يمكن إدراجها كحجج لها تأثير على المتلقين.

العامل «لا...إلا...»:

أما في هذا القول: "إن البلاد على أعتاب مرحلة مصيرية لا خيار لنا فيها إلا النجاح"[2]

فإن دخول العامل الحجاجي (إلا) يقلّص من مجموع الإمكانات كون النّجاح هنا في هذا القول هو الخيار الوحيد للشعب الجزائري الذي ما فتئ يتصدى لمن يتربص بالبلاد شرا.

[1]- زهرة الجزائر، عبد العزيز بوتفليقة، سلسلة رؤساء الجزائر، مؤسسة صونيا، وادي الرمان، الجزائر، مج10، ط1، 2013،ص 54.

[2]- المرجع نفسه، ص62.

وبهذا فإن الاختلاف بين القول (لقد علمتنا منطقة سطيف على غرار كل مناطق وطننا... والمقاومة)، والقول (إنّ البلاد على أعتاب مرحلة... لا... إلا...) يكمن في استعمال العوامل الحجاجية داخل الجملة الواحدة، بالإضافة إلى أن سياق القول في الجملة الأولى سياق إخباري مباشر، بينما القول الثاني فإنه لا يحتمل التأويل كون أداة الحصر «إلاّ» تضيّق من الاحتمالات الحجاجية، ذلك أن "العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكوّن لقول ما. وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلاّ وجل أدوات القصر"[1] وقد أشرنا لهذا سلفا.

فإذا أخذنا المثالين الآتيين:

- "هناك نوع من الحصار أصبحت الشعوب تتضرر منه أكثر من الحكام"[2].
- هناك نوع من الحصار أصبحت الشعوب تتضرر منه أقل من الحكام.

باعتبار «أكثر » و «أقل» عوامل حجاجية فإن كلا منهما يشير إلى شيء محدد بنسبة معينة هي أقل من أو أكثر من، ففي المثال الأول الضرر ملحق بالشعب أكثر من الحكام وهو يقصد في خطابه هذا الشعب الفلسطيني الذي يضرب في عقر داره أمام لا مبالاة الرأي العام العربي والإسلامي والدولي، إذ أنه من المفروض على الحكام أن يوصلوا صوت هذا الشعب المظلوم وإن كان المتأثر بالدرجة الأولى بهذا الاضطهاد هو الشعب الفلسطيني لا حكامَه الأقلّ منه تأثرا.

أما المثال الثاني فإنّه على العكس من الأوّل، فالحكام هنا هم الأكثر تضرّرا من الحصار لكونهم ممثلي الشعب، إذ أن هناك نوع خاص من الضغوطات الخارجية تفرض عليهم، ولا يمكن عرضها على الشعب الفلسطيني ولا إخباره بها.

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[2]- ابراهيم رماني، مختارات من خطب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ص729.

والملاحظ من خلال هذين المثالين أن كلاّ من العاملين «أكثرَ وأقل» ساهما في تحديد المعنى الحجاجي لمضمون كل من الخطابين الأول والثاني وهو ما يسمى بالقيمة الحجاجية.

دور العوامل الحجاجية في تحديد المعنى الحجاجي/ القيمة الحجاجية:

من المعلوم أن الذي "يُعمد في بناء الخطاب وتوالي الأقوال وتسلسل الجمل هو القيمة الحجاجية للملفوظ، ذلك أنها توجه الخطاب وتحدد المسار الذي ينبغي أن يسير فيه، فبعض الملفوظات لها قيمة حجاجية هي في الواقع عكس قيمتها الإخبارية، أي أنّ بينها تناقض أو تعارض، ويتعلق الأمر بالملفوظات المشتملة على بعض العوامل الحجاجية: كاد، تقريبا، ما... إلاّ، لا... إلاّ، أو بعض الأفعال: أوشك، قرب... إلخ"[1].إذ أن وجود العامل الحجاجي إلى جانب الملفوظ هو ما كسى الخطاب قيمة حجاجية وساهم في تحديد معنى الملفوظات من الناحية الحجاجية كما يمكن لنا اعتبار هذه العوامل مورفيمات .وهذا ما أكده جاك موشلار في تعريفه للعامل بقوله:

L'opérateur argumentatif : « est un morphème qui appliqué à un contenu transforme les potentialités argumentatives de ce contenu »[2]

"العوامل الحجاجية هي مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحوّل وتوجّه الامكانات الحجاجية لهذا الملفوظ"[3]، أي أن هذه المورفيمات تحول المعنى حسب وظيفته داخل الجملة وتسهم في بناء تسلسلات خطابية محددة.

[1]– ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، إشراف السعيد بن براهيم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة وآدابها، 2009-2010، ص162.

[2]– J. Moeschlar, argumentation et conversation, élément pour une analyse pragmatique du discours, vol01, edit] HATIER-CREDIF], paris, 1985, p62.

[3]– قدور عمران، محاضرات في تحليل الخطاب، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية، بوزريعة ، الجزائر، مصلحة التكوين عن بعد، دط، د ت، ص83.

3.الروابط الحجاجية:

إن "المقصود بأدوات الرّبط أو الوصل عادة الوحدات اللغوية/ المورفيمات التي تقيم علاقة بين جملتين، وقد يتعلق الأمر بالظروف Adverbes (مع، ذلك، رغم...) والعطف coordination (و، ف...) والاتباع/ الصلة subordination (لأن، بما أن...)، فهذه الأدوات تؤدي دورا ذا بال من حيث إنها تضفي الاتساق على النص"[1] وانسجاما في المقاصد والمعاني.

أما من الناحية الحجاجية فإن الروابط الحجاجية connecteur argumenatatifs هي التي "تصل المقدمة بالاستنتاج، وتتدخّل في توجيه دلالة المحاججة"[2]، ذلك أن "الرابط الحجاجي مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف، الظروف) يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية"[3]، وهو ما يترجم قول **جاك موشلار** حول العامل الحجاجي:

"**Le connecteur argumentatif** :est un morphème (de type conjonction de coordination, conjonction de subordination, adverbe, locution adverbial… etc) qui articule deux énoncés ou plus intervenant dans une stratégie argumentative unique"[4].

ويضم هذا التعريف الروابط الحجاجية من قبيل:

Les conjonctions de coordination : et- ou- mais- donc- or- car- ni.

Les conjonctions de subordination : que- comme- lorsque- puisque- quand- si.

Les adverbes : hier- ici- maintenant- tout à coup- et à mesure, ne … jusque-là.

Des mots terminés par ment : rapidement- lentement…

Locution adverbiale : à peu près- tant de suite- quelque part- tout à coup.

---

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص25.

[2]- آمنة بلعلي، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص117.

[3]- قدور عمران، محاضرات في تحليل الخطاب، ص84.

[4]- J. Moeschlar, argumentation et conversation, élément pour une analyse pragmatique du discours, p62.

Et : "la Tunisie et l'Algérie donneront une impulsion nouvelle à la réalisation du Maghreb[1]".

Que : "une solidarité véritable entre ces pays ne peut ignorer le fait économique, surtout qu'ont on sait que l'avenir des pays en voie de développement dépend en premier chef la réussite de sa promotion économique et sociale[2]"

Les adverbes :[3] Aujourd'hui, des armées arabes ont été défaites par la supériorité écrasante du matériel de guerre, mais cela…

Tout ici réunis, nous appartenons à une communauté ou l'espoir est plus normal que le pessimisme

يميّز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط في اللغة العربية:[4]

أ- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ...) والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي...).

ب- الروابط التي تدرج حجج قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما...) والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما...).

نمثل لهذا الروابط من أقوال الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة:

[1]- L'âge d'or de la diplomatie algérienne 1963-1979, p67

[2]- Ipid, 88

[3]- Ipid, p78/ p34.

[4]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص30.

مثال 1:

أ- "...إن المكانة التي يمنحها لها الدستور والقوانين دون قيود، فالمرأة متواجدة في جميع أسلاك المهن وكثيرا منهنّ في القضاء والتعليم والطبّ وحتى في الجيش والشرطة"[1].

ب-إن المكانة التي يمنحها لها الدستور والقوانين دون قيود، فالمرأة متواجدة في جميع أسلاك المهن وكثيرا منهن في القضاء والتعليم والطب وفي الجيش والشرطة.

المثالان كلاهما يضم حجة ونتيجة، فتواجد المرأة في جميع القطاعات المهنية دليل على مدى المكانة التي منحها لها القانون والدستور، كما أن الخطابين يخدمان نتيجة واحدة غير أنه في المثال الأوّل هناك رابط حجاجي من نمط الروابط التي تدرج حججا قوية وهو «حتى»، فدور الرابط في هذا الخطاب تمثّل في تقوية الحجة على غرار الخطاب الثاني الذي لم يدرج فيه الرابط حتى، فالحجتان وإن خدمتا نفس الهدف أو النتيجة فإن أي تغيير أو حذف لرابط من نفس النوع سيجعل درجة القوة والضعف الحجاجية متفاوتة من حيث بناء الخطاب .

وبهذا "فإن الرابط الحجاجي هو صريفة تصل بين ملفوظين أو أكثر تمّ سوقهما ضمن استراتيجية حجاجية بعينها"[2]، ومثال هذه الروابط في اللغة العربية هو ما ميّزه **أبو بكر العزاوي** من أنماط كما ذكرنا سلفا (حتى، بل، لكن، لاسيما، ذلك، و، مع...).

4.معيار عدد المتغيرات الحجاجية:[3]

نقصد بالمتغيرات الحجاجية الملفوظات التي يربط بينها الرابط الحجاجي، فالرابط الحجاجي إما يكون محمولا ذا موقعين أو ذا ثلاثة مواقع.

[1]- زهرة الجزائر، عبد العزيز بوتفليقة، ص38.

[2]- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى اللسانيات الحجاجية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص104.

[3]- المرجع نفسه، ص105، بتصرف

ففي الحالة الأولى (أي في حالة الرابط ذي الموقعين) يمكننا تصوير هذا النمط من الروابط بالصيغة الآتية:

[طا (ب، ن)] حيث «طا»= رابط حجاجي و «ب» و «ن» متغيران حجاجيان يربط بينمها «طا».

ومن أمثلة هذا النوع من الروابط:

أ- "عادت الجزائر إلى الساحة العربية، **لكي** تضطلع بدورها كطرف نشط فاعل يُعتدّ برأيه ويسمع له"[1].

ب- "إنني أدعو بني وطني وبناته إلى التجنيد مجددا، **لـ**رفع تحديات صيرورة الوطن"[2].

ج- "بودّي أن أغتنم هذه المناسبة **لـ**أعلن مبادرة الجزائر بإنشاء مركز امتياز للتكوين و**لـ**دعم الأمن النووي"[3].

تشير الصريفات (لكي، لِـ، لِـ) التي جاءت في هذه الملفوظات إلى روابط حجاجية ذات موقعين، ذلك أن المتغيرين اللذين يربطان بينهما يؤدّيان وظيفة الحجة أو النتيجة، ولا يتوقفان على إدخال مكوّن ثالث في صورة مضمرة ليؤدي هذا الدور (دور الحجة أو النتيجة).

ففي المثال الأول (أ) كانت الحجة من عودة الجزائر إلى الساحة العربية هو اضطلاعها بدور فعّال كونها من الدول التي يعتدّ برأيها ويسمع لها، هذا الدور هو النتيجة في هذه الجملة (وهو في نفس الوقت المتغير الحجاجي الثاني).

كذلك هو الحال في المثال الثاني (ب) والمثال الثالث (ج) فالمتغيّر الأول (الحجة) متعلق بالمتغير الثاني (النتيجة) وما يظهر هذا التعلّق أو الربط تجسد في الرابط الحجاجي (لِـ) في كلا المثالين.

[1]- زهرة الجزائر، عبد العزيز بوتفليقة، ص65.

[2]- المرجع نفسه، ص75.

[3]- المرجع نفسه، ص79.

أما في الحالة الثانية أي حين يكون الرابط الحجاجي محمولا ذا ثلاثة مواقع فيمكن تصوريها بالصيغة الآتية: [طا (ب، ن، ل)]، وهو بخلاف الحالة الأولى ذي الموقعين.

ومن أمثلة هذا النوع من الروابط:

"تضطلع الجزائر بدور نشط فعّال **من أجل** النهوض بقارتنا الافريقية و**ذلك** عبر الاتحاد الإفريقي **في** سائر الميادين"[1]. نلاحظ في هذا الخطاب باعتباره مثال عن الرّابط الحامل لثلاثة مواقع أنه يحمل ثلاث مكونات حجتين ونتيجتيهما، فكون الجزائر تحظى بدور فعال على المستوى الإفريقي فإنّ ذلك سيسهم لا محالة في النهوض بالقارة الإفريقية ككل كونها عضوا في الإتحاد الإفريقي. وبهذا فإنّ معيار عدد المتغيرات في هذا المثال يمكن تصويره بالصيغة الآتية:

تضطلع الجزائر بدور نشط فعّال من أجل النهوض بقارتنا الإفريقية وذلك عبر الاتحاد الافريقي.

ج ⟵ حجة

ن ⟵ نتيجة

را ⟵ رابط.

معيار عدد الرابط:[2]

واستنادا إلى هذا المعيار يمكن أن نميّز بين نمطين من الروابط:

فئة الروابط التي وظيفتها سوق الحجة، ومثالها:

كلمة عبد العزيز بوتفليقة في الدورة الأولى لإتحاد المحامين العرب، الجزائر 2000/05/29:[3]

[1]- زهرة الجزائر، عبد العزيز بوتفليقة، رئيس الجمهورية منذ 1999، ص65.

[2]- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص107.

[3]- ابراهيم رماني، مختارات من خطب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ص394.

«...فليس بالسياسة وحدها يحيا المواطن العربي، بل بالعقل الواعي المشارك في التغيير بفهم عميق»

وظيفة الرابط «بل» هي سوق الحجة، ففي هذا الخطاب مثلا يشير المخاطب إلى ضرورة تحلي المواطن العربي بالعقل والوعي وهي حجة مساندة للحجة الأولى التي أشار إليها **عبد العزيز بوتفليقة** (ممارسة السياسة) بواسطة الرابط **بل**كما أشرنا سلفا هذا من جهة، من جهة أخرى لدينا في المثال (ملفوظة العقل الواعي) التي وردت في صورة حجة مساندة للنتيجة (المشاركة في التغيير).

فئة الروابط التي وظيفتها سوق النتيجة، ومثالها:

"ما دامت النوايا صادقة والإرادة موجودة والوفاء لتضحيات الشهداء قائم، فنستطيع التأسيس لمراحل أخرى أكثر تطورا وإشراقا"[1].

الرابط «ف» أتى مقترنا بالنتيجة (نستطيع التأسيس لمراحل أخرى أكثر تطورا وإشراقا) في الخطاب.

معيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرابط:[2]

وهذا المعيار يتعلق فقط بالحالة التي يكون فيها الرابط من النمط ذي المواقع الثلاثة، ففي هذه الحالة نكون أمام صنفين من الروابط:

أ- فئة الروابط التي تكون حججها متعاندة: "نقول عن حجتين أنهما متعاندتان إذا تم سوقهما لمساندة حجتين متعارضتين، أي أن كل حجة تساند نتيجة هي نقيض النتيجة التي تساندها الحجة الأخرى"[3]

[1]- زهرة الجزائر، الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ص51.
[2]- رشيد الراضي، مرجع سابق، ص108.
[3]-المرجع نفسه، ص91.

ومثالها: "لا يمكن حتى للمشككين والجاحدين أن ينكروا أن الجزائر تتقدم وتتطور، لكن هي في حالة إلى المزيد من الإرواء إلى الوطنية"[1].

هنالك تعاند بين الحجتين:

- الجزائر تتقدم وتتطور < حجة مادية>
- لكن هي في حاجة إلى الإرواء بالروح الوطنية<حجة معنوية>
- لا تصنف في خانة الدول المتقدمة < النتيجة مثلا >

نلاحظ أن الحجة المعنوية هي نقيض الحجة المادية التي تساند النتيجة في النهاية.

ب- فئة الروابط التي حججها متساندة:

"نقول عن حجتين أنهما متساندتين إذا تمّ سوقهما لمساندة النتيجة نفسها"[2]

ومثالها:

- عبد العزيز بوتفليقة شخص مسالم، ذو مبادئ، حتى أنّه صاحب مشروع الوئام المدني.

فهناك تساند بين الحجج: مسالم، ذو مبادئ، صاحب مشروع الوئام المدني.

انطلاقا مما سبق نخلص إلى أن "الرابط الحجاجي يربط بين وحدتين دلاليتين (أو أكثر) في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية، أما في التصور السابق فقد كنا نقول عنه يربط بين قولين (أو أكثر) وقد تمّ التخلي عن هذا التصور لأن ظاهرة الربط معقدة، ولأن الربط بين الأقوال ليس إلا حالة خاصة، فقد يربط الرابط بين قولين وقد يربط بين عناصر غير

[1]- زهرة الجزائر، الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ص49.
[2]- رشيد الراضي، مرجع سايق، ص91.

متجانسة كأن يربط مثلا بين قول وقولية (**énonciation**) أو بين قول وسلوك غير كلامي، إلى غير ذلك من الحالات الممكنة"[1].

المبحث الرابع: الحجاج والتلفظ – خطابات إشهار شكولاطة أوبتيلا وديتول نموذجا –

أشرنا فيما سبق إلى تعريف الحجاج بأنه "كل منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الإعتراض عليها"[2]، هذا الاعتراض كثيرا ما يكون بوساطة خطاب مُتلفظ به علما أنّ التلفظ هو "الواقعة التاريخية التي تنشأ عبر ظهور الملفوظ أو بعبارة أخرى هو حدث إنجاز الجملة"[3] من طرف مخاطب يتوجه بها إلى متلق قصد إخضاعه لأطروحته أو رفضها.

في هذا الجزء من الفصل سنتناول الحجاج في التلفظ أو بعبارة أدقّ الحجاج أثناء فعل التلفظ بخطاب ما والذي يتشكل من وحدة أصغر منه هي الجملة التي إذا ما اعتبرناها "وقوعا تلفظيا فهذا يقتضي منا معالجتها كتعاقب صوتي حصل من خلال تلفظ متكلم معين داخل زمان ومكان محددين وبذلك يكون الوقوع التلفظي لهذه الجملة وحيدا ولن يعاد وقوعه أبدا، فكل حدث جديد ومختلف يرتبط بالسياق الخاص والملموس بالتلفظ"[4]، وسنركز إهتمامنا في الحجاج التلفظي على الخطاب الإشهاري كمدونة لذلك كونه يعتمد على المنطوق بالدّرجة الأولى الذي يرتكز على قوّة الصّوت وما يتعلق بالدلالة الصّوتية عموما، وسنعمل على ربط كل هذه العناصر بآلية الإقناع على خلفية إعتبارها الركيزة الأساسية لتحقيق الكفاية التواصلية في الدّعاية الإشهارية.

[1]– أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، ص29.

[2]– حافظ إسماعيل علوي، التداولية علم إستعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص450-451.

[3]– طه عبد الرحمان، اللسان والميزاناو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1998، ص226.

[4]– أوزفالد ديكرو، التلفظ، ضمن كتاب تلوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطية، تونس، ط1، 2007، ص21.

1.في مفهوم الخطاب الإشهاري:

تعددت تعريفات الخطاب الإشهاري و تنوعت لذلك"إن التساؤل عن الماهية الحقيقية للإشهار (الإعلان) هو في واقع الأمر تساؤل عن الماهية الوجودية للإنسان ذاته، لا من حيث هو هوية نوعية قارة (الإنتماء إلى الفصيلة) بل من حيث هو بنية نفسية، إجتماعية، رمزية دائمة التحول، فالإنسان واحد في ذاته، ولكنّه متعدد من حيث بناؤه النّفسي والإجتماعي"[1]، بالإضافة إلى ثقافته ولغته وتاريخه، وبهذا يمكن اعتبار "الإشهار أو الإعلان بأنه خطاب العصر بامتياز، أو كما عبّر عنه **محمد الوليّ** مستلهما من **كارل ماركس**: «الإشهار أفيون الشعوب المعاصر»، فأينما اتجهت بنظرك تجده هناك يرقبك في تودّد وإغراء لعلّك تعطيه بعض الدّقائق من وقتك لتقرأ إرساليته الموجزة"[2] التي غالبا ما تروّج لمنتج ما أو علامة معينة بالاعتماد على المنطوق (اللفظ) وكذا البصري الذي تعبّر عنه الصورة بمكوناتها وألوانها وما تشير إليه من رسائل للمتلقي "فللعين في الصورة الإشهارية موقعها أيضا، فهي ترتاح لبعض الألوان وتنفر من أخرى، بل تقوم بأكثر من ذلك فهي تنتقي من تعدّد الألوان ما يحقق لها راحتها وهي الخاصية التي يستثمرها المستشهر ليمنح العناصر الأساسية للمنتج لونا (أو ألوانا) تهرب إلى العين على حساب ألوان العناصر الثانوية فيها"[3] تحمل دلالات ورموزا دون شك.

ويمكن تعريف الإشهار أيضا بأنه: "إعلام الجمهور وإقناعه بشراء منتوج ما وهو كذلك جملة من الوسائل التقنية التجارية والفنية التي توفّر للمنتوج أحسن الظروف حتى يشتريه أكبر عدد من الناس، والمفيد من هذا الكلام ككل كلمتان: الإعلام بما هو information كحركة أولى غايتها التوصيل المحض الخالي من كل ذاتية فيه لا تتجاوز نية الباث فيها الإعلام المحايد l'information objective وهذا في الدرس الفلسفي المتعلّق باللغة وهم، إذ الذات لا يمكن أن تكون بمعزل عن

[1]– سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009، ص73.

[2]– العوادي سعيد، في الحاجة إلى ثيسيوس المغالطة في الخطاب الإشهاري ضمن الدورة التكوينية الثانية بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، كلية اللغة العربية بمراكش، جامعة القرويين دار المنظومة ، المغرب، 2016، ص225-226.

[3]– سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، ص171.

الموضوع من خلال مبدأ القصدية وهذا ما أيّده بعض الدارسين من اللسانيين عندما أقرّ بأسبقية الوظيفة الحجاجية على الوظيفة الإعلامية، فالمتكلم ما تكلّم إلا ليحاجّ أمّا الإبلاغ فيأتي بدرجة ثانية. بل إن الوظيفة الإبلاغية للغة تخدم الوظيفة الحجاجية"[1] فالإقناع قار في بنية اللغة في حد ذاتها.

بالاستناد إلى ما سبق ذكره ارتأينا أن نأخذ الإشهار الجزائري لمنتج شكولاطة «**أوبتيلا optilla**» كنموذج تطبيقي لمبحثنا :الحجاج في التلفظ.

بداية الإشهار يجري داخل مكان عمومي المتمثل في مقهى، ممثلو الإشهار طفل لا يتجاوز سنّه عشر سنوات وشيخان مسنّان، يدخل الطفل بخطى خفيفة على نحو لا يلفت الإنتباه، يقوم بفتح علبة موجودة على الطاولة، خلفية هذه العلبة حمراء مكتوبة بحروف بيضاء، في حين أن الغطاء عكس ذلك أبيض مكتوب بحروف حمراء تحمل اسم المنتج **أوبتيلا** «**optilla**» داخل هذه العلبة الكبيرة تتواجد علب الشكولاطة **أوبتيلا** بألوان ونكهات مختلفة (كراميل، فراولة، برتقال، جوز الهند، كاكاو...) هذا عن الجانب الشكلي والتصويري للإشهار.

أما عن الجانب التلفظي معلوم أن أيّ إعلان إشهاري لمنتج ما لا يخلو من الموسيقى فافتتاحية هذا الإعلان كانت قد صاحبتها نغمات ثم سرعان ما فتح الطفل العلبة تغيّرت تلك النغمات إلى موسيقى العصا السحرية، وكأنّ الموجود داخل العلبة –وهو الشكولاطة– شيء يسحر الناظر له شكلا وذوقا. يقوم الفتى الصغير بحمل إحدى العلب وفتحها ما إن يقبل على تذوقها حتى يقف الشيخان خلفه ويقوما بأخذها منه فيجري الحوار الآتي:

الشيخ 1: واش راك دير هنا يا وحد الشاموتي ؟

الشيخ 2: ماشي قلنالكم الذراري الصغار ما يدوروش في القهوة ولا لا؟

[1]– عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص71-72.

يردّ الطفل رافعا يديه إلى الأعلى وعلامات الخوف بادية على وجهه: كنت رايح ناكل في الشيكولا أوبتيلا!

ينظر الشيخان إلى بعضهما، يسأل أحدهما الآخر: هاذي هي الشيكولا لي قلت لي عليها ؟

يردّ الآخر: هي en personne.

يشير أحدهما إلى الآخر بنظرات تلميحية ثم يقولان للطفل: شوف وليدي خلي الشيكولا أوبتيلا هنا وروح كي تكمل عاود ولي.

في آخر الإشهار يمسك الثلاثة علب شكولاطة أوبتيلا مختلفة النكهات، ويُقدمون على تناولها، وقد صاحب ذلك موسيقى تعبّر عن الفرح والمتعة لدى تناولها مع التلفظ بقول من طرف أحد الشيخين: بنينة الأوبتيلا.

2.عناصر الخطاب الإشهاري:

قبل أن نتطرق إلى تحليل هذا الإعلان الإشهاري حجاجيا وفكّ دلالته التلفظية القائمة أساسا على الفعل التواصلي المحقق بين طرفي الخطاب (متلفِظ: المشهِّر، متلقي: الجمهور المستهدف)، نقوم بعرض عناصر التواصل فيه بالاستناد إلى نظرية **رومان جاكبسون*** اللسانية حول عوامل التواصل

* **رومان أوسيبوفيتش جاكوبسون:** هو عالم لغوي، وناقد أدبي روسي (11أكتوبر1896- 18 جويلية 1982) من رواد المدرسة الشكلية الروسية. وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر والفن.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86_%D9%8A%D8%A7%D9%83%D9%88%D8%A8%D8%B3%D9%88%D9%86
اطلع عليه يوم: 2021/01/01 على الساعة: 12:50سا

اللساني والتي اعتبرها **جاكبسون** مهمة في أي وضع تخاطبي بمختلف مستوياته ومميزاته.وهي ستة عناصر:[1]

1.2.المرسل: وهو مصدر الخطاب المقدَّم إذ يعتبر ركنا حيويا في الدارة التواصلية اللفظية فهو الباعث الأول على إنشاء خطاب يوجَّه إلى المرسل إليه في شكل رسالة، وقد تَدَاوَلَ اللسانيون هذا العامل في قوالب اصطلاحية متباينة مثل: الباث l'émetteur، والمخاطب أو النّاقل أو المتحدّث، ورغم اختلاف المصطلحات المستعملة للتعبير عنه فإنّه طرف أوّل في جهاز التخاطب ويستحيل على أيّ تصوّر لوضع تخاطبي لفظي أن يستغني جزئيا أو كليّا على المرسل.

في الإعلان الإشهاري الذي بين أيدينا حول منتج **أوبتيلا** المرسِل هو مصنّع الشكولاطة الذي صخّر شخصيات كممثلين لتمرير إرسالياته، والتي تستهدف كل فئات المجتمع بدءا من الأطفال إلى غاية الشيوخ كبار السنّ، باعتبارهم مستهلكين والدّليل على ذلك أن النّاقلين للرسالة فتى صغير وشيوخ. اعتمد باثو المنتج على عملية التلفظ المتجسدة في حوار مقام بين المتخاطبين، منسّق أثناء العرض للمنتج كل ذلك في سبيل إقناع المستهلك باقتناء شكولاطة **أوبتيلا**، ومن بين الشروط الواجب توفرها في المرسل ما يلي:

– أن يكون للمرسِل «القدرتان المستقبلة والمنسّقة» للقيام بعملية الترميز codage، وتفكيك الرمز décodage بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي يشترك فيه مستقبل الرسالة أي نظام ترميزun code مشترك كليا أو جزئيا بين المرسل والمتلقي (أو بين الرامز وفاك الرمز). وربما يتجسد هذا الشرط فيما تلفّظ به أحد العجوزان مخاطبا الفتى الصغير: واش راك دير هنا يا وحد الشاموتي؟ والتي تعني باللهجة الجزائرية ماذا تفعل هنا أيها المشاكس الصغير؟ فلفظ الشاموتي مستعملة من قبل أفراد المجتمع الجزائري باختلاف فئاته العمرية، وهي بمثابة ترميز من قبل المتكلم يتوجه به إلى متلق يعلم بأنه سيفك هذا

[1]– الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص2.

الترميز لأنه يمتلك نفس النظام اللغوي له، في حين أن مخاطَبا آخر ليس جزائريا لن يستطيع فهم أو فكّ هذا الترميز، وهذا يدلّ على أن المشهّر يخاطب جمهورا جزائريا عارفا بمنتوجاته المحلية.

- أن يكون المرسل على لياقة كافية -ولو في مستواها الأدنى- تسمح له بتوجيه الخطاب في شكله المنطوق (الأداء المباشر) أو في شكله المكتوب (الأداء غير المباشر) لأنّ الرسالة اللفظية تتطلّب قدرة فيزيولوجية على بثّها، وقدرة على كتابتها أو بعبارة لسانية أدّق أن يتمتع على الأقل بإحدى القدرتين: «العلامة الصوتية أو الأشكال الخطية» بتعبير الفكر السوسيري إذ تتجسّد فيها الوقائع اللغوية للخطاب المنقول. وفي رأينا فإن العلامة الصّوتية موجودة في مدونتنا أكثر من تواجد الخطاب المكتوب أو الشكل الخطي بدءا من موسيقى الإعلان المنتقاة طبعا بطريقة غير عشوائية، إذ استعمل المشهِّر موسيقى ذات نغمات متتابعة بإيقاع بطيء أثناء دخول الطفل الصغير بخطى هادئة يحترس فيها رؤية أحدهم له وهو يأخذ العلبة، وبالتالي إقترنت الموسيقى بالفعل الإنجازي المتمثل في أخذ الحيطة والحذر.

ثم إن الفعل التلفظي حاضر بقوّة في هذا الإعلان كونه يقدم وصفا لمنتج متميّز ويختلف عن باقي الأنواع الأخرى من الشكولاطة، وقد استعمل باث الإشهار ألفاظا دالة على اسم المنتج من ذلك:

*قول الطفل: كنت رايح ناكل في الشيكولا **أوبتيلا** ⟵ أريد تناول الشكولاطة أوبتيلا.

*قول الشيخ يسأل صديقه: هاذي هي الشيكولا **أوبتيلا** لي قلت لي عليها ؟ ⟵ أهذه هي الشكولاطة أوبتيلا التي حدثتني عنها؟

كل ذلك من أجل بلوغ هدف واحد وهو "هوس البيع كونه المحرك الأساسي للممارسة الإشهارية بالإضافة إلى المنافسة الشرسة بين الشركات"[1] المصنعة لنفس نوع المنتج مع اختلاف في التسمية.

2.2.المرسل إليه destinataire : "يقابل المرسل داخل الدّارة التواصلية اللفظية أثناء التخاطب وقد أطلق عليه مجازا المصطلح الفيزيائي (المستقبل le récepteur) ويقوم المرسل إليه بعملية التفكيك (décodage) لكل أجزاء الرسالة سواء أكانت كلمة أم جملة أم نصا. أما عن مدونتنا فالمرسل إليه هو المستهلك المتمثل في مختلف الشرائح العمرية في المجتمع.

وقد ذهب **دي سوسير** بعيدا في التدقيق الموضعي لهذا العامل التواصلي عندما أطلق عليه مصطلح (المتحدث ب) ذلك أن (المتحدث أ) عندما يرسل خطابا معينا إلى المرسل إليه أي (المتحدث ب) يكون هذا الأخير هو مستقبل الرسالة، بينما لحظة الردّ على الرسالة التي استقبلها (تعقيب، إضافة، تساؤل، رفض...) يصير (المتحدث أ) هو المستمع و(المتحاور ب) هو المتحدث"[2]. وفي مدوّنتنا يمكن اعتبار (المتحدث أ) هو المنتج (عبّر عن أفكاره ممثلو الإشهار الفتى والشيخان) والمتحدث ب هو المستهلك الذي لا يظهر بشكل مباشر للمشهِّر، فما يترجم ردوده ومدى تلقيه الإرسالية هو نسبة اقتنائه للمنتوج، فإذا ارتفعت نسبة مبيعات شكولاطة أوبتيلا فإن المستهلك يريد أن يقول بتعبير مضمر للمشهّر بأن المنتج جيّد وتلقى قبولا لديه وبذلك نجح المنتج في إقناع مسنهلكه بجودة شكولاطته، والعكس يحدث إذا ما انخفضت نسبة المبيعات فإن الإقناع لم يحصل، وأثناء ردّ المتحدث ب (المستهلك) على الرسالة يصبح المتحدث أ هو المرسل إليه والمتحدث ب هو الباث للرسالة كما يبدو في الرسم التالي:[3] **أدوار المرسل و المرسل إليه أثناء فعل التواصل**

[1]- العوادي سعيد، في الحاجة إلى ثيسيوس، المغالطة في الخطاب الإشهاري، ص226.

[2]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص25-26.

[3]- المرجع نفسه، ص26.

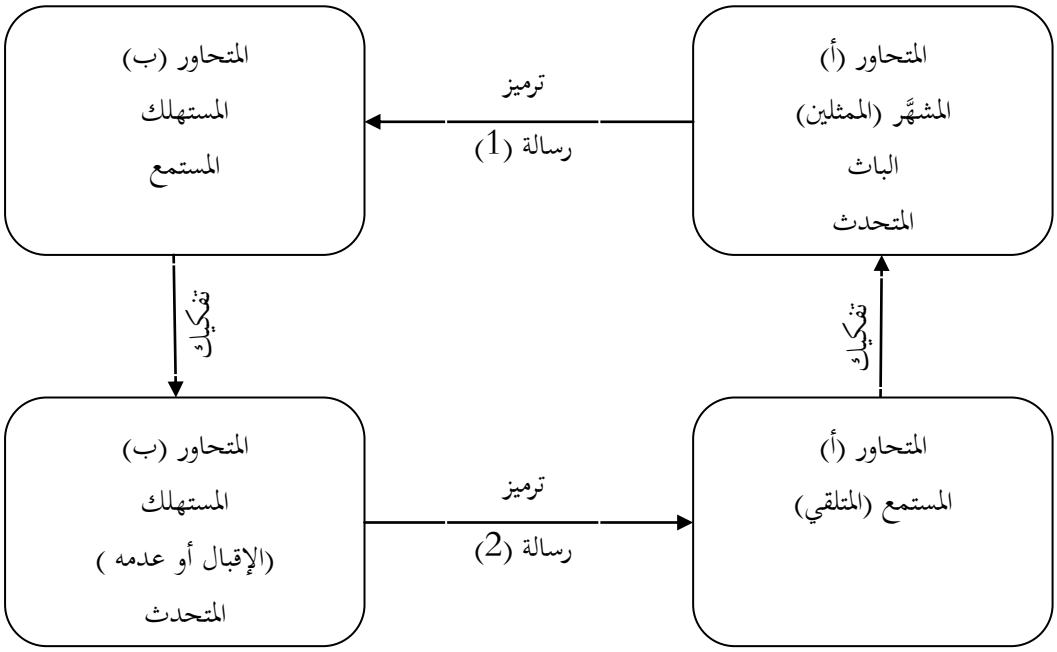

وفي سياق الحديث عن علاقة المرسل بالمرسل إليه فـ "إنّ عملية بناء الملفوظ (الكلام) وتأويله نشاط متعدد الأطراف ومبني يستلزم قيام علاقة تواصلية بين طرفين على الأقل أحدهما متكلم وآخر مخاطَب. وحضور كل طرف منهما يبقى حضورا ممكنا (أي متحققا بالقوة حتى لو لم يتحقق بالفعل)، فحتى في المونولوج الداخلي يظل الآخر (المخاطَب حاضرا)، وحتى مع غياب المتكلم حسيا وبصريا عن مدارك المخاطَب (أو القارئ) فإنّه يظل حاضرا في وعيه وتفكيره. وهكذا تصبح العلاقة بين المتكلم والمخاطَب علاقة انفصال واتصال في نفس الوقت"[1].

3.2.الرسالة Message: وتسمى أيضا المرسلة وهي "ترتكز على المخزون اللغوي الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتعبير ثم ينظّمه في مقولة يبثها إلى المرسل إليه"[2] أي أن الرسالة هي "الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صورة سمعية لما يكون التخاطب

[1]– إدريس سرحان، التأويل الدلالي–التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، مقال محكّم ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة لحافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص135.

[2]– فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص65.

شفهيا وتبدو علامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة"[1]. في مدونتنا الإشهارية يُعتمد على الصوت والصورة إذ كانت الرسالة شفهية يرتكز فيها المستقبل على السمع، أي أنها ترتكز على الفعل التلفظي في إقناع المرسل إليه من خلال التعريف بالمنتج «شكولاطة أوبتيلا» من خلال تقديم وصف له (بنينة الأوبتيلا) وكذا عرض الأذواق والنكهات التي صُنّعت بها (فراولة، برتقال، كراميل...) فكلما كانت الرسالة معبرة حقق الإعلان نجاعته.

4.2. السنن le code: "لقد تعددت اصطلاحات اللسانيات بشأن هذا العامل فبعضهم استعمل مصطلح اللغة (langue)، وبعضهم فضل النظام (système)، فيما أطلق عليه البعض الآخر القدرة (compétence)، وعلى اختلافها في الدوّال فإنها ذات مدلول واحد يحيل على نظام ترميز (un code) مشترك كليا أو جزئيا بين المرسل والمتلقي، فمنه ينطلق الباثّ عندما يرسل رسالة خطابية معينة حيث يعمل على الترميز (codage)، وإليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما فَيَفُكَّ رموزه بحثا عن القيمة الإخبارية التي شحنت بها (décodage) "[2]، وبما أن المدونة التي بين أيدينا إشهار فإنّه بطبيعة الحال يرتكز على سنن بين المشهّر والمستهلك لإقامة تواصل بينهما يعتمد فيه على التلفظ بالدّرجة الأولى.

فالإعلان الإشهاري "يقوم على استعمال اللغة باعتبارها واسطة لنقل المادة الإعلامية إلى الجمهور، إلى جانب وسائط أخرى، غير أن احترام اللغة لا يعني الاستبقاء على أساليب **الجاحظ** والعربية الفصحى رغم ما لها من زخم وجداني يحرّك فينا أسمى المشاعر بقدر ما تسعى إلى إجادة لغة سهلة فصيحة سليمة ودقيقة في التعبير والأداء، كما أن تطويع اللغة لمقتضيات الحاجة باعتماد اللهجات أو بالعامية أحيانا وبشكل محدود ممكن في وسائل الإتصال، وذلك بهدف تحقيق التأثير المعتمد على أفكار وسلوك الناس من خلال الرسائل التي يوجهها الإعلاميون إلى الجمهور لتعريفه بالسلع والخدمات التي يقدمها المصنع، مستخدمين في ذلك وسائل النشر المتاحة واللغة المتاحة

[1]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص27.

[2]- المرجع نفسه، ص28.

والبسيطة ولا غرابة في ذلك أن يكون التهافت على لغة الناس العادية والتي هي قابلة للتطوّر الدائم حسب مقتضيات الحال والأحوال"[1]. وفي مدونتنا نجد كلاً من المروّج والمستهلك يمتلكان نفس اللغة والنظام والذي تمثل في اللهجة العامية المشتركة بينهما، فمصنّع شكولاطة **أوبتيلا** يخاطب مقتنيها بمختلف أطيافهم العمرية من الأطفال والشيوخ المتحدثين منهم بالعامية وكذا استعمالهم لبعض الألفاظ الفرنسية التي غالبا ما يدخلها أفراد المجتمع الجزائري في استعمالاتهم اللغوية العامية، وهذا دليل واضح على أن المرسِل والمرسل إليه لا يشتركان في نفس السنن فقط بل وحتى نفس النظام الثقافي، فمعروف أن الجزائريين ينطقون الفرنسية، وهو أسلوب ذكيّ كما يبدو للفت انتباه المتلقي وتغيير قناعاته نحو اقتناء هذا المنتوج.

كما لا يفوتنا في هذا الصدد أن نشير إلى أن التلفظ بنفس لغة المتلقي باستخدام السنن نفسه هو واحد من الحجج التي تسهم في إثراء آليات الحجاج ونجاح العملية الإقناعية ككل والتي تقوم أساسا على شروط لنجاعتها ك:[2]

- اعتماد الجمل القصيرة أثناء التلفظ.
- الإيقاع اللغوي الملائم للموضوع المعلن عنه.
- توظيف الحيل حتى تكون اللغة مفيدة وجذابة.
- اعتماد السهل من الألفاظ.
- الحوار القصير المحكم.
- الوضوح في نطق اسم المعلن عنه.
- بالإضافة إلى الأغنية القصيرة المركزة والموسيقى الملائمة.

تتجسد هذه الشروط في مدونتنا من خلال ما يلي:

[1]- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2000، ص189-191.
[2]- المرجع نفسه، ص189.

- كل الجمل التي استعملها المروّج في حوار الممثلين قصيرة.
- استخدام الألفاظ العامّية السهلة المتداولة لدى كافة الناس.
- ذكر اسم المنتج **أوبتيلا** في الحوار ما يقارب الستّة مرات تلفظا وكتابة وصورة.
- صاحب الإعلان موسيقى تلاعب مشاعر المستمع وتلفت انتباهه، فتضفي المتعة على سمع المتلقي، بحيث يصبح السامع يتذكر المنتَج كلّما استمع إلى نفس الموسيقى، ويشكل هذا الأسلوب النغماتي نوعا من الاقتناع لدى المخاطَب.

5.2.القناة Canal: وهي "الممر الذي تنتقل عبره الرسالة المتبادلة بين المرسل والمرسل إليه لإقامة التواصل بينهما، إذ يقوم الطرفان بتوظيف عامل النطق قصد تمرير أنماط تعبيرية خاصة والتأكد من سلامة الممرّ ووصول الرسالة سليمة إلى جهاز الاستقبال"[1]. في الإشهار محل دراستنا استعمل جهاز التلفاز كوسيلة ناقلة لإرسالية المروّج أوبتيلا بحيث اعتمد على الملفوظ بالدّرجة الأولى وكذا الصورة الإشهارية التي تعتمد على الألوان والكتابة باللغتين العربية والأجنبية إضافة إلى العامية.

إنّ "الإشهار باعتباره وسيلة ضرورية من وسائل البيع فإنه أداة تواصل يعتمد خطاطة تواصلية وحيدة الاتجاه من حيث الملفوظات الصادرة من المشهّر، تتحقق من خلال وسائط وأسناد متنوعة، وذلك من أجل الترويج لمنتج أو ماركة أو شركة أو قضية أو مرشح بصفة عامة، يمكن التعرّف عليه من خلال الإرسالية"[2] والتي تمرّ عبر قناة لها بين مرسل ومرسل إليه.

6.2.السياق Context: ويدعى أيضا المرجع حيث أن "لكلّ رسالة مرجع تحيل عليه وسياق مضبوط قيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية أو تفكّك رموزها إلا بالإحالة على الملابسات التي أُنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب"[3]، وقد اشترط **جاكبسون** أن يكون السياق لفظيا أو قريبا منه إذ يقول في هذا الصدد: "... وهو إمّا أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون

[1]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص33.
[2]- سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، ص45.
[3]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص30.

كذلك"[1]، فالملفوظ يعتمد على ما هو منطوق أما السياق غير اللفظي فهو "يتمثل في المحيط الذي تولد فيه الرسالة وتتشكل أبنية خطابها اللفظي ويتضمن السياق من هذه الزاوية العناصر التالية:"[2]

الموقع أو الإطار الزمكاني le cadre spatio-temporel: إذ يجب أن يكون الخطاب المعطى مطابقا لحيّز مكاني ولخطة زمانية وفي الإشهار التي تناولناه كان المقهى الحيّز المكاني لعرض المنتج **أوبتيلا** بإعتباره مكانا عاما يتوافد إليه الناس، بهدف ترويج شكولاطة **أوبتيلا** لأكبر عدد ممكن من الزبائن، ولو أن تواجد الطفل بمقهى هو إخراج عن الحيز المعتاد له، فالمقهى عادة مايكون مكان تجمع للكبار وليس للأطفال؛ كما أن الزمن كان النهار وليس الليل لاستقطاب عدد أكبر من المستهلكين.

الهدف Le But: وهو الترويج والتشهير لمنتج نوعه غذاء يتمثل في شكولاطة اسمها **أوبتيلا**، يحمل أذواقا متنوعة ذات نكهات مختلفة (فراولة، كراميل، برتقال، كاكاو، جوز الهند...) كل ذلك من أجل التحصيل على أكبر قدر من المبيعات إذا ما أعجب المستهلك واقتناه.

المشاركون في العملية التواصلية Les participants: في هذا المستوى يؤخذ بعين الإعتبار ما يلي:

- **عدد المشاركين** leurs nombres: لدينا منتج ومستهلك، المنتج وظّف ممثلين للتشهير بمنتوجه **أوبتيلا** كان عددهم ثلاث ممثلين، الخطاب المتبادل بينهم كلّه كان تعبيرا عما يودّ المصنّع ايصاله لزبائنه من مستهلكي هذا النوع من الشكولاطة. في مقابل ذلك نجد طرفا آخر يتمثل في المستهلك أو المتلقي الخفي الذي يتجسد في عامة الناس.
- **مميزاتهم الشخصية** leurs caractères individuel: من حيث العمر طفل صغير وشيخان كبيران في السن، الجنس ذكور، وربما لم يستخدم المروّج فئة النساء لأن الذكر يعبّر به في غالب الأحيان عن الجنسين على حد سواء، أو ربما تمرير حب الشكولاطة للرجال باعتبار النساء فئة تحب الشكولاطة.

[1]- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص27.

[2]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص30-31.

- **علاقاتهم المتبادلة leurs relations mutuelles:** الواضح في الإشهار الذي بين أيدينا أن المتخاطبين (المروّج والمستهلك) يمتلكان النظام التواصلي نفسه سواء كان اللغوي (اللفظي) أو الثقافي، والدليل على ذلك الملفوظات العامية المستعملة داخل الخطاب الذي دار بين المكلفين بالتشهير للمنتج والمنتقات من المجتمع نفسه، وقد أشرنا لهذا سلفا.

وبهذا يمكن أن نوجز عوامل التواصل اللفظي الست التي لا يستغني عنها أي تواصل لغوي يعمد إلى الإقناع (الإشهار أنموذجا) في المخطط التالي:[1]

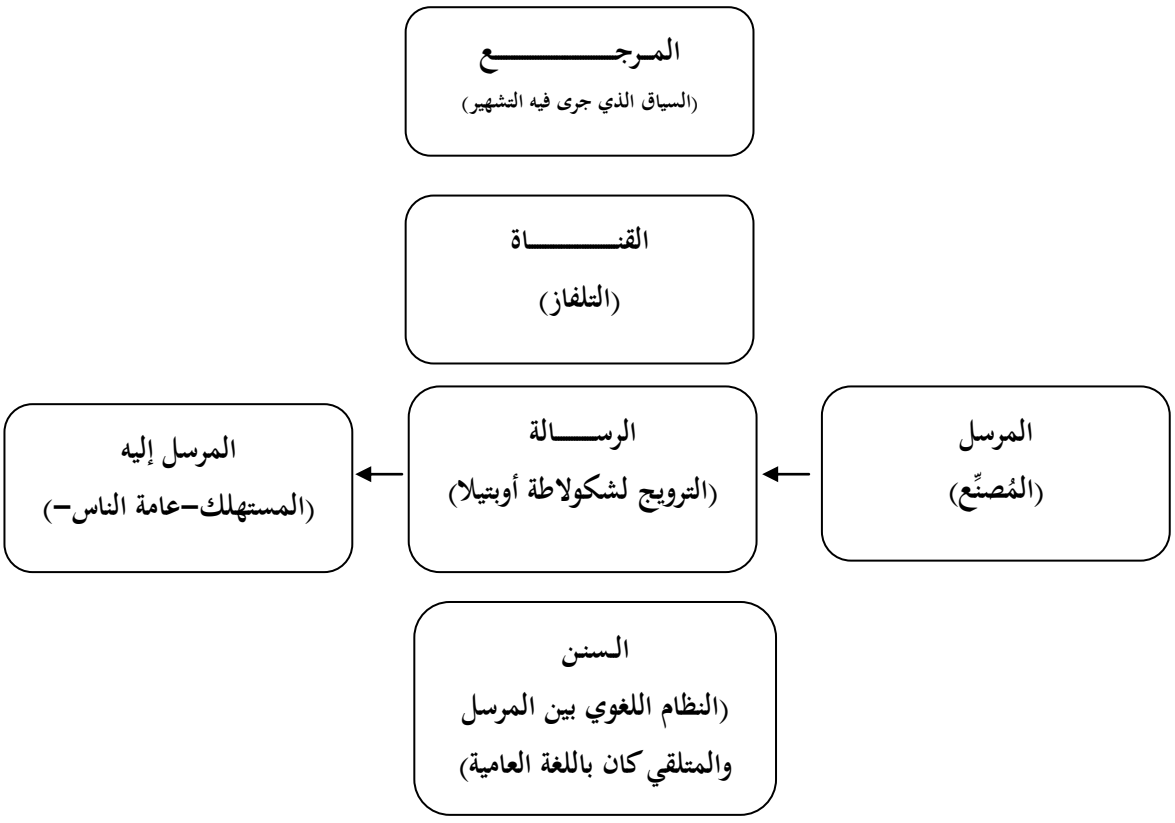

[1]– الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص34.

3. حجاجية الملفوظ الإشهاري:

يعرَّف الملفوظ بأنّه "مقطوعة لغوية تكون كلاّ منتميا إلى جنس خطاب محدّد: رواية، مقال، محادثة... إلخ، وهو الشيء المادّي الشّفوي أو المكتوب، الشيء التجريبي القابل للملاحظة والوصف، لذلك فإن الخطاب الملفوظ منظور إليه من وجهة الآلية الخطابية المتحكمة فيه، وعلى هذا الأساس إذا ألقينا على نص نظرة من زاوية هيكلته في اللسان فإنّ ذلك يجعل منه ملفوظا، ودراسة ظروف إنتاجه لسانيا تجعل منه خطابا"[1]، أي أن الملفوظ يعتمد على المنطوق بالدرجة الأولى والخطاب الإشهاري واحد من الخطابات المنطوقة التي لها غاية حجاجية من حيث مقاصد المتكلم في إقناع المتلقي واستمالته لأطروحته.

في هذا الجزء من المبحث سنختار المنظّف **ديتول** كمدونة إشهارية لفظية لاستخراج الملافيظ الحجاجية الموجودة بهذا الإعلان الإشهاري وسنأخذ الدّعاية التالية كمثال على ذلك:

- إحم عائلتك من 100 نوع من الجراثيم المسببة للأمراض.

لنا أن نسأل قبل الخوض في صلب موضوع الإشهار في حد ذاته الأسئلة التالية:

- من قائل هذه العبارة باعتباره متلفظا ؟
- على ماذا اعتمد القائل في انجاز هذه الملافيظ الفصحى أم العامية؟
- لماذا اختار المتلفظ هذه الوحدات اللغوية دون غيرها ؟

والعديد من الأسئلة الأخرى...

معلوم أن الإعلان الإشهاري هدفه الأسمى هو إقناع الجمهور بضرورة اقتناء منتج معّين بشتى الأساليب ومختلف الطرق، المتحدّث في هذا الإشهار هي المؤثرة في عالم التجميل واللايف ستايل

[1]- باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر مهيري و حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ص216.

«**نهى نبيل**» واختيار مصنّع المنظف لها كان مقصودا، باعتبارها وجها معروفا في الوسط العربي، كما أنها تمارس نشاطاتها في ميدان يرتكز على عامل النظافة بالدرجة الأولى وهو عالم الأناقة والتجميل والموضة، فهي بهذا ساعدت المشهّر كونها عارضة لديتول على بلوغ هدفه في الوصول إلى فكر المستهلك.

اعتمدت العارضة في إنجاز الملفوظ على الفصحى كون الجمهور المستهدف هو كل فئات العمر بالوطن العربي على اختلاف لهجاته، إذ أنّ الإعلان لم ينجز باللغة العامية وذلك حتى يتحقق الفهم لدى كل المتحدثين بالعربية الفصحى، وتصل الإرسالية التي ينوي المتكلم إبلاغها لمخاطبيه فيحدث بذلك فعل التأثير.

يشير **عز الدين الناجح** إلى أن هناك "علاقة بين المتكلم والملفوظ وكذا علاقة كل من الملفوظ والمتكلم بالواقع وهويتهما، وقد قدّم هذا الطرح في ضوء ماللملفوظ من صلة بالحجاج باعتباره قائدا إليه ودليلا عليه، وباعتبار أنّ الحجاج هو آلية من آليات تغيير المواقف في العالم والأهواء والاختيارات"[1]، وفي نفس السياق دائما قسّم كل موقف من المواقف التي ذكرها إلى ثلاث دعائم أساسية، أو لنقل ثلاث مستويات هي:[2]

1- **الدعامة العرفانية Cognitive**: وهي المستوى القاعدي في عملية تقبل الموقف وإدراكه لغة كان أم صورة أم ذوقا حسب الجهة المعنية، وتسمى أيضا المستوى المعرفي. ومثال ذلك أن الملفوظات التي تلفظت بها العارضة في بداية الإعلان الإشهاري من قبيل:

- أنا أحب شغلي – وأعشق دوري كأم – حماية عائلتي أهم شيء بالنسبة لي– وهذا يخليني ما أختار إلا صابون ديتول
- على عكس الصابون المعطر وحده ديتول يحمينا من 100 نوع من الجراثيم المسببة للأمراض كل يوم.

[1]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص74.
[2]- المرجع نفسه، ص74-75.

- ويخلينا محميين وجاهزين للسالفي على طول
- ما في شيء أهم من حماية عائلتنا
- إحم عائلتك من 100 نوع من الجراثيم المسببة للأمراض.

كلها حجج موجهة إلى المتلقي كي يقتني منظف ديتول وهي بمثابة تعريف للمنتج ولسبب وجوده ومزاياه على شكل خطاب مسترسل رُبط فيه حب العمل والأمومة وحب العائلة بحب النظافة ولا يمكن لأي مطهّر أن يفعل ما يفعله ديتول، باعتباره ذا جودة عالية من حيث كونه يقضي على 100 نوع من الجراثيم المسبب للأمراض وهذا يضمن للمستهلك حماية لأطفاله وعائلته التي لا شيء أهم منها.

2- **الدعامة الترغيبية Effective**: وهو المستوى الأوسط، وهو ثمرة المستوى الأول و ردّة الفعل عنه، وعموما فإن ردّ فعل المتلقي في الإعلان الإشهاري سيكون ضمني غير متلَفّظ به يترجمه سلوكه من خلال التصويت لعلامة ما، أو اقتناء سلعة معينة .أما فيما يخص المنظف ديتول فإن ردّ فعل المستهلك ستعكسه له رغبته بعد رؤية هذا الإعلان، فيتخذ موقفا اتجاهه وبه سيقبل على فعل الاقتناء والعكس سيحصل إذا لم يقتنع المتلقي بملافيظ المشهّر.

3- **الدعامة السلوكية conative**: وهي بمثابة البعد الإجرائي للموقف كله وهو الجانب الصريح المفصح عنه حركة والمترجم له سلوكا، فلئن كان المستويان الأولان من قبيل الضمني l'implicite فإن المستوى الثالث من قبيل الصريح l'explicite لا التلميح، وفي المثال أعلاه:

- ديتول وحده يحمينا من 100 نوع من الجراثيم المسببة للأمراض.

ندرك هذا المستوى بإقدام المتقبل على شراء هذا الصابون المنظّف، أو القيام بسلوك له صلة به.

وهذا ما أراد «**بول ريكور**» و «**جاك فرانسيس**» في 1986 أن يبرزاه عند إقرار الأول أن اللغة قائدة للفعل وإلا فسدت إستعمالا guide vers l'action.

في سياق آخر يمكننا توليد عدة ملافيظ باعتبارها حججا "كزمرة من المفاهيم المنحدرة من الملفوظ الرئيسي والتي هي مجموعة منتهية لفظا ومحددة من جهة البنية، أما تعدّدها فمأتاه الاستعمال وتعدّد المستعملين، والمنحنى التداولي l'aspect pragmatique. فكل ملفوظ له قائل خاص ومقام أخص. وأما محدوديتها فمرتبط بما توفره اللغة من بنى نحوية منطقية محددة يزكيها الاستلزام وما يحركه من مواضع"[1]. ولنا أن نمثل لهذا القول بالمثال التالي:

ديتول يحمينا من 100 نوع من الجراثيم المسببة للأمراض: ← م1

م2 ←
- إذا اشتروه
- إذا لا تشتروا غيره
- ديتول منظف جيّد
- الصحة تتعلق بالنظافة التي يمنحها لكم ديتول
- 100 نوع من الجراثيم ستهلككم
- لن تحل بكم الأمراض إذا ما استعملتم ديتول

وبهذا فإن كل الملافيظ تتجه لإفادة النتيجة نفسها وهي توجيه المتلقي إلى اقتناء المنظف ديتول، فيتحقق المسعى الحجاجي الذي يروم المشهّر إبلاغه لمخاطبه "ومنه نستنتج أن أغلبية الملفوظات حجاجية فهي تمثل شخصية كل من الباث والمتلقي"[2]، في نمط خطابي تبادلي مباشرا كان أم غير مباشر شرطه الأول هو الاسترسال أثناء التلفظ، إذ تعدّ عملية "الاسترسال الخطابي enchainement discursif في الملفوظ الإشهاري هي المحقق لنجاعته التواصلية efficacité communicative التي لا تتم أبدا إلا إذا أدرك المتكلم الباث المسلك الذي يجب أن يوقع فيه المتقبّل حتى يضطره إلى اتخاذ مسلك واحد في عملية تأويل الملفوظ هذا من جهة، ومن جهة ثانية لا تتم النجاعة التواصلية إلا إذا أدرك المتقبل وهو متعدد الأبعاد كما يقول **دريدا** (Polydimentionelles) غائية finalité الملفوظ"[3]، التي هي إقناعية في بنيتها، يسعى المرسل من خلالها إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بجودة منتوجه حتى يُقبلوا على اقتنائه وبذلك تتحقق حجاجية اللّفظ.

[1]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، ص76-77.

[2]- صابر الحباشة، تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، سلسلة الكوثر، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2007، ص29.

[3]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، ص77-78.

الفصل الثالث:

آليات الاستدلال الحجاجي

توطئة:

يعد الاستدلال من أكثر المفاهيم تعقيدا وتداخلا من حيث طبيعة استعماله، فقد تناولته دراسات شتى وعلوم عدة. ما يهمنا في هذا الفصل هو الكشف عن آليات الاستدلال اللغوي الحجاجي والبحث في ثناياها عن ثلاث جوانب: الجانب المنطقي والبلاغي واللساني.

فإذا كانت الدراسات المنطقية تبحث في العلاقة بين اللغة والمنطق من جهة ومدى إمكانية الاستدلال بهذه اللغة المنطقية في الخطابات الحجاجية من جهة أخرى، فإن الدراسات البلاغية راحت تبحث في الجوانب الجمالية لكل خطاب حجاجي ومدى اعتمادها كحجج يستدل بها في القضايا، في حين نجد الدراسات اللسانية لجأت إلى دراسة البنية اللغوية لأقوالنا دلالة وصوتا وتركيبا وتداولا، والبحث عن إمكانية الاستدلال بهذه العناصر داخل خطاباتنا الحجاجية.

المبحث الأول: الحجاج والاستدلال المنطقي

نتعرض في هذا المبحث إلى آليات التحليل المنطقي للخطاب الحجاجي القائم أساسا على بناء من الحجج المعقلنة المرتبطة بعلم المنطق الذي يرتكز على الدليل العقلي كمرجعية له في بناء المعارف وتشكيلها.

يعرّف المنطق بأنه "القدرة على الحكم بالصواب أو الخطأ والتمييز بين الصدق والكذب، والتفريق بين الحق والباطل، وكذا استخراج النتائج من مقدماتها والقدرة على تقديم المسوغات لاعتقاد من الاعتقادات، أو لنتيجة من النتائج إلى غير ذلك من العمليات الذهنية التي نجدها عند الإنسان ولا نجد لها مثيلا عند الحيوان"[1]. في هذا السياق دائما يقال "إن في كل مائة من الناس تسعة وتسعين يعرفون ما يسمى بعلم المنطق، ويمارسون جل القضايا والمناظرات، ويفرضون الفروض، ويصنفون الأشياء إلى أنواعها وهم لا يعرفون كلمة المنطق، فالناس جميعا أو أغلبهم على الأقل منطقيون منذ

[1]– محمد مهران، علم المنطق، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، دط، 1978، ص7.

الساعة التي بدءوا فيها يحسنون استخدام الألفاظ وصناعة الكلام"[1]، وما يعزز هذا القول هو أن المنطق موجود بالقوة في الطبع الإنساني ذلك أنه فطري يمارسه في نشاطاته المختلفة وعلى رأسها الكلام، الذي يعدّ نشاطا لغويا إبلاغيا بالدرجة الأولى الهدف منه الإقناع والوصول إلى ذهن الآخر من خلال جملة من المسلمات المنطقية التي يستدل بها المتكلم أثناء ممارسته هذا النشاط.

من هنا نستطيع القول أن "الصلة بين المنطق واللغة متينة حتى لا انفكاك لأحدهما على الآخر، فلا لغة بغير منطق، تستوي في ذلك اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية حتى لُقبت اللغة بلغة المنطق، كما أنه لا منطق بغير لغة يستوي في ذلك المنطق الطبيعي والمنطق الصناعي حتى لُقّب المنطق بلقب اللغة"[2]، فاللغة هي الوسيلة التي يعبّر بها كل فرد عن متطلباته وحاجياته.

وقد جرى عرف المناطق التقليديين على تقسيم الموضوعات التي يتناولها المنطق التقليدي إلى ثلاث مسوغات أساسية:[3]

الحدود: ويتناول هذا المبحث دراسة الألفاظ ودلالتها وأنواعها وكيفية تعريفها.
القضايا: ويقوم على أساس تأليف الحدود على هيئة جمل مفيدة، أي جمل تحتمل كل واحدة منها فكرة معينة يريد أن يعبّر عنها القائل بحيث يكون قوله هذا صادقا أو كاذبا، وعلى ذلك تكون القضية خبرية تحتمل الصدق والكذب.

1. الاستدلال:

هو استنتاج قضية من قضية أخرى أو أكثر فإذا قمنا بالاستدلال على قضية من قضية أخرى كان الاستدلال هنا مباشرا، أما إذا تم الاستدلال على قضية (النتيجة) من قضيتين (المقدمات) كان الاستدلال هنا غير مباشر وهذا ما يسمى بالاستدلال القياسي أو القياس.

---

[1]- محمد مهران، علم المنطق، ص3.
[2]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص403.
[3]- محمد مهران، علم المنطق، ص49-50.

إن ما يهمنا من هذه الثلاثية هو موضوع الاستدلال، وبالتحديد الاستدلال المنطقي إذ سنتناوله في هذا المبحث داخل الخطاب الحجاجي فارتباط المنطق بنظرية الحجاج له جذور تاريخية "فالباحثون يرجعون جذور الحجاج إلى السوفسطائيين الذي بذلوا جهودا في تعليم الحجاج حتى يتمكن من جلب انتباه السامعين من كل الأصناف الاجتماعية والمستويات الثقافية، وتعتبر محاولات أفلاطون من أغنى وأقدم أصناف التفكير المنطقي الطبيعي في تاريخ الأدبيات الفلسفية"[1]، والتي سبقت غيرها من الأدبيات التي تتخذ من المنطق سبيلا لها كالفروع العلمية مثلا.

إذا اعتبرنا "الاستدلال أحد الأنساق المنطقية التداولية التي يبنى بها الخطاب الطبيعي ويتكاثر به، وإذا كان الخطاب الطبيعي يتضمن عديدا من العلاقات الحجاجية التي تبنى وفق أنساق منطقية، وجب أن يكون الاستدلال أحد هذه الأنساق التي يعتمدها الخطاب الحجاجي، ذلك أنه انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أي متواليات من الأقوال والجمل بعضها بمثابة حجج وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[2]، فتحل الأولى –الحجج – محل المقدمات يتسلسل المتكلم في عرضها على متلقيه من خلال بناء من الأقوال المتضمنة لمجموعة من الاستدلالات لإثبات قضيته، هذه الاستدلالات توجه إلى ذهن المستمع كونه الطرف الثاني في الخطاب الحجاجي والمستهدف أيضا إلى استنتاج نتيجة واحدة أو مجموعة من النتائج حول القضية الأصل للخطاب.

وإذا كان الاستدلال المقصود هنا هو الاستدلال الحجاجي أمكننا القول بأنه هو: "تلك المنهجية أو الطريقة العقلية التي يسلكها الفيلسوف أو المتفلسف لأجل إرساء حقيقته في صورة إثبات أو نفي أطروحة أو قضية ما، أو كيفية من كيفيات معالجتها وما يقتضيه ذلك من مختلف العمليات العقلية المنطقية المتعارف عليها من جهة، ثم تبرير تلك الحقيقة تبريرا حجاجيا وما يقتضيه ذلك من

[1]– منية عبيدي، التحليل النقدي للخطاب، نماذج من الخطاب الإعلامي، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، ص274.

[2]– خديجة كلاتمة، آليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع8، 2012، ص186.

مختلف الأساليب الإقناعية الإفحامية الملائمة للخطاب الفلسفي عموما من جهة ثانية"[1]، مع إمكانية اعتبار هذه الأساليب بمثابة معطيات أولية تحيل المستمع إلى استخلاص قضية أو مجموعة من القضايا.

في نفس السياق دائما "اهتم البلاغيون بعلاقة الحجاج بالتفكير المنطقي، وبالطرق الحجاجية في الاستنتاج وفي بناء الأحكام واثباتها، ولاحظوا أنّ الاستنتاجات الحجاجية لا تنبثق بالضرورة من التفكير المنطقي، بل قد تكون تجربتنا البسيطة مصدر استنتاجاتنا في الغالب وقد تفرض بعض الاستنتاجات عملية ذهنية حقيقية، وقد ترجع استنتاجاتنا إلى التجربة المنظمة (المجال الأكثر اتساعا للتفكير التجريبي)، أو تتعالى على التجربة (مجال العلوم الحقة)"[2]، وبهذا نجد أنفسنا أمام أربعة أنواع من الحجج المرتبطة بعلم المنطق هي: حجج شبه منطقية، حجج قائمة على المنطق الصوري، الحجج التجريبية، الحجج المجبرة.

إذا علمنا أن الاستدلال هو لزوم نتيجة عن مقدمة أو مقدمات كما أشرنا لذلك سلفا فإنه على نوعين:

الاستدلال المباشر: وله طريقتين: التقابل، العكس.

الاستدلال غير المباشر: وله ثلاث طرائق: الاستقراء، القياس، التمثيل.

بناء على ما سبق يصنف الاستدلال إلى قسمين لاختلاف في عرض المقدمات فمثلا نجد الاستدلال المباشر يدل على "استنتاج صدق قضية أو كذبها من صدق قضية أخرى أو كذبها وهو لزوم النتيجة عن مقدمة واحدة"[3]، أما الاستدلال غير المباشر فهو "لزوم لنتيجة عن مقدمتين، وهو ما

---

[1]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، مج30، سبتمبر 2001، ص129.

[2]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص22.

[3]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، بيسان، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص35.

يسمى غالبا بالقياس كونه قولا مؤلفا من قضيتين يلزم عنهما قضية ثالثة وتسمى القضيتان بالمقدمتين، كما تسمى القضية اللازمة عنهما بالنتيجة"[1]، التي يسعى المتكلم من خلال مقدماتها لإقناع مستمعه بها و الوصول إليها.

والحقيقة أن القياس هو "أهم طرق الاستدلال في المنطق الصوري الأرسطي القديم حتى أطلق عليه القدماء اسم المنطق القياسي، مقابلا للمنطق الاستقرائي المادي الحديث، باعتبار أن المنطق القياسي منطقا صوريا يختص بالشكل والشكل وحده، بينما الاستقرائي منطق مادي يهتم بمادة الفكر ومضمونه حتى أصبح لدينا طرق ثلاثة متفاوتة للوصول بها إلى المعرفة القياس والاستقراء والتمثيل"[2] وهي الآليات الأساسية للاستدلال غير المباشر.

نتطرق فيما سيأتي إلى كل نوع من أنواع الاستدلال بتقسيماته على اعتبار كل قسم آلية من آليات التحليل المنطقي للخطاب عامة والخطاب الحجاجي منه على وجه الخصوص.

2.آليات الاستدلال المباشر في الخطاب الحجاجي:

عرفنا أن الاستدلال عموما هو "استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة، أو هو عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى التجربة"[3]، وأن قسمه الأول الاستدلال المباشر "لا يحتاج فيه الباحث إلى أكثر من قضية واحدة"[4]، تكون هي الموضوع الأساس الذي ينطلق منه المتكلم إذ تعدّ هذه القضية هي المقدمة التي يستلزم عنها الوصول بذهن المخاطَب إلى نتيجة معلومة لدى المخاطِب، فننتقل بذلك من المعلوم إلى المجهول كقولنا مثلا:

---

[1]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص35.

[2]- إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء (المنطق الحديث)، ص12-13.

[3]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط4، 1993، ص149.

[4]- المرجع نفسه، ص150.

- الألبان من مشتقات الحليب، الرائب من الألبان.
- الرائب من مشتقات الحليب.

ينقسم الاستدلال المباشر إلى فرعين أساسيين هما :

1.2. التقابل:

التقابل في اللغة هو مقابلة الشيء لنقيضه أو ضده "فكل قضية موجبة أو سالبة باستطاعة الفكر أن يشتق منها مباشرة قضية أخرى مخالفة لها في الكيف (الإيجاب أو االسلب) أو في الكم (الكلية والجزئية)"[1]، والاستدلال بالتقابل هو أيضا "اختلاف قضيتان بالكم أو الكيف أو بهما معا، مع العلم أنّ موضوعهما ومحمولهما واحد"[2]، فعلى سبيل المثال:[3]

- إذا كانت قضية موجبة اشتق منها بمقتضى التقابل العقلي قضية سالبة.
- إذ كانت قضية سالبة اشتق منها بمقتضى التقابل العقلي قضية موجبة.
- إذا كانت قضية كلية اشتق منها بمقتضى التقابل العقلي قضية جزئية.
- إذا كانت قضية جزئية اشتق منها بمقتضى التقابل العقلي قضية كلية.

كل ذلك مع المحافظة على موضوع القضية ومحمولها وكل قيودهما وشروطهما ومتعلقاتهما.

أنواع التقابل وأحكامه: يتخذ الاستدلال بالتقابل في الخطاب عامة والحجاجي منه على وجه الخصوص عدة أوجه هي:

- التقابل بالتضاد.
- التقابل بالتناقض.
- التقابل بالدخول تحت التضاد.

---

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص149.

[2]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص36.

[3]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص149.

- التقابل بالتداخل.

وسنوضح هذه الأوجه من خلال نماذج من خطابات الرئيس السابق **عبد العزيز بوتفليقة** باعتبارها خطابات سياسية قائمة على آلية الإقناع:

1.1.2.التقابل بالتضاد:

ويكون هذا النوع من التقابل في "قضيتين كليتين مختلفتين في الكيف بين (ك، م) و (ك، ج)"[1]، ويكون التقابل بالتضاد بين "لفظين مثبتين يدلاّن على صفتين بينهما غاية الخلاف، أي بين لفظين لا يصدقان معا على شيء واحد في آن واحد، ولكن قد يكذبان"[2].

أحكام التقابل بالتضاد: للتقابل بالتضاد عدة أحكام نذكرها كما يلي:[3]

1– القضيتان المتقابلتان بالتضاد لا تصدقان معا ولكن قد تكذبان معا.

مثال: خطاب ل**عبد العزيز بوتفليقة**[4] «إعلان الترشح لرئاسيات 2009»: الكل يعترف بدور الجزائر البارز على الساحة الإفريقية.

إذا كانت القضية (الكل يعترف بدور الجزائر على الساحة الإفريقية) صادقة، فإن القضية (لا أحد يعترف بدور الجزائر على الساحة الإفريقية) كاذبة.

2– إذا كانت إحدى الكليتين المتضادتين كاذبة تكون الثانية إما صادقة أو كاذبة، ولذلك نقول عنها (غير معروفة أو مجهولة).

---

[1]– عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص38.

[2]– المرجع نفسه، 18.

[3]– المرجع نفسه، ص38.

[4]– زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص65.

مثال: خطاب ل**عبد العزيز بوتفليقة**[1] «إعلان الترشح لرئاسيات 2009»: سيكون في مقدور النساء تعزيز مكانتهن على الساحة السياسية.

إذا كانت القضية (ك، م)، (سيكون بمقدور كل النساء تعزيز مكانتهن على الساحة السياسية) كاذبة، فإن القضية (ك، س)، (لن يكون بمقدور كل النساء تعزيز مكانتهن على الساحة السياسية) قد تكون صادقة أو كاذبة (غير معروفة).

2.1.2.التقابل بالتناقض:

يدّل معنى التناقض في القضايا على "اختلاف القضيتين في الإيجاب والسلب ويلزم صدق واحدة منهما فقط، ويكون التناقض بين قضيتين مختلفتين في الكم والكيف معا، أي بين (ك، م) و(ج، س) وبين (ك، س) و(ج، م)"[2] وحكم التقابل بالتناقض هو" أن صدق أحدهما يلزم منه كذب الآخر، وإن كذب أحدهما يلزم منه صدق الآخر، وبعبارة أخرى أنّ اجتماع القضيتين المتناقضتين محال، وارتفاعهما أيضا محال"[3].

مثال: خطاب **عبد العزيز بوتفليقة**[4] «في ذكرى مجازر 8 ماي 1945 بسطيف يوم 8 ماي 2012»: أنا واثق بأن شباب الجزائر الذي تخرّج بالملايين سيتصدى لمن يتربص بالبلاد شرّا، واثق بأنه سيتصدى لدعاة الفتنة والفرقة وحسابات التدخل الأجنبي.

- القضية (أنا واثق بأن شباب الجزائر سيتصدى لدعاة الفتنة والفرقة والتدخل الأجنبي)
- يقابلها (أنا واثق بأن شباب الجزائر سيحتضن دعاة الفتنة والفرقة والتدخل الأجنبي).

فالقضيتان متناقضتان تماما وإن صدقت إحداهما فإن الأخرى كاذبة حتما والعكس صحيح، ولفظتي التناقض بين العبارتين هما (سيتصدى، سيحتضن) فالأولى بالمعنى الإيجابي وهو التصدي

[1]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص72.
[2]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص38-39.
[3]- يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، شبكة الفكر، ط1، 2007، ص284.
[4]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص62.

والوقوف في وجه التدخل الأجنبي الداعي للفتنة والفرقة بين الشعبي الجزائري، أما اللفظ الثاني (سيحتضن) فهو بالمعنى السلبي فغالبا "ما يكون التناقض بين لفظ مثبت ونفيه أي بين لفظين لا يصدقان معا في آن واحد على شيء واحد، ولا يكذبان معا، مثال ذلك: (إنسان، لاإنسان) فإما أن يكون الكائن إنسانا أو لاإنسان، ولا ثالث لهذين الاحتمالين"[1]. وفي المثال السابق فإما أن يكون شباب الجزائر متصديا لدعاة الفتنة والتدخل الأجنبي وإما أن يحتضنه فيذهب مع ذلك ما فيه صلاح للوطن والمواطن.

ينقسم التناقض بدوره إلى فرعين اثنين:

1- التناقض في القضايا المخصوصة (الشخصية)[2]:

مثال: خطاب عبد العزيز بوتفليقة

- « La Tunisie et l'Algérie donneront une impulsion nouvelle à la réalisation du Maghreb »[3]

- تونس والجزائر ستمنحان دفعا جديدا للاتحاد المغاربي.

- « La Tunisie et l'Algérie ne donneront pas une impulsion nouvelle à la réalisation du Maghreb ».

- تونس والجزائر لن تمنحا دفعا جديدا للاتحاد المغاربي.

فالقضية الأولى موجبة ومقابلتها القضية الثانية سالبة والملاحظ "بداهة في التقابل بالتناقض أنه إذا كانت القضية الأولى صادقة حتما فالقضية الثانية كاذبة حتما، فلا يمكن أن تكونا صادقتين معا، ولا يمكن أن تكون كاذبتين معا، فبينهما تناقض إذا صدق إحداهما ينقض حتما صدق الأخرى ويجعلها كاذبة"[4]، وقد قلنا أن القضية الأولى صادقة لأن خطاب الرئيس السابق الذي توجه به إلى

---

[1]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص18.

[2]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص156.

[3]- l'âge d'or de la diplomatie Algérienne 1963-1979, p67.

[4]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص156.

الوفد التونسي حينما شغل منصب وزيرا للخارجية هو خطاب إقناعي حجاجي بالدرجة الأولى ذلك أن اعتبار العلاقات الثنائية بين البلدين هي دفع جديد للعلاقات بين دول المغرب لكون الجزائر وتونس إحدى دول المغرب العربي الكبير من جهة، ومن جهة أخرى فإن التذكير بذلك هو دعوة منه إلى التجديد والتطوير في هذه العلاقات الثنائية بين البلدين وهي قضية موجبة صادقة.

في حين أن القضية الثانية سالبة لاستحالة الاعتقاد بأن العلاقة بين الجزائر وتونس لا تعطي أي دفع جديد للاتحاد المغاربي أو تسهم بشكل أو بآخر في تعطيل ذلك، وهو ما لا يتقبله ذهن المتلقي لهذا الخطاب أو القضية.

كذلك هو الحال إذا كانت القضية الأولى سالبة والأخرى موجبة تتحدان في الموضوع والمحمول من كل الوجوه ولكن اختلف الكيف فيهما إيجابا وسلبا أي يمكن لنا اعتبار "نقيض القضية الشخصية (المخصوصة) هو مثلها تماما مع تبديل الكيف فيها، فإن كان موجبا وضع بدلا سالبا في القضية المقابلة، وإن كان سالبا وضع بدله موجبا في القضية المقابلة، هذا مع المحافظة التامة على حدي القضية (الموضوع والمحمول) بكل قيودهما وشروطهما ومتعلقاتهما"[1].

مثال: كلمة عبد العزيز بوتفليقة في المؤتمر 09 للإتحاد البرلماني العربي. الجزائر 2000/02/21م:[2]

«... على هؤلاء وهؤلاء أن يعلموا نهائيا بأن قضية الشعب الفلسطيني هي قضية عادلة...»

ق1: قضية الشعب الفلسطيني هي قضية عادلة.

ق2: قضية الشعب الفلسطيني ليست قضية عادلة.

الموضوع والمحمول في كلتا القضيتين متحد في كل الوجوه، فالموضوع هو القضية الفلسطينية، والمحمول هو أحقيتها في الأولى (ق1) وعدم أحقيتها في (ق2).

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص157.

[2]- ابراهيم رماني، مختارات من خطب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ص729.

أما عن قضية الصدق والكذب فإن ما جعل (ق1) تصدق حتما هو إيماننا كعرب وكمسلمين ومن الجانب الإنساني أيضا بأن الشعب الفلسطيني شعب مظلوم أخذت منه أرضه غصبا من طرف المحتل الصهيوني، وهو ما يثبت عدالة هذه القضية دون منازع.

2- التناقض في القضايا المحصورة: نقصد بالتناقض في القضايا المحصورة "أي القضايا المسورة بسور كلي أو جزئي"[1] أن التناقض هنا تناقض في الكم والكيف معا مع الأخذ بالحسبان أن التناقض هو صدق إحدى القضيتين وكذب الأخرى حتما ولا يمكن لهما الاثنتين الصدق معا أو الكذب معا.

سنوضح للتناقض في القضايا المحصورة بأمثلة من خطاب رئيس الجمهورية السابق **عبد العزيز بوتفليقة،** علما أن هذه الخطابات هي حجاجية إقناعية بالدرجة الأولى يتوجه بها إلى متلق محدد (الشعب الجزائري، وفد حكومي) آنذاك وهي كثيرا ما ترتبط بمناسبة معينة مثلا منها الوطنية أو حملاته الإنتخابية...إلخ.

كيف يكون نقيض القضية الكلية؟

مثال: خطاب ل**عبد العزيز بوتفليقة**

"الكل يعلم أن مستقبل بلد ما لا يمكن أن يتوقف على مؤسسات الدولة وحدها"[2]

الجاهل لا يعلم أن مستقبل بلد ما لا يتوقف على مؤسسات الدولة وحدها.

مثال:

"كل السكان في مقاعد الدراسة بأطوارها المختلفة"[3]. (ك.م كاذبة).

بعض السكان في مقاعد الدراسة بأطوارها المختلفة. (ج.س صادقة).

---

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 162.

[2]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص68.

[3]- المرجع نفسه، ص50.

مثال:

بعض المواطنين سيوافقون على مشروع المصالحة الوطنية من أجل إنقاذ البلاد.

كل المواطنين لن يوافقوا على مشروع المصالحة الوطنية من أجل إنقاذ البلاد.

نلاحظ من خلال الأمثلة التي سبقت أن التقابل بالتناقض هو "أكمل الأنواع لأنه يعطي أحكاما قاطعة إما صادقة أو كاذبة حتما، ولا يتضمن أحكاما غير معروفة كما هو الحال في أنواع التقابل الأخرى"[1]. والجدول التالي يلخص لنا مجموعة القوانين في التناقض بين القضايا وما يقابلها:[2]

	القضية	مقابلها
1	**المخصوصة (الشخصية) الموجبة**	**مخصوصة سالبة**
	(أ) هو (ب)	**(أ) هو ليس (ب)**
2	**المخصوصة (الشخصية) السالبة**	**مخصوصة موجبة**
	(أ) هو ليس (ب)	**(أ) هو (ب)**
3	**الكلية الموجبة**	**جزئية سالبة**
	كل (أ) هو (ب)	**بعض (أ) ليس (ب)**
4	**الكلية السالبة**	**جزئية موجبة**
	لاشيء من (أ) هو (ب)	**بعض (أ) هو (ب)**
5	**الجزئية الموجبة**	**كلية سالبة**
	بعض (أ) هو (ب)	**لاشيء من (أ) هو (ب)**
6	**الجزئية السالبة**	**كلية موجبة**
	بعض (أ) ليس (ب)	**كل (أ) هو (ب)**

[1]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص39.

[2]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص165.

كيفية الاستدلال بالتناقض:[1] يستدل بالتناقض كما يلي:

- أن يعمد المستدِّل إلى نقيض القضية (المطلوب البرهان عليها) فيبرهن على صدقها أو كذبها.
- فإذا ثبت صدق القضية (النقيض) بالبرهان يطبّق عليها قاعدة النقيضين وهي (النقيضان لا يصدقان معا ولا يكذبان معا).
- وإذا ثبت كذب القضية (النقيض) ينتج بعد تطبيق قاعدة النقيضين صدق القضية المطلوب.

مثال: "إن رصيد الجزائر طافح بالتجارب والدروس"[2].

المطلوب: إثبات صدق القضية أو كذبها.

المفروض: أن رصيد الجزائر فعلا طافح بالتجارب والدروس بدء بالمستدمر الفرنسي، إلى العشرية السوداء، وغيرها من الأحداث التي توالت على تاريخ الجزائريين، وإذا استدلينا على هذا القول بطريقة التناقض نقول:

المطلوب: إن رصيد الجزائر طافح بالتجارب والدروس.

النقيض: إن رصيد الجزائر ليس طافحا بالتجارب والدروس.

الاستدلال: بما أن النقيضان لا يصدقان معا ولا يكذبان معا فإن صدق إحدى القضيتين يتولد عنه استلزاما كذب الأخرى، فإذا اعتبرنا المطلوب والنقيض حدي القضية فإنه حتما سيصدق أحدهما ويكذب الآخر، والمطلوب الذي بين أيدينا «رصيد الجزائر طافح بالتجارب والدروس» مأخوذ من خطاب الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة في سعي منه إلى توعية مخاطبيه بضرورة القيام بالواجب الإنتخابي، فما عاشه الشعب الجزائري وما مرّ به من أزمات وتجارب لم تولد سوى الدروس والهمم وتشدّ العزائم.

---

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص165.

[2]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص61.

وهذا الخطاب من منظور حجاجي تذكير ودعوة من عبد العزيز بوتفليقة إلى ضرورة ممارسة الحق الإنتخابي فيقتنع المستمع بخطابه نتيجة تفكيره لمصلحته ومصلحة وطنه وحفاظا على سلامته من الدسائس.

النتيجة: صدق (إن رصيد الجزائر طافح بالتجارب والدروس).

3.1.2. التقابل بالدخول تحت التضاد:

يعدّ هذا النوع القسم الثالث من أقسام التقابل وباختصار "يكون التقابل بالدخول تحت التضاد بين قضيتين جزئيتين في الكيف (ج م) (ج س) وحكمه: القضيتان المتقابلتان بالدخول تحت التضاد لا تكذبان معا ولكن يحتمل أن تصدقا معا.

- فإذا كانت القضية (ج م) (بعض الحكماء سعداء) كاذبة، فإن القضية (ج س) (ليس بعض الحكماء بسعداء) صادقة.
- أما إذا كانت القضية (ج م) صادقة (بعض الحكماء سعداء) يحتمل أن تكون صادقة، وكذلك الحال فيما لو بدأنا بالحكم على القضية (ج س)"[1].

ولنا أن نوضح بالأمثلة التالية:

- القضية — مقابلتها
- جزئية موجبة — جزئية سالبة
- بعض المجاهدين أحياء (صادقة) — بعض المجاهدين ليسوا بأحياء (كاذبة)
- بعض الأحياء مجاهدون (صادقة) — بعض الأحياء ليسوا بمجاهدين (صادقة)
- ليس بعض المواطنين بحيوان (صادقة) — بعض المواطنين حيوان (كاذبة)

[1]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص39.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن القضيتين المتقابلتين بالدخول تحت التضاد "لا يقتضي صدق إحداهما كذب الأخرى لاحتمال صدقهما معا كما في المثال الثاني فالقضيتان المتقابلتان فيه صادقتان كما هو ظاهر فالحال هنا عكس الحال في التضاد، من هنا نستخلص القانون التالي: التقابل بين الجزئية الموجبة والجزئية السالبة هو من قبيل الدخول تحت التضاد"[1].

2.2. التداخل:

يقصد بالتداخل عموما "التشابك والتشابه والاختلاف بين الأشياء والقضيتان المختلفتان هما المختلفتان في الكم دون الكيف وسميتا متداخلتين لدخول إحداهما في الأخرى لأن الجزئية داخلة في الكلية، فالكلية إذا صدقت صدقت الجزئية المتحدة معهما في الكيف ولا عكس، ولازم ذلك أن الجزئية إذا كذبت كذبت الكلية المتحدة معها في الكيف ولا عكس"[2].

مثال:

كل المغاربة أفارقة **صادقة ولابد أن تصدق معها** بعض المغاربة أفارقة **قطعا**.

بعض المغاربة آسيويون **كاذبة ولابد أن تكذب معها** كل المغاربة آسيويون **قطعا**.

حكم التداخل: تغييره من أنواع الاستدلال المنطقي للتداخل في القضايا أيضا أحكام خاصة به نذكرها كما يلي:[3]

- إذا صدقت الكلية صدقت الجزئية تبعا لها، لأنها بعض أفرادها وإذا كذبت كذبت الجزئية كذبت الكلية، لأنه إذا لم يكن البعض صادقا فالكل لا يكون صادقا حتما.
- لا يقتضي صدق الجزئية صدق الكلية، وقد تصدق وقد تكذب لأن صدق بعض الشيء لا يستلزم صدقه كله.

---

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص172.

[2]- يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، ص292.

[3]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص173.

- لا يقتضي كذب الكلية كذب الجزئية فقد تصدق الجزئية مع كذب الكلية، وقد تكذب لأن كذب الأعمّ لا يستلزم كذب الأخصّ.

والتداخل يكون بين قضيتين مختلفتين في الكم فقط أي بين:

الكلية الموجبة والجزئية الموجبة / الكلية السالبة والجزئية السالبة

نمثل لما ذكرنا سابقا بما يلي:

مثال: ق1: كل الجزائريين نساء (ك م) كاذبة / ق2: بعض الجزائريين نساء (ج م) صادقة

كذبت (ق1) وهي كلية موجبة في حين صدقت الجزئية المشتقة منها: بعض الجزائريين نساء. إذ يمكن أن نقول أن بعض الجزائريين نساء لكن لا يمكن أن نقول بأن كل الجزائريين نساء فلا يصح الإستدلال بهذه الكلية الموجبة في أي خطاب من الخطابات سواء كان حجة أو دليل.

3.2. العكس في القضايا:

يعد العكس ثاني أنواع الاستدلال في القضايا غير المباشرة بعد التقابل ودلالته في اللغة تختلف من استعمال إلى آخر فيدل تارة حول القلب بين شيئين وتارة يدل العكس على التحويل والتحوّل من اتجاه إلى آخر، وتارة أخرى على التبديل بين أمرين أو شيئين...إلخ، أما عن مفهومه في الاصطلاح فإن العكس في القضايا ينقسم إلى نوعين:

أ–العكس المستوي: وهو "تبديل طرفي القضية مع بقاء الكيف والصدق أي أنه تحويل موضوع القضية (المحكوم بصدقها) إلى محمول، وتحويل محمولها إلى موضوع، أو تحويل المقدم تاليا والتالي مقدما... مع المحافظة على بقاء الصدق وبقاء الكيف (الإيجاب والسلب) فتسمى القضية الأولى بـ (الأصل) وتسمى القضية الثانية بـ (العكس المستوي)"[1]. ونوضح لما ذكرنا بمجموعة من الأمثلة التي ستلحق فيما بعد:

[1]– عبد الهادي الفضلي، مذكرة المنطق، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، دط، 1409هـ، ص119.

وقد سمي هذا العكس بالمستوي "لأن القضية معكوسة بقوة الأولى تستوي معها في الصدق"[1] أي أن التبديل بين طرفي القضية لا يؤثر على محمولها كما لا يؤثر أيضا على كيف هذه القضية، فإذا اعتبرها القضية الأولى هي الأصل "فإن الأصل إذا كان صادقا وجب صدق العكس، ولكن لا يجب أن تتبعه في الكذب، فقد يكذب الأصل والعكس صادق، ولازم ذلك أن الأصل لا يتبع عكسه في الصدق ولكن يتبعه في الكذب، فإذا كذب العكس كذب الأصل لأنه لو صدق الأصل يلزم منه صدق العكس والمفروض كذبه"[2]، أي أن الكيف في العكس يتحدد بحسب طبيعة العلاقة التي تربط الأصل بعكسه أو الموضوع بمحموله.

شروطه: يشترط في العكس المستوي ما يلي:[3]

- **تبديل الطرفين:** أي تحويل الموضوع محمولا والمحمول موضوعا أو تحويل المقدم تاليا والتالي مقدما وقد ذكرنا هذا فيما سبق.
- **بقاء الكيف:** أي إذا كانت القضية الأولى موجبة يجب أن تكون القضية الثانية موجبة أيضا، وإذا كانت القضية الأولى سالبة يجب أن تكون القضية الثانية سالبة أيضا.
- **بقاء الصدق:** أي يلاحظ أن لا يكون تبديل الطرفين موجبا لكذب القضية الثانية.

هذه الشروط لابد من توافرها في الاستدلال بالعكس المستوي وغياب أي شرط منها ليس مخلا فحسب بل هو غير ممكن.

أحكام الاستدلال بالعكس المستوي:[4]

- إذا صدق الأصل صدق عكسه.

---

[1]- يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، ص303.

[2]- المرجع نفسه، ص303.

[3]- عبد الهادي الفضلي، مذكرة المنطق، ص121.

[4]- يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، ص304-305.

كل الآثار تشهد على معاناة الشعب الجزائري (الأصل).

بعض معاناة الشعب الجزائري تشهد عليها الآثار (العكس).

- إذا كذب الأصل لا يلزم كذب العكس.

كل الآثار متاحف (كاذبة).

بعض المتاحف آثار صادقة.

- إذا كذب العكس كذب أصله...

بعض السياسيين ليس قائدا موفقا.

كل سياسي ليس قائدا موفقا.

- إذا صدق العكس لا يلزم صدق الأصل...

بعض المواطنين عمال.

كل المواطنين عمال.

كيفية الاستدلال بالعكس المستوي:

يمكن الاستدلال بالعكس المستوي من خلال "اعتماد المستدل إلى القضية المطلوب البرهان عليها، فيعكسها ويبرهن على صدق القضية الثانية، ثم بعد أن يثبت صدقها يطبّق قاعدة العكس وهي (إذا صدق الأصل صدق عكسه) فينتج صدق القضية المطلوب الاستدلال عليها لصدق أصلها"[1]. ولنا أن نوضح بالمثال الآتي:[2]

بعض الجزائريين شباب (المطلوب).

كل الجزائريين شباب (الأصل) على اعتبار أنهم يشكلون أعلى نسبة في المجتمع.

[1]- ينظر: عبد الهادي الفضلي، مذكرة المنطق، ص121.

[2]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص58.

الاستدلال: وقد ثبت بالبرهان في محله صدق الأصل وهو (كل الجزائريين شباب) على اعتبار أنهم يشكلون أعلى نسبة في المجتمع 70%، فلابد من صدق العكس وهو (بعض الجزائريين شباب) لأنه إذا صدق الأصل صدق عكسه، وقد صدق الأصل (كل الجزائريين شباب) فلابد أن يصدق عكسه وهو (بعض الجزائريين شباب).

إن ما نستنتجه من الاستدلال بالعكس المستوي هو أن له صلة وطيدة بالمنطق كونه مجموعة من الاستلزامات العقلية تنتج إثر قلب بين المحمول والموضوع، فهو -العكس المستوي- "استنتاج قضية منطقية من قضية أخرى تخالفها في وضع كل من الموضوع والمحمول، أي أن العكس المستوي لقضية منطقية هو تحويلها إلى قضية أخرى موضوعها محمول اللقضية الأولى ومحمولها موضوع تلك القضية مع بقاء الصدق والكذب بحاله، والسلبي والايجابي بحاله وتسمى القضية الأولى (الأصلية)، بينما تسمى القضية الثانية (المعكوسة)"[1] وقد فصلنا لهذا سلفا.

عكس النقيض: وهو النوع الثاني من أنواع العكوس ويعرّف على أنه "تحويل القضية إلى قضية موضوعها نقيض محمول القضية الأولى، ومحمولها نقيض موضوع القضية الأولى مع بقاء الكيف والصدق"[2]، فالقضية هنا لم تعد تقتصر على التبديل بين الموضوع والمحمول فحسب بل هي قضية عكس لكل طرف منهما مع الإبقاء على الكيف والصدق.

شروط عكس النقيض: لعكس النقيض أيضا شروط نلخصها كما يلي:[3]

- تبديل طرفي القضية مع قلب الطرف إلى نقيضه أي تحويل نقيض محمول القضية الأولى موضوعا للقضية الثانية ونقيض موضوع القضية الأولى محمولا للقضية الثانية.
- بقاء الكيف أي القضية الموجبة تبقى موجبة بعد التبديل، وسالبة تبقى سالبة كذلك.

[1]- عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، ص41-42.
[2]- المرجع نفسه، ص42-43.
[3]- عبد الهادي الفضلي، مذكرة المنطق، ص123-124.

- بقاء الصدق أي يراع أن لا يكون تبديل الطرفين موجبا لكذب القضية الثانية.

حكمه: إذا صدق العكس كان الأصل صادقا، وإذا صدق الأصل صدق عكس النقيض.

طريقة الاستدلال بعكس النقيض: يمكن الاستدلال بعكس النقيض من خلال الارتكاز على الأمور التالية:[1]

- الأصل (القضية المطلوبة).
- عكس النقيض.
- الاستدلال على صدق الأصل بعكس النقيض.
- إثبات صدق عكس النقيض.
- تطبيق قاعدة عكس النقيض وهي: (إذا صدق الأصل صدق عكس نقيضه).
- النتيجة: صدق الأصل.

مثال: الكلمة التي ألقاها الرئيس السابق في الدورة 13 لجامعة الدول العربية، عمان الأردن، 2001/03/28 في دعوة منه إلى توحيد الأمة العربية وعرض مصالحة عربية شاملة:[2]

كل تحد يتوق إلى غد أفضل (الأصل).

إذا أردت إثباته وإظهار صدقه فعليك بعكس نقيضه وهو:

كل لاتحد لا يتوق إلى غد أفضل (عكس النقيض)

ثم برهن على صدق عكس النقيض:

[1]- محمد التقي الحسيني الجلالي، تقريب التهذيب في علم المنطق، مطبعة الآداب، النجف، العراق، ط2، 1980م، ص132.

[2]- ابراهيم رماني، مختارات من خطب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ص387.

لدينا الأصل: خطاب للرئيس السابق **عبد العزيز بوتفليقة** الذي هو دعوة منه إلى توحيد صفوف العرب وعرض مصالحة عربية (كل تحد يتوق إلى غد أفضل) «ق ص».

يستدل المتكلم بهذا القول لإقناع مخاطبيه بضرورة توحيد الأمة العربية وتوطيد علاقات المحبة والإخاء وهو تحد حقيقي لهم في ظل تطور العلاقات الدولية حتى يتسنى لهم التأثير بالإيجاب على أوطانهم وعلى دول العالم باعتبارهم طرفا دوليا فاعلا.

إذن: كل تحدّ يتوق إلى غد أفضل (ق ص) وهو الأصل.

عكس النقيض: كل لاتحدّ لا يتوق إلى غد أفضل (ق ص) إذ أن قاعدة عكس النقيض هي إذا صدق الأصل صدق عكسه فتخلي العرب عن هذا التحدي هو تخلي عن قوتهم التي كانت ستتجسد في صوت واحد.

3.آليات الاستدلال غير المباشر:

نتعرض في هذا الجزء من المبحث إلى آليات الاستدلال غير المباشر ونطبقها على خطابات سياسية ذات صبغة إقناعية حجاجية وهي ثلاث آليات: الاستقراء، القياس، التمثيل.

1.3. الاستقراء:

يعد الاستقراء من طرق الاستدلال غير المباشر ويُعرّف على أنه "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعها، أو انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته"[1] أي أن الاستقراء يكون بحثا في الجزئيات التي تتشكل منها الأشياء حيث أن "الذهن يدرس أكثر الجزئيات فيستنبط منها حكما عاما كليا، فالاستقراء عملية صاعدة ينتقل فيها العقل من أحكام جزئية إلى حكم كلي"[2] من خلال الاعتماد على الاستدلال المنطقي في استقراء هذه القضايا.

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص188.

[2]- يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، ص397.

مثال: خطاب **عبد العزيز بوتفليقة** بمناسبة اليوم الوطني للشهيد بالبليدة يوم 2009/02/18:[1]

«إن قناعتي بأنه طالما تشبثنا بإرادتنا في البناء وعولنا على مواردنا وأحسنا توظيفها وكرسنا كل طاقاتنا لخدمة أهداف محسوبة فإن النجاح سيكون حليفنا لا محالة».

نتفق جميعا على أن وجود الإرادة لدى أي شخص وتوفر الموارد وكذا حسن استغلالها كاف لنجاحه في أي مشروع كهدف للوصول إليه، في الخطاب السابق الذي يكتسي صبغة إقناعية يعتمد على آليات الحجاج، كونه قدم للمخاطبين (جمهور المواطنين) من خلال خطابه هذا دفعا معنويا ونشاطا تحفيزيا للنهوض بوطنهم الجزائر بالاعتماد على أكثر من مقدمة (الإرادة، التعويل، وفرة الموارد، حسن استغلالها) فإذا اعتبرنا هذه المقدمات هي بمثابة حجج انطلق منها المتكلم للاستدلال بها على حال الكلي (النجاح في تحقيق الأهداف) فإننا نستقرئ من خلال هذا الخطاب أن هنالك أساسيات لنجاعة أي مشروع كان على اختلاف هذه المشاريع.

أنواع الاستقراء: ينقسم الاستقراء إلى قسمين:

الاستقراء التام: وهو "الاستقراء الذي نتصفح به جميع أفراد الكلي المبحوث عنه، فنحكم حكما كليّا بما حكمنا به على الأشياء جميعها. وهو يفيد اليقين ولكنه نادر الوقوع وذلك لصعوبة استقراء جميع الأشياء"[2]. إذ نادرا ما يمكن الحكم بالأجزاء على الكل حكما تاما خاليا من الظن والاحتمال وربما نجد هذا في مجال العلوم التجريبية أكثر منه في العلوم الإنسانية.

ونشير في هذا السياق إلى أن من "أهم خصائص الاستقراء التام أنه استدلال مقدماته كلية ونتيجته كلية، ومن ثمّ فالنتيجة لازمة عن المقدمات لأنه ليس بالنتيجة غير ما قررته المقدمات من قبل"[3].

---

[1]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص51.

[2]- يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، ص397.

[3]- إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء (المنطق الحديث)، ص34.

مثال:

- تعهد عبد العزيز بوتفليقة بمواصلة ترقية المصالحة الوطنية، والمواطنين أيضا.
- إذن فكل الجزائريين تعهدوا بترقية المصالحة الوطنية.

الاستقراء الناقص: يسمى هذا الاستقراء أيضا بالاستقراء التعميمي لكونه "يكتفي بعينة من الظواهر"[1] هذه الظواهر بمثابة جزئيات ننطلق منها للحكم على الكل.

ويعرّف الاستقراء الناقص بأنه "تفحص حال أكثر الجزئيات لمعرفة حال الكلي وهذا القسم من الاستقراء لا يفيد القطع بحال الكلي لكنه يوجب الظن بحاله"[2]. أي أن هذا القسم هو عكس القسم الأول تماما والذي يعتمد فيه على اليقينيات في الأحكام.

وقد "درس أرسطو الاستقراء الناقص أو الحدس التعميمي في كتاب التحليلات الثانية، حيث عني بالبرهان، وعرفه بأنه العملية التي بواسطتها ندرك أن مثلا جزئيا دليل على صدق تعميم ما، أو أن تلك العملية التي عن طريقها نصل إلى إدراك ما يسميه بالمقدمات الأولى أو الحقائق الضرورية بواسطة بعض الأمثلة التي تكشف عنها"[3]. من هنا أمكننا القول بأن هذا النوع من الاستقراء هو استقراء احتمالي يفترض فيه الدارس حكما تعميميا كليا لمعظم أحوال الجزئيات.

مثال: خطاب بوتفليقة:[4]

- الكفاءات الوطنية المخلصة تعرف تحولات ايجابية واقعية في مجال الإقتصاد.
- الوطن برمته يعيش مؤشرات اقتصادية واعدة ويعرف تحولات ايجابية واقعية يلمسها الجميع.

---

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص25.

[2]- محمد التقي الحسيني الجلالي، تقريب التهذيب في علم المنطق، ص184.

[3]- إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء (المنطق الحديث)، ص35.

[4]- زهرة الجزائر، رؤساء الجزائر، ص50.

الحجج الاستقرائية:

يتحدد الحجاج من خلال آليات الاستقراء في ثلاثة أشكال نوجزها كما يلي:[1]

- **المثل:** يتقدم كحالة خاصة وملموسة موجزا أو مفصلا لتدعيم أطروحة أو للمساهمة في تأسيسها، وهو حجة جارية تقدم قبل الأطروحة أو بعدها أو بالموازاة بعدها، يستعمل المثل أيضا كوسيلة للدحض فيسمى المثل المضاد الجدلي.
- **الإيضاح:** يستعمل في تقوية أطروحة مقبولة وإعطاءها مظهرا حيا ملموسا ولا يهدف إلى الإثبات بقدر ما يهدف إلى إثارة الخيال، لهذا ففعاليته لا تتعلق بواقعيته بالضرورة وقد يتجاوز الإيضاح إطار اللغة الطبيعي ليتخذ تشكلات متعددة: (الإيضاح الخطي، الموسيقي، الفيلمي، الأيقوني).
- **النموذج:** تقدم هذه الطريقة شخصية أو مجموعة بشرية كنموذج للتماهي، وتتأسس على حجة السلطة وتستهدف إثارة التقليد، وتستمد تقنيات الإقناع من الميل الطبيعي للأفراد إلى النماذج. تشكل بعض الشخصيات نماذج مضادة.

2.3.**القياس:** يعرّف بأنه "الاستدلال من حال الكلي على حال الجزئي"[2] وبهذا فإنه "عكس الاستقراء الذي يعتمد على الجزئيات في الحكم على الكليات"[3].

ويعرّف القياس عند المناطقة بأنه "قول مؤلف من قضايا يلزم لذاته قول آخر، أو هو الاستدلال من حال الكلي على حال الجزئي بتطبيق القاعدة الكلية على الجزئي لمعرفة حكمه"[4].

مثال:

- مات الجزائريون إبّان الحقبة الاستعمارية فقرا وجهلا ومرضا (قضية كبرى).

---

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص35-36.

[2]- محمد التقي الحسيني الجلالي، تقريب التهذيب في علم المنطق، ص134.

[3]- المرجع نفسه، ص138.

[4]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص23.

- الشهيد أحمد زبانة جزائري عايش الحقبة الاستعمارية (قضية صغرى).
- إذن الشهيد أحمد زبانة مات فقرا وجهلا ومرضا (نتيجة).

تعد القضيتان الأولى والثانية بمثابة مقدمتين تسميان "مقدمتين استدلاليتين، تختلفان في الوظيفة إذ تمثل المقدمة الأولى قانونا عاما (قضية كبرى) وتمثل المقدمة الثانية حدثا خاصا (قضية صغرى)، فإن ما ينتج عنهما من استنتاج يخضع في مشروعيته لقواعد دقيقة ومستقلة عن المحتوى التجريبي للعبارات، وعلى القياس أن يحدد العلاقات الصورية بين مكوناته (الأوجه)، وبين أنواع القضايا (الصيغ) وأن يوالف بين الأوجه والصيغ"[1]،أي أن النتيجة (إذن الشهيد أحمد زبانة مات فقرا و جهلا ومرضا) نتيجة حتمية توصلنا إليها قياسا أو بالنظر إلى القضايا التي سبقتها.

المبحث الثاني: الحجاج والاستدلال البلاغي

لا يمكن لأي دارس أو باحث في أحد العلوم أن يطلع على الدراسات الحديثة دون الرجوع إلى الدراسات القديمة التي خاضت في العلم نفسه ومعرفة التغيرات وكذا التطورات التي طرأت على مباحثه.

والبلاغة كذلك إذ تعدّ أحد علوم اللغة التي يتم بها بناء الخطابات خاصة منها الإقناعية، والحقيقة أن البلاغة بمعناها القديم حُصرت في ثلاث علوم سميت بعلوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، وهي مباحث علم البلاغة وقد رُكز فيها على أسلوب المتخاطبين.

أما البلاغة الجديدة فقد تم التركيز فيها على محاولة المزاوجة بين هذه الأساليب واستثمارها في المبحث الحجاجي الإقناعي، إذ يمكن للباحث معرفة كيف استدل مجموع المتخاطبين بهذه الأساليب البلاغية من استعارة وتشبيه وكناية واستفهام...إلخ.

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نشير إلى أنه لهذا "الإقناع طريقتان لغوية وعقلية، فالأولى: الإقناع اللغوي تستخدم فيه الوسائل اللغوية كالتراكيب الدالة على الثوابت والحقائق والتأكيد والأساليب

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص23.

الإقناعية المنطقية كالشرط والاستثناء والترجي في الحجاج حسب درجاته اللغوية، وبناء الجمل على هيئة القضايا التي تبدأ بالمقدمات وتنتهي بالمسلمات والنتائج. والطريقة الأخرى الإقناع العقلي: الذي يخاطب فيه المتكلم العقل بالحجة والدليل والمنطق والتسلسل الذي يرتقي إلى النتيجة وهو يبدأ بالمقدمة التي تحدد الموضوع أو القضية ثم العرض ثم أصل المشكلة ثم الدليل والحجة ثم النتيجة أو الحكم، وله آداب منها: التهيئة وحسن العرض بالترتيب بالتسلسل والتجانس مع مقتضى العقل، والتلطف في القول ومراعاة مقام المتلقي وحاله ومستواه العقلي، ووجدانه وتدعيم القول بالأدلة والأمثلة الواقعية فهي مدخل العقل وهذا أنجع في الإقناع"[1]، ولعل الإقناع اللغوي هو أقرب من الإقناع العقلي إلى علم البلاغة ذلك أن آدابه (التهيئة، حسن العرض، التركيب، التسلسل...) هي من صفات الشخص البليغ، بل هي أحد الشروط الأساسية والضرورية الواجب توفرها في الإنسان البليغ.

في هذا المبحث سنتناول آليات الاستدلال الحجاجي البلاغي من المنظور العربي الكلاسيكي بالاعتماد على مباحث البلاغة الثلاث: البيان، المعاني، البديع، ذلك أن النص التطبيقي المتناول في هذا المبحث من الخطاب القرآني الكريم –سورة الغاشية– الذي هو بلسان عربي مبين وحسب رأينا لنوفي الدراسة حقها ونعطيها قيمتها المستحقة.

وقبل الخوض في هذا لابد لنا من التذكير بما تكلمنا عنه في مباحث سابقة –الحجاج قراءة في المبادئ والمنطلقات– حول مفهوم الحجاج عند العلماء العرب من البلاغيين، إذ لا ننسى أنّ "البلاغة العربية قد قامت على معايير حجاجية إقناعية وجمالية، فمفهوم البلاغة عند العلماء يتضمن مبادئ الحجاج الإقناعي، قال **العتابي** فيمن اتصف بالبلاغة كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، أي أن الأصل في ذلك هو القدرة على الإبلاغ وإيصال الدلالة، وفسّر **الجاحظ** هذا فقال: ... إنما عني العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجال كلام العرب الفصحاء. أي: أن أمر تبليغ الدلالة ليس مطلقا أو ممكنا كيفما اتفق، ولكن له طرائق يجب أن تتفق مع سنن العرب الفصحاء ومجاري

[1]– محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأكيد والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2013، ص48-49.

كلامهم. وقال أبو **هلال العسكري** في تعليقه على تقدم حول قول **العتابي**: إنما عني إذ أفهمك حاجتك بالألفاظ الحسنة والعبارة النيرة فهو بليغ، بيد أن زاده الجانب الجمالي -**أبو هلال العسكري**- وأنه لا يمكن فصله عن جانب الدلالة في البلاغة العربية وعرّف البلاغة بأنها: كلما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنك في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن فجمع بين الجانب الدلالي والجانب الجمالي في العرض والاستدلال"[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدّل على أنّ وجود الجانب الجمالي في لغة المتخاطبين ضروري بل إنه أحد الركائز والدّعائم الأساسية لاستمالة طرف لطرف آخر قد يكون خصما له.

ونشير إلى أنّ "البلاغة لا تنحصر في المعنى فقط عند العرب، بل تتناول قضايا الأصوات والبنية الصرفية والنحوية والأساليب والسياقات، إذ لم ينشغل البلاغيون العرب بالقضايا الصورية المنطقية التي شغلت الفلاسفة الإغريق، واهتموا بدراسة المستويات اللغوية (الصوتي، الصرفي، التركيبي والدلالي) وربطوا بينها وبين المعنى وعالجوا الأداء الصوتي والتعبير الجسدي والإشاري، واهتموا بعناصر التأثير والإقناع، وربطوا بين التأثير وشخصية المتكلم وهيئته وحركاته وأداءه ولُسنه وطلاقته، كما درسوا الخطابة وقواعدها وعناصر التأثير والإقناع فيها وبلغت البلاغة العربية مرحلة النضج، التي تطمح إليها الدراسات الغربية الحديثة، التي غلب عليها قضايا الفلسفة والمنطق واستغرقت مساحة واسعة فيها وصار الحجاج من عمل الفلاسفة والمناطقة"[2]، غير أننا سنقتصر في هذا الجزء من الدراسة على الجانب الجمالي المتعلق بالآليات الاستدلالية البلاغية الحجاجية طبعا من خلال المباحث الثلاث البيان، البديع والمعاني.

ولنا أن نذكر هنا علاقة هذه العلوم بالاستدلال إذ يمكن أن نمثل لهذه العلاقة برأي **السكاكي** (ت626هـ) حول ذلك فقد "تناول مفهوم الاستدلال تناولا اجتثه من دائرة المنطق، وجعله ضابطا

[1]- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأكيد والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ص49-50.

[2]- المرجع نفسه، ص50-51.

من ضوابط الخبر، بل إن **السكاكي** يذهب إلى أن علم الاستدلال ضروري ولازم لصاحب علم المعاني والبيان قائلا: وإذا تحققت أن علمي المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها، بحسب ما يعنى به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فريدة من دوحتها، علمت أنه تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"[1].

1.آليات حجاجية من علم المعاني:

1.1.تعريف علم المعاني:

جاء في كتاب التعريفات تعريف المعاني بأنها: "الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزاءها الألفاظ والصورة الحاصلة في العقل، من حيث أنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث ثبوته والخارج سميت حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت هوية"[2]، وما نلحظه جليا في هذا التعريف هو على الرغم من تباعد تعريفات المعنى من حيث تعدد استعماله إلا أنها متقاربة من حيث المفهوم.

أما عن تعريف علم المعاني فإنه "من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف، أو تعريف وتمكير أو قصر أو فصل ووصل، أو إيجاز أو إطناب، وليس في كتب البلاغة الأولى إشارة إلى هذا العلم ولا نعرف أحدا استعمله وسمى به قسما من موضوعات البلاغة قبل **السكاكي** فقد كان من الأوائل الذين يستعملون مصطلح المعاني في دراساتهم القرآنية والشعرية، فيقولون «معاني القرآن» أو «معاني الشعر» ويتخذون

[1]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع2، مج40، أكتوبر –ديسمبر، 2011، الكويت، ص76.

[2]- محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1985، طبعة جديدة، ص235-236.

من ذلك أسماء لكتبهم، وليس في هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو أحد علومها"[1]، فالمعاني المقصودة هنا هي المقاصد أو المفاهيم المستخدمة في نصوص القرآن الكريم.

2.1. آلية الاستفهام: يحظى مفهوم الاستفهام بمكانة خاصة في البلاغة عامة وعلم المعاني خصوصا وُيعرّف بأنه "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، ومن ألفاظه حروف الاستفهام: الهمزة وهل، بالإضافة إلى أسماء الاستفهام: من، ما، أي، كيف، أين، أيّان، متى، أنّى، كم الاستفهامية"[2]، وهذا من باب التذكير لا غير فالذي يهمنا من هذا كله هو حرف الاستفهام «هل» الذي بدأت به السورة في قوله عزوجل: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[3]، فأين تكمن فعالية هذا الحرف حجاجيا وكيف يمكن الاستدلال على هذه الفعالية بلاغيا؟

لعلّ الفعالية الحجاجية لحرف «هل» تتعلق بأحد أغراض الاستفهام الأساسية والتي تمثلت في الأمر والنهي والنفي تارة والإنكار والإثبات والتقرير والتسوية والتشويق تارة أخرى... إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية.

وغرض الاستفهام في هذه الآية الكريمة واضح وجلي ألا وهو التشويق "فالمتكلم هنا يدرك الخبر ويشوق سامعه إلى سماعه، فكأنه يريد دغدغة المخاطَب وتحفيزه على الاستفهام لأنه يطرح السؤال ويجيب عنه غالبا"[4] فكل الآيات الكريمات التي بعد هل أتاك هي إجابة عن هذا السؤال الإخباري، ولعل التشويق جاء في بداية الكلام عن أهوال هذا اليوم لحكمة إلاهية وبإعجاز بلاغي منه عزوجل، وذلك ليستدرج به القارئ لكتابه أو المستمع لآيات السورة إلى الاشتياق والرغبة في معرفة إجابة هذا

[1]- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، المعاني، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، دط، 1980، ص67.

[2]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص293.

[3]- سورة الغاشية، الآية01.

[4]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص298.

السؤال وهو نوع من الاستدلال الحجاجي البلاغي يستميل به المخاطِب المخاطَب للبحث عما يتلو السؤال الاستفهامي من أخبار.

وفي السورة "الاستخبار لم يكن مقصودا فيها لأن الخبر ملقى من السائل في الآيات التي تلتها"[1]، كما نوضح لنقطة أساسية وهي أنه على غرار أن الاستفهام التشويقي لا يتطلب مخاطَبين إثنين متحاورين بل طرفا واحدا هو السائل وهو المجيب في الآن ذاته، فإنه للإيتوس الإلهي مكانة مقدسة لا يسمح فيها بأي نوع من أنواع التحاور أو الجدال سواء كان ذلك في الاستفهام التشويقي أو في أي نوع آخر من أنواع الاستفهام.

3.1.**آليتي الوصل والفصل في سورة الغاشية:** يعد الوصل والفصل أحد أهم الوسائل المستعملة في التواصل اللغوي، وأكثرها ورودا في الخطابات عامة والحجاجية منها على وجه الخصوص، إذ يعتمد المتكلم فيها على التسلسل في عرض الحجج والقضايا من خلال توظيف آليتي الفصل والوصل وتعد هاتين الأخيرتين "من بين المفاهيم الأساسية التي يمكن أن تفيدها البلاغة العربية في ممارستها لتحليل الكلام البليغ بيانه وبديعه ومعانيه"[2].

والخطاب القرآني مشبع الاستعمال بأدوات الوصل والفصل والصورة التي بين أيدينا نموذج مثالي للجانب التطبيقي من حيث هو استثمار لآلية الوصل والفصل حجاجيا.

يُعرّف الوصل بأنه "عطف جملة على أخرى بالواو أما الفصل فهو ترك هذا الوصل، وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك إذ لا تفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم"[3]، أما الفصل فهو استغناء عن الواو ونحوها.

---

[1]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص298.

[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011، ص100.

[3]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص347.

ورد الوصل والفصل في سورة الغاشية في مواضع كثيرة في قوله عزوجل: ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(20) ﴾[1].

إذا علمنا أن الوصل يتحقق بحرف الواو بوصفه وصلا حقيقيا فإن لوصل المتحقق بين الآيات ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(16) ﴾[2]

يفيد التراتبية في عرض الحجج وهو وصل مقبول من حيث كونه جامع بين المتعاطفات: الأسرّة العالية، الأكواب، والوسائد المصفوفة أو الموضوعة بجنب بعضها البعض، والزرابي أو البساطات المفروشة فهي"جمل متناسبة والشرط في العطف هو وجود جهة جامعة بين المتعاطفات فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة لا المتحدة ولا المتباينة وإلا فُصل، واعلم أنه إذا وجدت الواو بدون معطوف عليه قُدر مناسب المقام"[3]، كما أن حرف العطف «الواو» ذكر في الآيات من 14 إلى 19، بينما حذف في الآيات الأولى على الرغم من أنها حجج لا تختلف من حيث كونها وصفية لحال من الأحوال، بينما هي متباينة من حيث طبيعة هذا الوصف، فالآيات الأولى توجه الله سبحانه وتعالى فيها إلى الفئة العاصية من خلقه وهي الآيات التي حذف فيها حرف الوصل غير أن الوصل ظل قائما بالمعنى.

بينما أبقي على الحرف والمعنى في الآيات التي وصفت حال الفئة المؤمنة ولعل هذا يقودنا إلى معرفة مواضع الفصل من حيث كونه تركا لهذا الوصل، إذ أنه "من حق الجمل إذا ترادفت ووقع

[1]- سورة الغاشية، الآيات من 14 إلى 20.

[2]- سورة الغاشية، الآيات من 13 إلى 16.

[3]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 1999، ص180.

بعضها إثر بعض أن تربط بالواو لتكون على نسق واحد ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها ويسمى هذا فصلا وهو يقع في عدة مواضع"[1] نذكر منها ما اشتملت عليها السورة:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد ويسمى ذلك (كمال الاتصال) كقوله تعالى: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(5) ﴾ وهي آيات يدور معناها حول الجزاء نفسه النار المسعرة شديدة الحرّ (نارا حامية) عين متناهية الحرارة (تسقى من عين آنية) وفي هذا استدلال بلاغي خطابي "عمد فيه المخاطِب إلى طيّ الكثير من المقدمات والنتائج فيفهم من قوله عزوجل أمورا غير التي نطق بها (تصلى نارا حامية التي بها عيون وهذه العيون شديدة الحر يسقى منها الكفار والمنافقون)، غير أنه عزوجل ترك دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به"[2]، من خلال إبقاء الوصل قائما بين هذه الآيات الكريمات وإن كان فصلا في الظاهر (بدون أداة عطف).

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تام بدون إيهام خلاف المراد ويسمى ذلك (كمال الانقطاع) كوله جل في علاه: ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (8)﴾ فعلى مستوى العقل لا يمكن أن يلتقي ضعف المأكل والمشرب مع إشراقة الوجه ونعيمه، فإذا غابت وضعف البدن ظهرت آثار ذلك على الوجه، وهو فصل لأمرين مختلفين جملة وتفصيل غير أن ذلك لم يمنع من تحقق المعنى وبلوغ درجة الفهم المنشودة.

الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قوة ويسمى ذلك (شبه كمال الاتصال) كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ(3) ﴾ فغالبا ما يكون التعب والشقاء نتيجة الخضوع والإهانة والذل فوردت الآية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)﴾ بمثابة مقدمة وصف فيها الله عزوجل وجوه المنافقين بالخشوع نتيجة ما لقوه من تعب وشقاء وعناء ومذلة، وفي هذا وصل لفظي ووصل معنوي دعمت به

[1]– السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق يوسف الصميلي، ص183.

[2]– طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص47. (بتصرف)

الحجة الأولى وجوه يومئذ خاشعة الحجة الثانية عاملة ناصبة في صورة استدلال بلاغي حُذف فيه الدليل (واو الوصل) وأبقي على المدلول (الوصف).

2.آليات من علم البيان:

1.2.تعريف علم البيان:

هو أحد علوم البلاغة العربية ويأخذ البيان في اللغة عدة معاني منها: الإظهار والإفصاح والكشف والإيضاح، وقد ذكر الله تعالى مصطلح البيان في القرآن الكريم فقال عزوجل: ﴿عَلَّمَه البَيَان(4)﴾[1]، كما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في وصفه لبلاغة العرب آنذاك في الحديث والكلام «إن من البيان لسحرا».

ويعرّف علم البيان على أنه "إيراد المعنى الواحد في سور مختلفة، متفاوتة في وضوح الدلالة"[2]، وقد أورد **الجاحظ** مصطلح البيان في كتابه البيان والتبيين وعرّفه بأنه: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل لأنه مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[3]. والمقصود بقول **الجاحظ** هذا هو أن أساليب الكلام تختلف باختلاف بلاغة أصحابها وفصاحتها من جهة، ودرجة ذكاءهم وحرصهم على تبليغ مرادهم من جهة أخرى.

وقد تعددت مباحث البيان وأقسامه غير أن ما يهمنا هنا الموظف في منها في سورة الغاشية (نموذجنا التطبيقي):

---

[1]- سورة الرحمن، الآية 4.

[2]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص139.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مج1، ط1، 1998، ص76.

2.2. المجاز المرسل: يُعرّف المجاز المرسل بأنه "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين، وسمي مرسَلا لأنه أُرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة، إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يُدّعى اتحادهما... أو لأنه أُرسل أي أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة، وعلاقة المجاز المرسل معناها أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين ويسوّغ استعمال أحدهما في موضع الآخر"[1]. في سورة الغاشية مجاز مرسل يتجلى في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2) ﴾ وهو يقصد بالوجوه وجوه الكفار والمشركين من اليهود والمنافقين، وقد أُطلق لفظ الوجوه وهو الجزء وأراد به الكل أصحاب الوجوه، وهو مجاز مرسل أبقي فيه على إحدى علاقاته، والمتجلية في علاقة الجزئية "وهي أن يُذكر الجزء ويراد الكل"[2]، فيستدل المتلقي بالجزء المذكور في السورة وهو الوجوه التي قُصد بها الكل من الكفار والفجرة.

ولهذا النوع من المجاز أثر في النفس حيث تركت الآية الكريمة وقعا جماليا تأثيريا في الأنفس وهو نفس المعنى الذي يسلكه الحجاج إذ "يهدف إلى أن يكون إجراءً عقليا وقوة تأثيرية مع ما يوجد بينهما من تنافر، فالتأثير يقود إلى الانخراط لأنه يملك تقنيات التعبئة ويتموضع داخل علاقات القوى وعلاقات الإغراء المتبادلة وما تحمله من شحنات عاطفية"[3]. وفي قوله عزوجل ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2)﴾ بلاغة المجاز المرسل من خلال علاقته الجزئية جعلت منه قوة تأثيرية تعكس للمتلقي جزاء غير المؤمنين به عزوجل وما سيلقونه من نصيب والذي سيعكس على وجوههم بالدرجة الأولى فيحدث هذا فزعا لدى التقاة من عباده وكذا خوفا من غضبه عزوجل فيعملوا على الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه.

3.2.**الكناية:** تُعرّف الكناية بأنها "كلام أستتر المراد منه بالاستعمال وإن كان معناه ظاهرا في اللغة سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، والكناية عند علماء البيان هي أن يعبّر عن شيء لفظا كان أو

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان- دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط4، 2015، ص134.
[2]- المرجع نفسه، ص141.
[3]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص9.

معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع أو لنوع فصاحة"[1]. والآيتان من سورة الغاشية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3)﴾ كناية إذ أنّ "الوجوه كناية عن أصحابها، إذ يكنى بالوجه عن الذات كقوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)﴾ وقرينة ذلك قوله بعدها ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ(6)﴾ إذ جعل ضمير الوجوه جماعة العقلاء، وقد أوثرت الوجوه بالكناية عن أصحابها هنا وفي مثل هذا المقام لأن حالة الوجوه تنبيء عن حالة أصحابها، إذ الوجه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة، كما يقال: خرج بوجه غير الوجه الذي دخل به. وقد أوثر وصف «خاشعة» و «عاملة» و«ناصبة» تعريضا بأهل الشقاء بتذكيرهم بأنهم تركوا الخشوع لله والعمل بما أمر به والنصب بالقيام بطاعته، فجزاءهم خشوع مذلة، وعمل ومشقة، ونصب وإرهاق"[2].

انطلاقا مما سبق فإن الكناية هنا شأنها شأن المجاز من حيث كونها آلية استدلالية بلاغية بالدرجة الأولى، وفقد كُني بالوجوه عن أصحابها وسيق الكلام ليدل على شيء غير مذكور وهو أصحاب هذه الوجوه، ومن الأغراض البلاغية لاستخدام الكناية في هذه السورة:[3]

- إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، فمن المعلوم أن الأسلوب غير المباشر في الكلام، فمن المعلوم أن الأسلوب غير المباشر أكثر تأثيرا فيمن يقصد توجيه الكلام له غالبا، وقد وردت كل آيات السورة بأسلوب مباشر وواضح تنوعت فيه الأغراض الخطابية.
- كون التعبير المكنى به ينبه على معنى لا يؤديه اللفظ الصريح المكنى عنه، فلو خاطب الله عزوجل الوجوه بأصحابها ووجوه المنافقين يومئذ خاشعة لم يكن في هذا التعبير وصف مثالي لحال أصحاب الوجوه فلا يحدث ذلك تأثيرا أو تهويلا في نفس متلقيه.

---

[1]- محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص157.

[2]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص295-296.

[3]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996، ص143-144.

- إرادة بيان بعض صفات المكنى عنه مع الاختصار بالاقتصار على ما يذكر من صفاته لغرض يتعلق بذكرها، فكثيرا ما يرتبط وصف الوجه بصاحبه فيقال في أحيان كثيرة وجه فلان لايبشر بالخير أي أن الوجه هو الذي يعكس لنا الحالة التي يكون عليها الشخص، ولذلك كنى الله عزوجل في السورة الوجوه بأصحابها.

3. آليات من علم البديع:

1.3. تعريف علم البديع: "يُعرّف علم البديع بأنه العلم الذي تعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد"[1] بحيث لا تؤثر هذه الألفاظ على الدلالة ولا المعاني المقصودة في العبارات والجمل.

والوجوه المقصودة في هذا التعريف هي «وجوه التحسين» "الأساليب والطرق المعلومة التي وضعت لتزيين الكلام وتنميقه وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وبعلم البديع (عرضي) ووجوهه معنوية أو لفظية، فالبديع المعنوي هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الألفاظ، أما البديع اللفظي فهو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل إذا تغيّر اللفظ"[2]. ويسمى البديع اللفظي والبديع المعنوي بالمحسنات البديعية وكذا المحسنات اللفظية، وسنتعرف على ما ورد منها في السورة محل التطبيق.

2.3. آلية الجناس في سورة الغاشية:

تضمنت كثير من سور القرآن الكريم محسن الجناس ومنها سورة الغاشية. يعرّف التجنيس بأنه "تشابه اللفظان في النطق واختلافهما في المعنى، وهو فن بديع في اختيار الألفاظ التي توهم في البدء التكرير لكنها تفاجيء بالتأسيس واختلاف المعنى، ويشترط في التجنيس أن لا يكون متكلفا أو

[1]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص298.

[2]- المرجع نفسه، ص298.

مستكرها استكراها، وأن يكون مستعبدا عند ذوي الحسّ الأدبي المرهف"[1]، فهو أحد الأساليب البديعية التي تجعل القلب يختلج نظرا لما يحدثه من إيقاع لفظي فيه.

وقد ورد في سورة الغاشية جناسين من نوع واحد الأول في قوله عزوجل: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21)﴾ ، فكلمة «ذكّر» فعل أمر يتشابه مع كلمة «مذكّر» إسم المفعول في الحروف ويتحدان في النطق شأنها شأن الآية ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24)﴾ اتحاد وتشابه بين الفعل يعذبه والاسم العذاب في الحروف والنطق غير أن الجناس هنا بين هذه الألفاظ جناس غير تام، فقد "نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب"[2]، كما زيدت حروف أحدهما عن الآخر فمثلا زيدت الميم في المذكر، وحذفت في الفعل ذكّر، كما زيدت الياء في يعذّب وحذفت في العذاب وأضيفت ألف المد.

والحقيقة أنّ قداسة كتاب الله عزوجل وآياته الكريمات تجعلنا نقول بأن الجناس هنا جناس غير متكلّف، مستحسن إلى أذن السامع فلا هو مُحس بتكرير الألفاظ ولا بعدم فائدتها، وفي هذا الصدد يقول **عبد القاهر الجرجاني** حول الجناس الفاضل "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرما بعيدا"[3]، والفائدة من تكرار لفظ «ذكّر» و«مذكّر» مرجوّة فقوله تعالى هذا أمر مباشر يدّل على طلب القيام بفعل التذكير والنصح المستمر، فلا يصحّ أن يقال: فذكر فإنما أنت ناصح أو غير ذلك فيذبل بذلك المعنى ويضعف المقصد ولا يقع التأثير في المخاطب.

من وجهة نظر حجاجية تعد آلية الجناس أحد أكثر الآليات البلاغية تأثيرا وإقناعا فهو يطغى على الخلجات النفسية للمتلقي بل ويجعله يُصدّق الخطاب ويؤمن به ومثال ذلك قوله تعالى:

---

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ص485.

[2]- المرجع نفسه، ص492.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991، ص7.

﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر(24)﴾ تجنيس للفظ العذاب حتى يحدث ذلك وقعا في نفس المتلقي ويتأثر ويحدث لديه خوف وخشية من الله عزوجل.

3.3. التقابل (المقابلة):

تعد آلية المقابلة من أشهر الآليات البلاغية عموما والمحسنات البديعية المعنوية خصوصا والمقابلة في الاصطلاح هي:"طباق متعدد عناصر الفريقين المتقابلين وفيها يؤتى بمعنيين فأكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب"[1]، والتقابل يتميّز عن الطباق في أن الطباق "يكون بين ضدين فقط، والمقابلة تكون في أكثر من إثنين فأقل الجمع فيها أربعة ألفاظ إثنان في الأول يقابلها إثنان في الآخر، ولابد فيها من الترتيب فإذا انعدم الترتيب انعدمت المقابلة، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز، وتكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد ولكن الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا"[2]، وفيما يلي ما ورد في سورة الغاشية من متقابلات:

الآيات	متقابلاتها من الآيات
وجوه يومئذ خاشعة	وجوه يومئذ ناعمة
عاملة ناصبة	لسعيها راضية
تصلى نارا حامية	في جنة عالية
تسقى من عين آنية	فيها عين جارية
ليس لهم طعام إلا من ضريع	وأكواب موضوعة

تعليقا على ما سبق ذكره اشتملت السورة على وصف وجوه العصاة في بدايتها ومصيرهم، ثم مقابلة هذا الوصف بوصف آخر لحال المؤمنين والتقاة كمقابلة بين فئتين من الناس، فئة كافرة وفئة مؤمنة.

[1]- عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ص378.

[2]- عائشة حسين فريد، وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، دط، 2000، ص30.

وقد تضمن هذا الوصف عرضا لمصير وجزاء كلا الفريقين ومقابلة بين وجوههم ومأكلهم ومشربهم ومسكنهم في قالب بلاغي فصيح وانسجام بياني في تركيب الألفاظ وتأليف الجمل والعبارات.

إن هذا التنظيم والاتساق في المطابقة يسهم في ائتلاف الألفاظ مع المعاني وتقوية لغة الخطاب كما يساعد على التمكن بسهولة من المخاطب ونفسه فيحصل لديه الإقناع ويميل إلى كفة الخطاب.

وختاما نشير إلى أن الآليات البلاغية كثيرة في القرآن الكريم عامة وسورة الغاشية خاصة، وقد تطرقنا إلى البعض منها فقط نظرا إلى أن الدراسة في هذا المبحث لا تتسع لها كلها، كما نركز على نقطة أساسية وهي أن القرآن الكريم باعتباره وحيا من الله جل في علاه وكلامه المقدس "لا يحتاج إلى محسنات لأنه من عند الله سبحانه تعالى، فمن البديعي يأتي فيه عفو الخاطر دون أدنى تكلف، فالنص القرآني يتكامل فيه الشكل والمضمون فلا يطغى الشكل على المضمون ولا يطغى المضمون على الشكل، ولذا تأثيره يقع مباشرة على الإنسان فيحرك وجدانه وشعوره وإحساسه ويدفعه إلى العمل والفلاح"[1] وهو الشيء الذي وجد لأجله في الأصل.

المبحث الثالث: البنية اللسانية والاستدلال الحجاجي

نروم في هذا المبحث الحديث عن الاستدلال الحجاجي من وجهة نظر لسانية ويعرف هذا الحجاج بالحجاج اللغوي أيضا وهو إحدى اتجاهات الدرس الحجاجي الحديث إذ "تندرج نظرية الحجاج اللغوي ضمن الدلالية الحديثة التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وتقترح مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية، وتتجاوز مجموعة المشاكل المنطقية الكلاسيكية خاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق (**La vérité**) وينضاف إلى ذلك أن وظيفة اللغة الأساسية ليست هي الوظيفة التواصلية الاخبارية، بل هي الوظيفة الحجاجية، ويعني هذا أن الوظيفة

[1]– نصر الدين إبراهيم أحمد حسين، علم البديع بلاغته في ضوء القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ع2، ديسمبر 2013، ص133.

التواصلية وظيفة ثانوية ليس إلا، هذا وتتعارض النظرية الحجاجية اللغوية مع مجموعة من النظريات الحجاجية الكلاسيكية مثل التي تنتمي إلى البلاغة الكلاسيكية كما عند **أرسطو**، أو التي تنتمي إلى البلاغة الحديثة كما عند **بيرلمان** و**تيتكا** و**مايير** أو التي تنتمي إلى المنطق الطبيعي كما عند جان بليز غرايس"[1]، ففي نظرية مستقلة في الرؤيا كونها تنطلق من اللغة العملية الاستدلال حجاجيا.

وإذا سلمنا بأن الحجاج هو تأليف ملفوظات لسانية لإقناع غيرنا بشيء ما فإن هذا يجرنا إلى الإيمان "بالفرضية المحورية التي انطلق منها **ديكرو** و**أنسكومبر** ألا وهي أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"[2]، فالبنية اللغوية اللسانية التي تكوّن أقوالنا ويتشكل منها خطابنا أو كلا منها صوتا وتركيبا ودلالة هي بنية حجاجية في الأصل. وقد ذكرنا هذا في الفصل الذي سبق (الحجاج في اللغة) كما نشير في هذا الصدد إلى أن "دراسة الحجاج (اللغوي) إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطقة اللغة: أي القواعد الداخلية للخطاب والمتحكمة في تحليل الأقوال وتتابعها بشكل متنامٍ وتدريجي، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[3]. وهي الفكرة الجوهرية التي قامت عليها نظرية السلالم الحجاجية عند **أوزفالد ديكرو** والتي لا يمكن الحديث عن الاستدلال الحجاجي في البنى اللسانية دون الرجوع إليها.

1. نظرية السلالم الحجاجية:

يعرف السلم الحجاجي بأنه: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجودة في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

---

[1]- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب العربي، سامراء، المغرب، الدار البيضاء، دط، 2014، ص35-36.

[2]- المرجع نفسه، ص35.

[3]- المرجع نفسه، ص35.

ب-كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه."[1]

وهذان الشرطان أساسيان ولازمين لإثبات حجاجية أي قول داخل أي خطاب، غير أن الخطاب الذي سنمثل به لتوضيح نظرية السلالم الحجاجية هو الخطاب الاشهاري لديتول والممثل به سابقا في حجاجية الملفوظ في الخطاب الاشهاري لكن من وجهة نظر أخرى، نغض النظر فيها عن جانب مهم من الإشهار كونه خطابا إقناعيا في أصله يرومالمشهر من خلاله إلى ضرورة إقناع متلقيه لمنتجاته على إختلاف الآليات والطرق المستخدمة في ذلك.

نتطرق في الجانب التطبيقي من نظرية السلالم الحجاجية إلى العبارات والأقوال التي وردت في المقطع الاشهاري «ديتول» المذكور سابقا ونستعرضها على طريقة بناء السلم الحجاجي كما يلي:

المدلول: إحم عائلتك من 100 نوع من الجراثيم المسببة للأمراض بفضل ديتول

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص277.

حيث (أ، ب، ج....) ترمز إلى الأدلة و (نا) إلى المدلول مع توفر الشرطين المذكورين آنفا.

كما نشير إلى أن "**ديكرو** وهو يشرح في تحديد مفهوم السلالم الحجاجية يلاحظ أن كثيرا من الأفعال القولية ذات وظيفة حجاجية -كما هو الحال في هذا الخطاب الإشهاري فكل قول يؤدي وظيفة محددة في بناء السلم أو الخطاب ككل- فتوجه المتلقي نحو نتيجة معينة أو تحول وجهته عنها، وأن لهذه الوظيفة علامات في بنية الجملة نفسها ذلك أن القيمة الحجاجية للمقول لا تنتج فقط منم المعلومات التي يحملها، وإنما يمكن للجملة أن تستخدم صرفات أو عبارات أو صيغ أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول، أي أن المقول يحمل في ذاته تعبيرا عن السمة الحجاجية"[1].

فالعبارات من قبيل (أنا أحب شغلي، أعشق دوري كأم، احمي عائلتك من 100 نوع من الجراثيم...) هي أقوال مستقلة عن بعضها البعض من حيث معانيها، كما أن العلاقة بينها تبدو شبه مستحيلة وذكرت بصفة عشوائية، لكن ارتباطها تجلى في النظام التراتبي والعرض المتسق المتتالي فيما بينها، وهو ما جعل القيمة الحجاجية لكل قول تتحقق.

لذلك يقول **ديكرو** و**أنسكومبر**: "إن المتكلم إذ يحاج إنما يقدم قولا أولا ق(1) أو مجموعة من الأقوال تقود إلى الإذعان والتسليم بقول آخر ق(2)"[2]، الأمر الذي يحيلنا إلى فكرة أعمق وهي ضرورة انتقاء المخاطب لعباراته الأضعف فالأقوى حجة وبرهانا، أي أنه يتدرج في تقديمها أو أثناء عرضها على متلقيه.

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص94-95. بتصرف

[2]- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص26.

2. قوانين السلم الحجاجي: أهم قوانين السلم الحجاجي ثلاث:[1]

1.2.قانون النفي:

إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه (أي ~ أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى إذا كان (~ أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة «لا –ن» ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين:

- ديتول يحمي عائلتك من 100 نوع من الجراثيم، ديتول فعال.
- ديتول لا يحمي عائلتك من 100 نوع من الجراثيم، ديتول منظف غير فعال.

فإذا قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن لذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.

2.2. قانون القلب:

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي ويعد تتميما للقانون ومفاد هذا القانون أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الاثباتية، وبعبارة أخرى إذا كان (أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة (ن)، فإن (~ أ) هو أقوى من (~ أ) بالقياس إلى (لا–ن). ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ويمكن أن نرمز لهذه بواسطة سلمين حجاجيين تاليين:

[1]– أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، من ص22 إلى ص 24.

ديتول: صابون فعال، ديتول يقضي على الجراثيم بنسبة 99% .

ديتول لا يقضي على الجراثيم بنسبة 99 %، ديتول ليس صابونا فعالا.

فقضاء ديتول على ما يقارب 100 نوع من الجراثيم بنسبة 99% هو دليل على مدى فعاليته وقوته في التنظيف في حين أن عدم قضاءه على عدد أكبر من أنواع الجراثيم هو دليل أقوى على عدم نجاعته وقدرته على التنظيف.

في حين أن الجملتين الآتيتين شاذتين لا يمكن لقانون القلب أن يطبّق عليهما:

- ديتول يقضي على 100 نوع من الجراثيم، بل هو منظف ممتاز.
- ديتول ليس منظفا ممتازا، بل هو لم يقضي على الجراثيم.

3.2. قانون الخفض:

يوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النص اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة: moins que فعندما نستعمل جملا من قبيل:

- الصحة تتعلق بالنظافة التي يمنحها لكم ديتول.
- يستعمل قليل من الناس الصابون ديتول.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن فئة كبيرة من الناس تستعمل الصابون ديتول أو أنّ الصحة ترتبط بالنظافة التي لا يمكن لهذا المنظف أن يمنحها لمستعمليه وسيؤول القول على الشكل التالي:

- إذا لم ترتبط صحتكم بالنظافة التي يمنحها لكم ديتول فلا يمكن أن ترتبط بصابون آخر.
- يستعمل ديتول قليل من الناس.

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض التي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي ولا يتموقع أيضا في سلمية تدريجية موضوعية يمكن تعرفها بواسطة معايير عملية، فلا تندرج

الأقوال الإثباتية (من نمط: لا يستعمل كثير من الأشخاص صابون ديتول) والأقوال المنفية (من نمط: لا يستعمل ديتول قليل من الناس) في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي.

3. أهمية نظرية السلالم الحجاجية:

لا يشك في أنه ما من نظرية وضعت إلا ولها غرض محدد، كذلك هي نظرية السلالم الحجاجية، إذ "تكمن أهمية نظرية السلالم الحجاجية أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز المحتوى الخبري للقول وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي فهي ليست قيمة مضافة إلى البنية اللغوية بل هي مسجلة فيها يتكهن بها التنظيم الداخلي للغة، وقد بيّن تحليل **ديكرو** للنفي أنه لا يمكن اختزاله في النفي المنطقي"[1]، إذ أن ما تركز عليه نظرية السلالم الحجاجية هو كيفية الانتقال من (ق1) إلى (ق2) إلى غاية الوصول إلى النتيجة (ن)، في شكل متنامي ومتدرج في عرض الحجج الأضعف إلى الأقوى.

نشير إلى أن "للقول وجهة حجاجية تتحدد في قيمته باعتباره يدعم نتيجة ما، وإذا كان القول مندرجا ضمن قسم حجاجي قائم على قوة مكوناته وضعف بعضها الآخر بالنسبة إلى نتيجة ما، فإن مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المتدرج والموجه للأقوال يبين أن المحاجة ليست مطلقة، إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، وإنما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى النتيجة محددة بذلك فالحكم على المحاجة أساسه القوة والضعف اعتبارا لطابع التدرج فيها، لا الصدق ولا الكذب"[2]، وهو ما تقدمنا بذكره والتفصيل له في بداية الحديث عن نظرية السلالم الحجاجية.

---

[1]-شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص370.

[2]- المرجع نفسه، ص370.

4.التداولية المدمجة في الفكر الحجاجي اللساني:

تقوم نظرية **ديكرو** و**أنسكومبر** على رفض الرأي القائل بأن هناك فصلا بين الدلالة والتداولية، والمقصود بالدلالة هنا كل مستوياتها (تركيبا، صرفا ودلالة)، وقد انتشر مصطلح التداولية المدمجة (في الدلالة) في نطاق التحاليل المنجزة حول أعمال **أنسكومبر** و**أوزفالد ديكرو** وتشمل أساسا نظريتهما في الحجاج، وتهدف أعمالهم المتعلقة بنظرية الحجاج إلى الدفاع عن الأطروحتين التاليتين:[1]

- تقوم الأطروحة الأولى للتداولية المدمجة على الدفاع عن تصور لاوصفي للغة مفادها أن الأقوال لا تبلغ أشياء في الكون (وظيفتها التكميلية) بل تبلغ أعمالا أي أعمالا لغوية (من قبيل الأمر والوعد والتمني والإخبار والحجاج)، وبهذا تقابل الأطروحات اللاوصفية المتعلقة بالنظريات الجذرية.
- أما الأطروحة الثانية للتداولية المدمجة فهي الإحالة الانعكاسية (أو الإحالة الذاتية) للمعنى وهي ما يمكن تلخيصه في الصيغة التالية «إن معنى قول ما هو صورة من عملية إلقائه وتأويله فيكون وصف معنى قول ما وصف لنمط العمل الذي من المفروض أن ينجزه قول، وتنبني هذه الأطروحة على وقائع تداولية تختص بالاندراج الوضعي لوصف إلقاء القول في معنى القول نفسه».

5.السلالم الحجاجية وقوانين التفاضل والتقابل:

تربط بين الأدلة الحجاجية داخل السلالم الحجاجية علاقات تسمى العلاقة الأولى علاقات التفاضل أما العلاقات الثانية فتعرف بعلاقات التقابل.

[1]– جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين والأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، مراجعة خالد ميلاد، تونس، ط2، 2010، ص35.

1.5. العلاقة السلّمية التفاضلية:

نشير في هذا الصدد إلى ما "قرره ديكرو في كتابه السلالم الحجاجية الذي نشره سنة 1980م أن هناك سمة أساسية تميّز الحجج عن الأدلة (ذات الأساس البرهاني)، فالذي يلاحظ في هذه الحجج أنها لا تنقط قطعا نهائيا في إثبات النتيجة التي تسانده كما هو الحال في الأدلة البرهانية (مثلا لحل معادلة رياضية) إن غاية ما تقوم به الحجج هو أنها -إن صح التعبير بلغة أهل القانون- ترافع لمصلحة النتيجة وهذه المرافعة واحدة إلى جانب مرافعات أخرى ممكنة وقد تكون جميع الحجج الواردة في الملفوظ (أي جميع المرافعات) لمصلحة النتيجة نفسها وهو ما اصطلحنا عليه سابقا بالتساند الحجاجي وفي هذه الحالة نقول إنها تشترك في الفئة الحجاجية نفسها"[1]. ومعنى المرافعة الوارد هنا هو مجموع الحجج التي تخدم نفس النتيجة بل وتتدرج أثناء العرض الحجاجي من الحجة الأضعف إلى الأقوى مثال:

- يستخدم صابون ديتول أفراد العائلة.
- يستخدم صابون ديتول العاملون.
- يستخدم صابون ديتول الأطباء.

إن "هذه الحجج يمكن إدراجها ضمن فئة حجاجية واحدة لأنها تقبل الحضور في ملفوظ واحد بوصفها حججا تتجه لمساندة النتيجة نفسها"[2] كما هو الحال في العبارتين الآتيتين:

- صابون ديتول فعال حقا، فهو مستعمل من طرف أفراد العائلة والفئة العاملة وحتى الأطباء أنفسهم.
- حتى الأطباء يستعملون صابون ديتول، إضافة إلى الأشخاص العاديين والعاملين.

[1]- رشيد الراضي، المظاهر اللسانية في الحجاج، ص108.
[2]- المرجع نفسه، ص109.

إن الملاحظ جليا من خلال هذه الأقوال هو أن القوة الحجاجية لكل قول تختلف لا محالة عن القول الآخر "ف**ديكرو** لاحظ وهو يدرس طبيعة هذه الفئات الحجاجية وجود علاقة تربط بين عناصرها، فلو تمعنا في عناصر الفئة الحجاجية المذكورة في هذا المثال (أي الحجج الثلاثة: استعمال صابون ديتول من طرف أفراد العائلة والعاملين والأطباء) سنكتشف أنها وإن كانت تتوحد في الانتماء إلى الفئة الحجاجية نفسها، أي في دعم نتيجة واحدة مشتركة، فإنها تتمايز في مظهر آخر وهو قوة كل حجة في إسناد هذه النتيجة الموحدة"[1]، فكثرة استعمال الأشخاص العاديين من أفراد العائلة للصابون ليست بكثرة استعماله من طرف العاملين نظرا لكونهم أكثر عرضة لالتقاط الجراثيم التي تسبب لهم الأمراض، كما أن كثرة استخدام صابون الأيدي ديتول من طرف الأطباء ليست بقوة استعماله من طرف الفئتين السابقتين، فبالإضافة إلى كونهم أكثر عرضة للجراثيم فإن وسط عملهم (علاج المرضى والاحتكاك بهم) يجعلهم في الواجهة الأولى للإصابة بالأمراض والأوبئة أكثر من غيرهم، واستعمالهم لهذا النوع من الصابون إنما هو دلالة على مدى فعاليته ونجاعته.

في نفس السياق يمكننا أن نقول:

- استعمال صابون الأيدي ديتول من طرف العاملين أقوى دلالة على فعاليته في القضاء على الجراثيم المسببة للأمراض من استعماله من طرف أفراد العائلة.
- استعمال صابون ديتول من طرف الأطباء أقوى دلالة على نجاعته وفعاليته من استعماله من طرف العاملين.
- استعمال صابون ديتول من طرف العاملين أضعف دلالة على فعاليته في القضاء على الجراثيم من استعماله من طرف الأطباء.
- استعمال صابون ديتول من طرف أفراد العائلة أضعف دلالة على استعماله من طرف العاملين.

ويمكن لنا أن نمثل لهذه الأقوال بالسلم الآتي:

[1]- رشيد الراضي، المظاهر اللسانية في الحجاج، ص109.

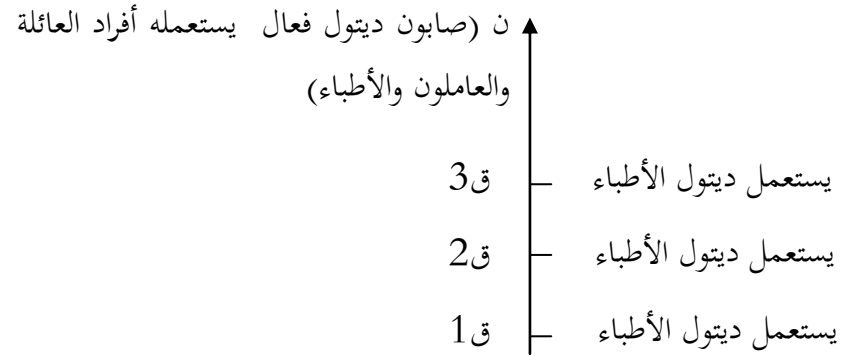

2.5. العلاقة السلمية التقابلية:

إذا علمنا أن نظرية الحجاج في اللغة "تقوم على العلاقة التالية: ملفوظات[مل1، مل2] تكون هذه المتتالية: مل1 يؤيد، يدعم، يعلل، يبرر مل2. و (مل1... إذن ...لذا... مل2)؛ (مل2 بما أن مل2)"[1] فإن المقصود بالعلاقة السُلّمية التقابلية هو تلك العلاقة التي "تتولد عن مبدأ التعارض الحجاجي، فقد تكون الحجج الواردة في الملفوظ لا تتجه لإسناد النتيجة نفسها، وإنما تساند كل حجة نتيجة معارضة للنتيجة التي تساندها الحجة الأخرى (وهو ما اصطلحنا عليه سابقا بالتعانت الحجاجي)"[2] ولنا أن نوضح بالأمثلة التالية:

- شكولاطة أوبتيلا لذيذة.
- أوبتيلا غنية بالسكريات.

إذا اعتبرنا أن العبارتين السابقتين ملفوظين حجاجين من حيث دلالة بنيتها اللغوية فإنهما تؤديان إلى نفس النتيجة، "فكونهما زوج عنادي لأنهما يقبلان الورود في ملفوظ حجاجي واحد"[3] يعني أنهما متساندين وموجهين إلى الحجة ذاتها.

---

[1]- باتريك شارود، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ص70.

[2]- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص116-117.

[3]- المرجع نفسه، ص116

إذا طبقنا العلاقة السلمية التقابلية على المثالين السابقين فإننا نفترض أن الحجة الأولى مساندة للنتيجة من قبيل الشكولاطة صحية، فكون الحجة الثانية مساندة للنتيجة المقابلة أوبتيلا شكولاطة غير صحية نظرا لأن نسبة السكريات فيها عالية.

إذا قامت بين الملفوظين علاقة عنادية صح أن تطبق عليهما مبدأ التعارض الحجاجي ومقتضى هذا المبدأ إنه إذا كانت لدينا حجة (ح) تصلح لمساندة نتيجة (ن) فمن الضروري أن توجد حجة (ح*) لمساندة النتيجة المعارضة (لا ن) بحيث (ح *) ليست بالضرورة هي (لا ح).

مثال:

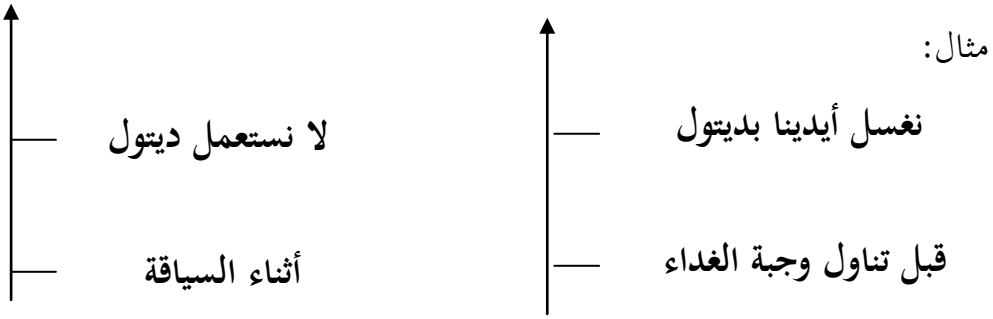

قانون التقابل الحجاجي

إن الملاحظ بوضوح هو أن العلاقة التقابلية للسلم الحجاجي بين الأدلة عكس علاقة التفاضل التي التي أشرنا إليها سلفا والتي تقوم على الإنتقال من أضعف إلى أقوى الحجج في حين العلاقة التقابلية أدلتها متعاندة قد تخدم النتيجة نفسها وقد لا تخدمها.

خاتمة

وفي الختام أرجو من العلي القدير أن أكون قد وفقت في رحلتي البحثية هذه فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

ومن جملة النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

- تعدّ الثنائية السوسيرية الشهيرة لغة/كلام هي المنبع الأصل الذي تفرعت عنه اللسانيات التلفظية.
- الانتقال من الاهتمام بالكلام هو ما ولّد ظهور ثنائية جديدة هي ثنائية الملفوظ والتلفظ.
- الكلام هو عملية تخاطبية بين متكلم ومستمع مثاليين بألفاظ منطوقة وهو أكثر دلالة على استعمال اللغة في سياقها أكثر من اللغة في حد ذاتها في إطار أساسه الفصل بين ثنائية لغة/كلام، وهو نفس المبدأ الذي قامت عليه التداولية: تحليل الملفوظات الخطابية وليس اللغة الجامدة البعيدة عن سياقها الاستعمالي.
- الكفاءة اللغوية لمتكلم ما تظهر من خلال ما أنجزه ذلك المتحدث من ملفوظات للتعبير عما يودّ ايصاله لمتلقيه وإقناعه به.
- غالبا ما يكون خطاب المتكلم مقصودا يتوجه به إلى مخاطب معيّن يريد إبلاغه شيئا ما وإن تعددت الطرائق في الإقناع فإن القصد واحد.
- دراسة اللغة المستعملة هو من اهتمام الدرس التداولي، وبذلك فإن تحليل خطاب تلفظي يرتكز بصورة أو بأخرى على آليات التحليل التداولي للخطاب مثل: القصدية في الخطاب، سلطة المتكلم على المتلقي، سلطة الخطاب في حد ذاته، الاستراتيجيات التخاطبية للمتكلمين، وكذا القوة الإنجازية لأفعال الكلام الموجودة داخل ذلك الخطاب.
- تؤثر عناصر الخطاب وطبيعة المتكلمين وكذا زمان ومكان الخطاب في بناء وتحليل الملفوظات اللغوية فلكل عنصر دوره الخاص في تشكيل ذلك الخطاب وإخراجه بالصورة التي هو عليها.

- كثيرا ما نتحدث عن أشياء نودّ إنجازها أو تحقيقها كإقناع أنفسنا أو غيرنا بضرورة الأخذ بأمر معين وهو من ضمن التساؤلات التي تسعى التداولية للإجابة عنها: من يتكلم؟ مع من يتكلم؟ ماذا يتكلم؟ لماذا يتكلم؟
- نظرية الحجاج هي أهم مبحث في الدرس التداولي والتي يسعى فيها المتكلم جاهدا إلى إقناع متلقيه بأطروحته فنجده يوظف ما يملكه من رصيد وكفاءات لغوية داخل الخطاب.
- ثلاثية الباتوس والإيتوس واللوغوس عناصر حاضرة في كل الخطابات خاصة منها الحجاجية، فالنص الحجاجي يرتكز على ما يتمتع به المتكلم من مصداقية وثقة لدى المستمع لأنه سيترك أثرا في نفس متلقي خطابه والتي ستنعكس سلبا أو إيجابا عليه، فإمّا أن يتلقى المتكلم القبول من الآخر أو لا لن يحدث ذلك.
- للوغوس وهو القول أو الخطاب تأثيرا على فكر المخاطب وذلك من خلال بناء الحجج وعرضها عرضا يتناسب وطبيعة المستمع من جهة وكذا طبيعة الموضوع محل الإقناع والإقتناع من جهة أخرى.
- يقوم الحجاج في اللغة على توظيف مجموعة من العوامل والأدوات اللغوية، والتي يربط بواسطها المتكلم بين ملفوظاته لبناء خطاباته فيوظف كل عامل أو أداء بما يتناسب ومقصديته في الخطاب.
- الحجاج في التلفظ يعتمد على القوة اللغوية التعبيرية والصوتية التي يتمتع بها كل ملفوظ داخل الخطاب والتي يستدل بها لإثبات قضية ما.
- تتعدد آليات الاستدلال الحجاجي فمنها الآليات المنطقية ومنها الآليات البلاغية ومنها الآليات اللسانية غير أن لكلها نفس الغاية وهو إقناع طرف ما بقضية ما.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

✓ **قائمة المصادر:**

1. أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمان بدوي، الترجمة العربية القديمة، دار القلم، بيروت، ط1، 1979

2. أرسطو طاليس، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986.

3. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

4. جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: ابراهيم محمد عبد الله، ج3، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

5. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

6. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق و تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دس.

7. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

8. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ترتيب وتح: عبد الحميد هنداوي، ج3، باب القاف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

9. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991.

10. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.

11. أبو عثمان عمرو بن بحر جاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مج1، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998.

12. فاردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، دط، 1985.

13. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج8، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999.

14. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج30، تونس، ط1، 1984.

15. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تق: حاتم بوسمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 2011.

16. محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط ج، 1985.

17. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981.

18. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ج، 2009.

19. ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، دار المعارف، القاهرة، مج2، ج9.

20. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.

✓ **قائمة المراجع:**

21. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

22. أحمد كنّون، التداولية بين النظرية والتطبيق، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة، القاهرة، ط1، 2015.

23. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008.

24. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، المعاني، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، دط، 1980.

25. آمنة بلعلي، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002.

26. أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011.

27. البسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان- دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط4، 2015.

28. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات صور الأوزبكية، الدار البيضاء، ط1، 2006.

29. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994.

30. تمام حسان، مناهج البحث في اللغةّ، مكتب النسر، دط، 1989.

31. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب العربي، سامراء، المغرب، الدار البيضاء، دط، 2014.

32. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط.

33. الحافظ إسماعيل علوي، التداولية علم إستعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014.

34. الحافظ اسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمّة، كنوز المعرفة، الأردن، دط، 2013.

35. حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1998.

36. الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

37. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسس وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981.

38. حمو الحاج ذهبية، التداولية واستراتيجية التواصل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015.

39. حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2012.

40. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط2، 2012.

41. رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى اللسانيات الحجاجية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.

42. رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997.

43. زاهر عوض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، المكتبة الالكترونية: مكتبة الكتب، ط3، 1404هـ.

44. الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2015.

45. زهرة الجزائر، عبد العزيز بوتفليقة، سلسلة رؤساء الجزائر، مج10، مؤسسة صونيا، وادي الرمان، الجزائر، ط1، 2013.

46. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011.

47. سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009.

48. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997.

49. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،، دط، 1999.

50. السيروان أنور مجيد، التحليل التداولي للنص السياسي- دراسة في وسائل الاعلام المقروءة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2018.

51. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2008.

52. صابر الحباشة، تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، سلسلة الكوثر، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2007.

53. صابر الحباشة، لسانيات الخطاب (الأسلوبية التلفظ والتداولية)، دار الحوار، سوريا، ط1، 2010.

54. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2000.

55. صلاح اسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

56. صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، كلية الآداب، جامعة القاهرة، إدارة انتاج الكتاب بالمركز، دط، 2015.

57. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظري الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغو المعاصرين والبلاغيين العرب، جامعة الكويت، دط، 1994.

58. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

59. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1998.

60. الطيب دبة، اللسانيات وقضايا اللغة العربية، مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، ط1، 2014.

61. عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1987.

62. عائشة حسين فريد، وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، دط، 2000.

63. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع9، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013.

64. عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996.

65. عبد الرحمان حسن جنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط4، 1993.

66. عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016.

67. عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب مقاربة تطبيقية، مؤسسة آفاق، مراكش، المغرب، ط1، 2017.

68. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013م-1434هـ.

69. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011.

70. عبد الهادي الفضلي، مذكرة المنطق، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، دط، 1409هـ.

71. عز الدين المجدوب، دار سيناترا، مراجعة خالد ميلاد، تونس، ط2، 2010.

72. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، تقديم المنصف عاشور، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

73. علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، تق: حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

74. علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.

75. عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، خطب الرئيس السادات نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 2012.

76. عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والأفاق، مجلد البلاغة وتحليل الخطاب، ع6، المغرب، 2015.

77. عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط1، 2013.

78. عمر عبد الله كامل، مذكرة في تيسير المنطق، بيسان، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

79. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

80. قدور عمران، محاضرات في تحليل الخطاب، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية، بوزريعة ، الجزائر، مصلحة التكوين عن بعد، دط، د ت.

81. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، د ط، 2005.

82. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003.

83. محمد التقي الحسيني الجلالي، تقريب التهذيب في علم المنطق، مطبعة الآداب، النجف، العراق، ط2، 1980م.

84. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، 2014.

85. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م.

86. محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون، وأرسطو، وشاييم بيرلمان، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر، 2011.

87. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

88. محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني، مركز عين للدراسات والبحوث، أربيل، العراق، ط1، 2017.

89. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مكتبة الأدب المغربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

90. محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشرق، القاهرة، ط1، 1988.

91. محمد محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، دط، 2001.

92. محمد مشبال، بلاغة الخطاب الديني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015.

93. محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2016.

94. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986.

95. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2002.

96. محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأكيد والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2013.

97. محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

98. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، يوليو 2005.

99. منية عبيدي، التحليل النقدي للخطاب، نماذج من الخطاب الإعلامي، كنوز المعرفة، الأردن، ط1.

100. مولود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات السابع أبريل، دار الكتب الوطنية، بغازي، ليبيا، ط1، 2007.

101. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986.

102. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقة، دار العلم، بيروت، دط، 1993.

103. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2003.

104. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

105. هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.

106. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تق: علي الحمد، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007.

107. هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو: ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس، فريق البحث في البلاغة والحجاج، د ط.

108. يوسف أحمد الموسوي، المرشد في علم المنطق، شبكة الفكر، ط1، 2007.

✓**الكتب المترجمة:**

109. آن روبول–جاك موشلار، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2020.

110. أوزفالد ديكرو، التلفظ، ضمن كتاب تلوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطية، تونس، ط1، 2007.

111. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

112. باتريك شارودو-دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري- حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ط1، 2008.

113. بيرلمان و تتيكا، مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، ج1، دط، 1981.

114. جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010.

115. جان سيرفوني، الملفوظية، تر قاسم المقداد، دمشق، منشورات إتحاد كتاب العرب، 1998، ط1.

116. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2011.

117. جون سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2009.

118. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

119. نوام تشوسكي، البنى النجوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، مكتبة لسان العرب، ط1، 1987.

120. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ط1.

✓ **قائمة الأطروحات والرسائل الجامعية:**

121.ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، إشراف السعيد بن براهيم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة وآدابها، 2009-2010.

122.حسين بوبلوطة، الحجاج في المتاع والمؤانسة، لأبي حيّان التوحيدي، إشراف: اسماعيل زردومي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010.

✓ **قائمة المقالات:**

123.إدريس سرحان، التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، مقال محكّم ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة لحافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014.

124.إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع2/15، مج8.

125.إدريس مقبول، في تدوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج28، ع5، مكناس، المغرب، 2014.

126.جودي حمدي منصور، آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، مجلة حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، ع6، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ديسمبر 2016.

127.الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، ع1، مج30، الكويت، سبتمبر 2001.

128.خديجة كلاتمة، آليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع8، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012.

129.خليفة الميساوي، القصدية في الخطاب السجالي ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب لحافظ اسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، مجموعة بحوث محكّمة، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014.

130.رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع2، مج40، الكويت، أكتوبر –ديسمبر، 2011.

131.شفيقة طوبال، الاستراتيجيات التوجيهية في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، مقاربة تداولية في الآيات القرآنية المبدوءة بـ«قُل»، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج3، ع2، جامعة المسيلة، 2019.

132.صلاح اسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 25، الرسالة 230، جامعة الكويت، 2005.

133.العوادي سعيد، في الحاجة إلى ثيسيوس المغالطة في الخطاب الإشهاري ضمن الدورة التكوينية الثانية بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، كلية اللغة العربية بمراكش، جامعة القرويين، المغرب، دار المنظومة، 2016.

134.قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج؟ مقال منشور ضمن مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته،ع5، مج2، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2014.

135.محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية- دراسة في التحليل التداولي للخطاب، بحث منشور ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تق: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014.

136.نصر الدين إبراهيم أحمد حسين، علم البديع بلاغته في ضوء القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ع2، ديسمبر 2013.

137.وشن دلال، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع6، جامعة بسكرة، الجزائر، جانفي 2010.

138. Janet Holmes, Modifying illocutionary force,

تر: تهاني سهل العتيبي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع1، مج6، جامعة البليدة2، 20 ماي 2018.

المراجع الأجنبية:

139. André Martinet, élément de linguistique générale, Armand colin, paris, 1980, nouvel édition.

140. J. Moeschlar, argumentation et conversation, élément pour une analyse pragmatique du discours, vol01, edit[HATIER-CREDIF], paris, 1985.

141. L'âge d'or de la diplomatie algérienne 1963-1979, Centre national de documentation de la presse et d'information 2014.

142. Oswald Ducrot, le dire et le dit, les éditions de minuit 7, Paris, 1984, ed 1

143. Paul grice 1989, studies in the way of words, cambridge, Massachusetts : Harvard university press, fourth printing, 1995.

144. Philippe Breton et Grilles Gauthier : Histoire des théories de l'argumentation, la découverte, paris, 2000.

المواقع الإلكترونية:

145. *https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B2%D9%81%D8%A7%D9%84%D8%AF_%D8%AF%D9%8A%D9%83%D8%B1%D9%88 21h00 le 16/10/2020*

146. *https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86_%D9%8A%D8%A7%D9%83%D9%88%D8%A8%D8%B3%D9%88%D9%86 . 12h50 le 01/01/2021*

147. *https://www.mominoun.com/auteur/656 . 21h00 le 19/10/2020*

فهرس المحتويات

مقدمة أ

مدخل: من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام 9

توطئة 9

المبحث الأول: ثنائية اللغة والكلام 9

1. اللغة والكلام عند دي سوسير (**Langue et Language**)..... 11

2. اللغة والكلام عند تشومسكي 14

المبحث الثاني: ثنائية الملفوظ والتلفظ (énoncé/énonciation) 18

1. بين الملفوظ والتلفظ 20

2. الفعل اللّفظي 24

المبحث الثالث: تحليل الخطاب حسب نظرية التلفظ 26

1. تعريف الخطاب 26

2. عناصر الخطاب/ التلفظ 29

الفصل الأول: آليات التحليل التداولي للخطاب

توطئة 37

المبحث الأول: القصدية l'intentionnalité 38

1. تعريف القصد 38

2. تاريخ نشأة مفهوم القصدية 42

3. القصدية عند بول غرايس 45

4. القصدية عند سيرل 51

المبحث الثاني: السلطة في الخطاب 57

1. في مفهوم السلطة الخطابية 58

2. دور السلطة في العلاقة بين طرفي الخطاب 59

3. حجة السلطة في الخطاب التداولي 60

4. السلطة في الخطاب 66

1.4. سلطة الخطاب الدّيني 67

2.4. سلطة الخطاب السياسي 69
3.4. سلطة الخطاب الإشهاري 72
المبحث الثالث: الاستراتيجيات التخاطبية 76
1. في مفهوم الاستراتيجية التخاطبية وعناصر بناءها 76
1.1. الكفاءة التداولية 77
2.1. مستويات اللغة 78
3.1. السياق غير اللغوي 81
4.1. القصد 81
5.1. سلطة الخطاب 82
6.1. الإشاريات 82
2. أنواع الاستراتيجيات التخاطبية 84
1.2. الاستراتيجية التضامنية 85
2.2. الاستراتيجية التوجيهية 88
3.2. الاستراتيجية التلميحية 93
4.2. الاستراتيجية الإقناعية 96
المبحث الرابع: القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام 98
1.في نشأة مصطلح الفعل الكلامي 98
2.الأسس التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية 101
3.نظرية أفعال الكلام في التداولية: **(Les actes de language)** 102
1.3. فكرة أفعال الكلام عند أوستين 103
2.3. أفعال الكلام عند سيرل 107
4. القوة الإنجازية في نظرية أفعال الكلام 110
5. تعديل القوة الإنجازية 113
الفصل الثاني: من حجاجية اللغة إلى حجاجية اللفظ
توطئة 119
المبحث الأول: نظرية الحجاج –رؤية في المبادئ والمنطلقات– 120

1. تعريف الحجاج لغة..... 121
2. الحجاج في الاصطلاح 122
1.2. الحجاج والبلاغة في الحوار الأفلاطوني مع السوفسطائيين 122
2.2. الحجاج عند أرسطو 125
3.2. الحجاج عند العرب قديما 128
4.2. الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة 134
المبحث الثاني: الحجاج في الخطاب 140
1. تعريف سورة الغاشية 142
2. أغراض السورة 142
3. آليات الاقناع في سورة الغاشية 143
1.3. الإيتوس في سورة الغاشية 144
2.3. الباتوس في سورة الغاشية 151
3.3. اللوغوس في سورة الغاشية 157
المبحث الثالث: الحجاج في اللغة – خطابات عبد العزيز بوتفليقة نموذجا – 163
1. مفاهيم الحجاج في اللغة 163
2. العوامل الحجاجية: Les opérateurs Argumentatifs 167
3. الروابط الحجاجية 173
4. معيار عدد المتغيرات الحجاجية 175
المبحث الرابع: الحجاج والتلفظ –خطابات إشهار شكولاطة أوبتيلا وديتول نموذجا– 180
1. في مفهوم الخطاب الإشهاري 181
2. عناصر الخطاب الإشهاري 183
1.2. المرسل 184
2.2. المرسل إليه 186
3.2. الرسالة Message 187
4.2. **السنن** le code 188
5.2. القناةِ Canal 190

6.2. السياق Context 190
3. حجاجية الملفوظ الإشهاري 193

الفصل الثالث: آليات الاستدلال الحجاجي

توطئة 198
المبحث الأول: الحجاج والاستدلال المنطقي 198
1. الاستدلال 199
2. آليات الاستدلال المباشر في الخطاب الحجاجي 202
1.2. التقابل 203
1.1.2. التقابل بالتضاد 204
2.1.2. التقابل بالتناقض 205
3.1.2. التقابل بالدخول تحت التضاد 211
2.2. التداخل 212
3.2. العكس في القضايا 213
3. آليات الاستدلال غير المباشر 218
1.3. الاستقراء 218
2.3. القياس 221
المبحث الثاني: الحجاج والاستدلال البلاغي 222
1. آليات حجاجية من علم المعاني 225
1.1. تعريف علم المعاني 225
2.1. آلية الاستفهام 227
3.1. آليتي الوصل والفصل في سورة الغاشية 227
2. آليات من علم البيان 230
1.2. تعريف علم البيان 230
2.2. المجاز المرسل 231
3.2. الكناية 231

3. آليات من علم البديع 233
1.3. تعريف علم البديع 233
2.3. آلية الجناس في سورة الغاشية 233
3.3. التقابل (المقابلة) 235
المبحث الثالث: البنية اللسانية والاستدلال الحجاجي 236
1. نظرية السلالم الحجاجية 237
2. قوانين السلم الحجاجي 240
1.2. قانون النفي 240
2.2. قانون القلب 240
3.2. قانون الخفض 241
3. أهمية نظرية السلالم الحجاجية 242
4. التداولية المدمجة في الفكر الحجاجي اللساني 243
5. السلالم الحجاجية وقوانين التفاضل والتقابل 243
1.5. العلاقة السلّمية التفاضلية 244
2.5. العلاقة السلمية التقابلية 246
خاتمة 249
قائمة المصادر والمراجع 252
فهرس المحتويات 266
ملخص الدراسة

الملخص

نتناول في هذه الأطروحة الموسومة بـ: **"اللسانيات التلفظية –دراسة في آليات الاستدلال الحجاجي–"** البنية الحجاجية المضمرة في مختلف الخطابات (سياسية/دينية/إشهارية...) في إطار ما تشتغل عليه التداولية التي تعنى بدراسة اللغة المستعملة أي اللغة في سياقها التواصلي أثناء الفعل الإنجازي الذي غالبا ما يعتمد على العملية التلفظية التي كانت محط اهتمام العديد من الدارسين بعد دي سوسير.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التلفظية، الحجاج، الخطاب السياسي، الخطاب الديني، الخطاب الإشهاري.

Abstract:

We deal with this thesis "enunciated linguistics – treatise in the mechanisms of Argumentative inference-" the structure of argumentation in different political; religious and advertising speech. in the pragmatic as the using language study whoever Language in its communicative context during the The performative act Whereby base on enunciated operation.

Keys words: « enunciated linguistics, argumentative, political speech, religious, discourse advertising speech»

Résumé:

Nous traitons de cette thèse « linguistique énoncée – étude des mécanismes de l'inférence argumentative – la structure de l'argumentation dans différents discours politiques, religieux et publicitaires. Dans la pragmatique comme l'étude de langue utilisant quiconque La langue dans son contexte communicatif pendant l'acte performatif Par lequel base sur l'opération énoncée.

Mots clés : « langage énoncé, argumentatif, discours politique, discours religieux, discours publicitaire »